الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1– الحاج لخضر

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة الإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

المعطيات الحضارية في المدونة التراثية للغرب الإسلامي
–دعوى التغييب والتهميش–

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في العلوم الإسلامية

تخصص: التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب:

فارس بكيس

إشراف الأستاذ الدكتور:

عمر حيدوسي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
رضا شعبان	أستاذ	جامعة باتنة –1–	رئيسا
عمر حيدوسي	أستاذ	جامعة باتنة –1–	مقررا
عبد الحق ميحي	أستاذ	جامعة باتنة –1–	عضوا
عاشور منصورية	أستاذ محاضر (أ)	جامعة باتنة –1–	عضوا
جمال بلفردي	أستاذ	المركز الجامعي بريكة	عضوا
مسعود كربوع	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	عضوا

السنة الجامعية: 1441– 1442 هـ / 2020 – 2021م

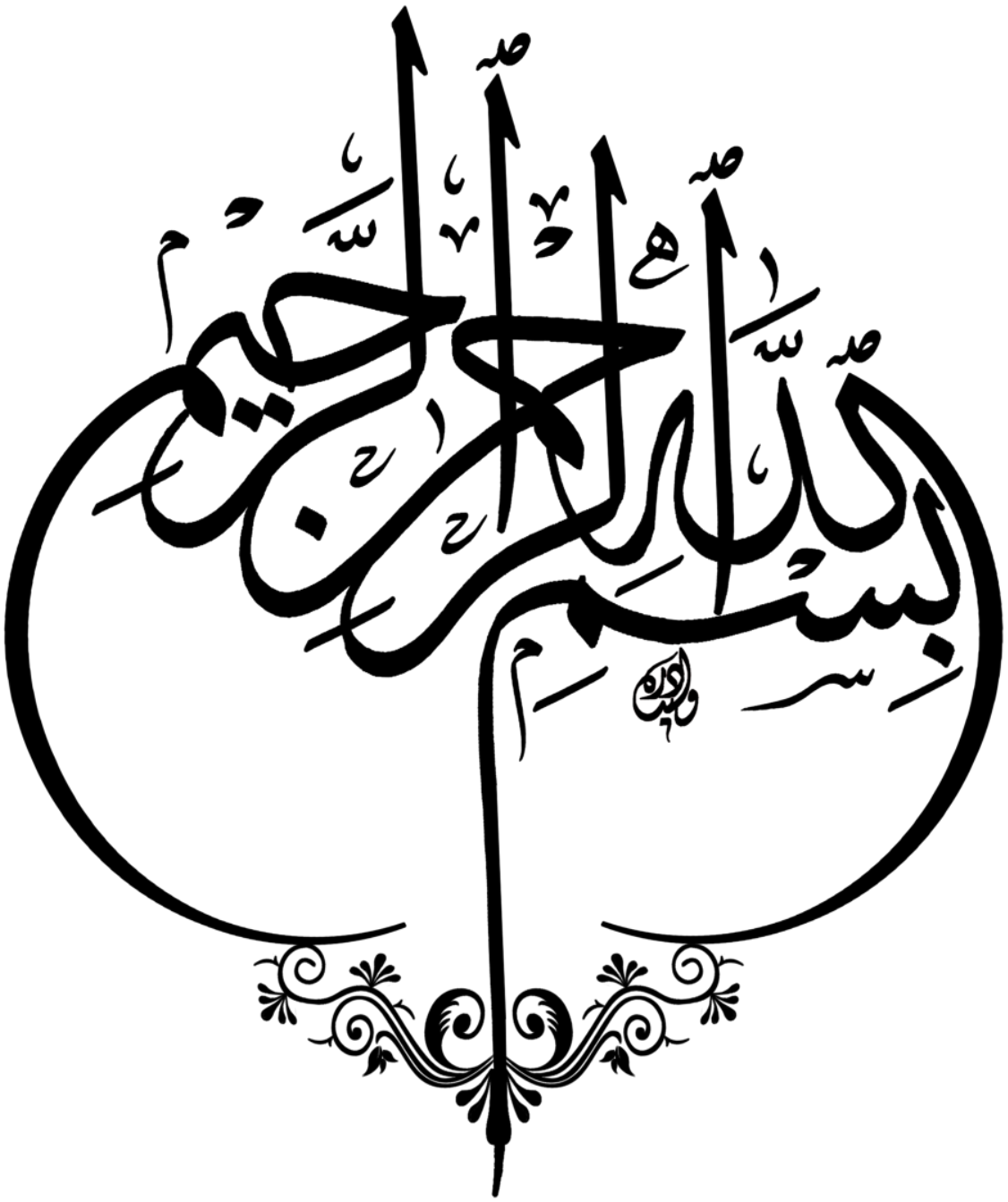
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي الكريمين

إلى زوجتي الغالية

إلى كل إخوتي وأخواتي

حفظهم الله جميعا

إلى كل زملاء العلم الأوفياء: نور الدين وخليل وكمال وفاتح وبلال ويوسف وعبد الوهاب.

إلى رفقاء العلم في رحلتي العلمية في بلد المغرب الشقيق: وحيد وبوبكر وسفيان ويحيى.

إلى أستاذي لخضر بولطيف رائد المدرسة القيمية

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين، أشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ثم الشكر لمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور عمر حيدوسي، على كل ما قدمهلي من نصائح وتوجيهات معرفية وملاحظات منهجية وخبرة عملية كانت الدافع الأساسي لي في إنجاز هذا البحث العملي.

وكذا الشكر موصول للأستاذ الدكتور إسماعيل المساوي من جامعة محمد الخامس بالمغرب على كل ما قدمه لي من مساعدات ونصائح حال تواجدي في بلد المغرب الشقيق.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور لخضر بولطيف الذي وجهني إلى هذا الموضوع الذي ينضوي تحت مشروع المدرسة القيمية التي يشرف عليها، وأشكره على رعايته لهذا العمل بداية من الخطة إلى أن نضج واستوى.

والشكر الخاص لكل أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة هذه الدراسة.

والشكر موصول أيضا لكل الزملاء وأخص بالذكر؛ كمال ونور الدين ويوسف وبلال وهشام لما قدموه من ملاحظات ونصائح ساهمت في إثراء هذه الدراسة.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا مُحَمَّد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد حققت مسارات الكتابة التاريخية عبر الأزمنة، إنجازات هائلة في ميدان المعرفة الإنسانية، تشكلت في ظل مذاهب واتجاهات عديدة، ما أنتج رؤى ومناهج مختلفة، لفهم التاريخ وطريقة كتابته، ممّا أفرز مدارس شتى وأشكالا متمايزة من الكتابات التاريخية الغربية.

في المقابل من ذلك شهدت الكتابة التاريخية في العالم العربي خلال العقود الأخيرة قفزة نوعية، على مستوى القضايا المطروحة والمناهج المستعملة، والإشكالات المثارة والمصادر الموظفة، وقد مثلت الأبحاث التاريخية التي أنجزت في ظل مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي النموذج الأبرز والعلامة الفارقة لهذا التطور اللافت في مسار البحث التاريخي العربي عموما والمغربي خصوصاً.

برزت أمام هذه الانجازات والمسارات المبتكرة –في مضمار الكتابة التاريخية العربية التي حملت على عاتقها إعادة كتابة تاريخ المسلمين– دعاوى ومقولات ألصقت بالمدونة التراثية عملت على التقليل من حجم الاستفادة منها والتعاطي معها. ومن هذه الدعاوى التي ما لبثت تطرح نفسها على ساحة البحث التاريخي، وتَردد في دراسات الباحثين وعلى ألسنة المحاضرين؛ "**دعوى تغييب وتهميش الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية في الكتابة التاريخية الإسلامية**"، والتي حملت أتباع الاتجاه اليساري على الانخراط في مسار كتابة "تاريخ المهمشين".

إلا أنّ الأمر لم يقف عند حد الدعوى، بل تعدى ذلك إلى أن تراءى لنا من خلال قراءة ما وصلت إليه أيدينا من دراسات تاريخية –تعنى بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية– أن هذه الدعوى ما لبثت أن أصبحت من المسلمات التي يصدر بها الباحثون في التاريخ دراساتهم، وكأنها غدت علامة مسجلة تَدْمغ بها المدونة التاريخية الإسلامية.

ومما لا ريب فيه أن المدونة التراثية الإسلامية تزخر بالعديد من المعطيات الحضارية (السياسية، العلمية، الاقتصادية، الاجتماعية...الخ)، حتى ولو اختلفت خلفيات ومناهج الباحثين في التعامل مع هذه المدونة في عصرنا هذا[1]، بين متحامل عليها، ومقدس لها.

---

[1] ــ ومن بين تلك الدعاوى المتحاملة على المدونة التراثية إلى جانب "دعوى التغييب والتهميش"، تلك المقولة الجاهزة والمسلمة المتداولة التي ألصقت بمدونة التراجم بأنها تؤرخ "لمشاهير الرجال"، ويؤكد مُحَمَّد البركة أن هذه المقولات الجاهزة قللت من حجم وطريقة الاستفادة من هذه المدونة الزاخرة بالمعطيات والمعلومات، حيث يرى "أن الإطار العام الذي تتحرك كتب السير في حدوده، هو التأريخ للأمة وقضاياها، لا التأريخ للزعماء وأمجادهم، والأبطال وصنيعهم، ونحن حين نلفت الانتباه إلى هذه المسألة، فذلك بغرض تحرير أهم منطلق في الكتابة عن التراجم، إنه الإطار المعرفي والمرجعي الذي تحكم في الاهتمام بأدب التراجم على تعدد أصنافه؛ إذ لم يكن الغرض من التعريف بكل أولئك الرجال الذين دونت أسماؤهم في كتب الطبقات والوفيات والبيوتات...، هو إبراز أمجادهم، بل كانت الغاية كامنة في إبراز تراثهم بما هو جزء مسهم في التعريف بتاريخ الجماعة، ومظهر معبر عن طبيعة السياق التاريخي والإطار

إلا أنَّ أهم ما يلاحظ على هذه الدراسات أنها تعاطت مع هذه المدونات التراثية بمنطق عصرها مع محاكمتها إلى مفاهيم معاصرة، دون مراعاة لخصوصياتها المعرفية وسياقاتها التاريخية، ما ترتب على ذلك نتائج وانعكاسات في الحكم عليها والتعاطي معها.

وهذا ما حمل أحد الباحثين إلى القول بأنه لم يعد للكتابة التاريخية العربية "محتسب"[1] ولا رقيب، بل لم يعد أمام هذا الكم الهائل من الدراسات والبحوث التاريخية، دراسات نقدية تراجع وتقوم هذه الأبحاث سواء من حيث الرؤية والتصور أو من حيث المناهج والمصادر الموظفة.

وبالرغم من إقرارنا بقلة الدراسات النقدية في الكتابات التاريخية العربية، التي تصدر عن رؤى متوازنة تراعي سياق الكتابة وذهنية أصحابه آنذاك، دون الوقوع في "المفارقة التاريخية"[2]والمصادرة المعرفية، وهذا ما حملنا على دراسة هذا الموضوع الشائك، في محاولة لفض الاشتباك بين رؤيتيين معرفيتين،ومحاولة لإنصاف الكتابة التاريخية الإسلامية في تراثنا الإسلامي دون تقديس لها ومن دون تحامل عليها.

أولاً: الإشكالية

وعلى هذا لزمت دراسة موضوع: "**المعطيات الحضارية في المدونة التراثية للغرب الإسلامي –دعوى التغييب والتهميش–**"، من خلال تناول إشكالية؛ دعوى تغييب وتهميش المعطياتالاقتصادية والاجتماعية ضمن معطيات المدونة التراثية للغرب الإسلامي، ومدى انعكاس ذلك على واقع الكتابة التاريخية المعاصرة.

ضمن هذه الإشكالية المحورية طرحنا مجموعة من التساؤلات الفرعية تمثلت في:

- ما مدى مصداقية دعوى التغييب والتهميش التي رافعت لها –المدرسة اليسارية ثم– المدرسة المحمودية ووريثتها مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في كتابة التاريخ منذ أواسط القرن الماضي، وجعلتها عمدة مشاريعها في الكتابة التاريخية؟

الاجتماعي الذي عاشه الأفراد ضمن الاجتماع البشري". يراجع: مُحَمَّد البركة، الكتابة التاريخية وكتب التراجم والأعلام.. دواعي النظر ومبررات الفكر، ضمن كتاب: التاريخ وأدب التراجم.. مباحث في المفهوم والمنهج والقضايا، تنسيق مُحَمَّد البركة وأحمد إيشرخان، منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية فريق البحث في مجتمع الغرب الإسلامي، كلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله، فاس، ط1، 2016، ص23.

[1]_ يذهب "حسن حافظ علوي" أنه أمام هذه الفورة في الإنتاج التاريخي العربي، وجب أن تكون هناك حركة نقدية لتقويم هذه الأعمال مع ضرورة التمييز بين الغث والسمين. يراجع تصدير حسن حافظي علوي لكتاب الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي، تنسيق: مُحَمَّد البركة وسعيد بنحمادة، منشورات الزمن، المغرب، 2016، ص07.

[2]_ المفارقة التاريخية هو مصطلح نحته "لوسيان فيفر" أحد مؤرخي الحوليات، حين تكلم عن المفارقة أو المغالطة التاريخية التي يقع فيها معظم الباحثين وهي قراءة عصور متقدمة بذهنية هذا العصر. لمزيد من التفصيل يراجع: دوس فرونسوا، التاريخ المفتت.. من تاريخ الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: مُحَمَّد الطاهر المنصوري، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص133-134. بول ريكور، الذاكرة.. التاريخ.. النسيان، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009، ص289-290.

- ماهي منطلقاتهم وخلفياتهم في كتابة تاريخ المهمشين والمستضعفين، وكيف يمكن التعويل على هذه الرؤية في كتابة تاريخ متوازن، بدل التاريخ السلطاني؟
- هل يمكن التسليم بأن المدونة التراثية المصدرية بمختلف أطيافها تواطأت على تهميش وتغييب الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية؟
- هل يمكن التعويل على المدونة التراثية المتنوعة في كتابة تاريخ حضاري لمجتمعات الغرب الإسلامي؟
- إلى أي مدى يمكن أن نعول على حضور المعطيات الحضارية في المدونة التراثية لكتابة تاريخ اقتصادي واجتماعي بمنأى عن ضغوط السياسة وهموم الإيديولوجيا؟
- هل من الوارد أن يكون تركيز المدونة التاريخية التقليدية على تاريخ السلطتين؛ السياسية –كتب التاريخ والحوليات–، والعلمية –كتب التراجم والطبقات–، ما هو إلا تباين في الاهتمامات بين عصر وعصر؟ أم أن هذا التباين يعكس أزمة معرفية في التعاطي مع مفهوم التاريخ بين القدامى والمعاصرين؟

ثانياً: أهمية الموضوع

ومن هنا يستمد موضوع "**المعطيات الحضارية في المدونة التراثية للغرب الإسلامي –دعوى التغييب والتهميش–**"، أهميته من كونه دراسة نقدية، ومساءلة لدعوى تغييب وتهميش المعطيات الاقتصادية والاجتماعية ضمن المدونة التراثية، لإحدى أهم المدارس التاريخية العربية المعاصرة.

ويمثل موضوع "التغييب والتهميش" أحد أهم المسلمات التي يستند إليه رواد دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في بناء مشروعهم التاريخي لإعادة كتابة تاريخ المسلمين، وهذا ما يفصح عنه العنوان الفرعي للأطروحة، إذ يشكل مدار البحث وإشكاليته الأساسية.

إذ تدعي المدرسة المحمودية في التاريخ وسليلتها مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، أن المعطيات الاقتصادية والاجتماعية قد تعرضت للتغييب والتهميش والطمس المتعمد في المدونة التاريخية، لهذا نحاول مساءلة صحة القول بتغييب الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة التراثية عموما والمدونة الإخبارية على وجه الخصوص.

كما يكتسي الموضوع أهميته كونه يعتني بنقد تجربة مدرسة تاريخية تعد علامة فارقة في مجال البحث التاريخي العربي المعاصر، وخاصة في ميدان الدراسات التاريخية، بيد أننا لا نكاد نجد دراسات تعيد قراءة التجارب السابقة لمؤرخين ومدارس تاريخية عربية معاصرة، بغية نقدها وتثمينها ومحاولة البناء على منجزاتها.

ثالثاً: أسباب ودوافع اختيار الموضوع

تنحصر أسباب ودوافع اختياري لموضوع"**المعطيات الحضارية في المدونة التراثية للغرب الإسلامي – دعوى التغييب والتهميش–**"، في أمرين أساسيين؛ ذاتي وموضوعي:

أ– الأسباب الموضوعية:

- كون هذا الموضوع يندرج ضمن المواضيع النقدية لمسار من مسارات الكتابة التاريخية العربية وإحدى أهم المدارس التاريخية المعاصرة بالعالم العربي من حيث جدة الطرح ودقة المعالجة وجديد المواضيع المدروسة.
- بالإضافة إلى كونه اشتباك مع إحدى المسلمات والركائز التي بنت عليها المدرسة مشروعها في إعادة كتابة التاريخي الإسلامي.
- ذلك الكم الهائل من الدراسات والبحوث في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، التي تماهت مع مسلمات وتصورات رواد هذا الحقل المعرفي البكر.

ب– الدوافع الذاتية:

- يتمثل في اهتمامي الدائم بقضايا الكتابة التاريخية العربية والغربية ومسارات تشكلها وتطوراتها.
- الرغبة في التعرف على حصيلة المدارس الغربية والعربية التي انتظمت داخلها أشكال الكتابة والمعرفة التاريخية.

رابعاً: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى مجموعة من النقاط المهمة؛ التي يمكن إجمالها في الآتي:

– السعي إلى فك الارتباط بين المفاهيم المعاصرة للتاريخ والمفاهيم الوسيطة له، مع التنبيه إلى مزالق إسقاطمفاهيم معاصرة على إنتاج معرفي له خصوصياته التاريخية والمعرفية التي تشكل ضمنها.

– الاطلاع على المنجز التاريخي لمدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، باعتباره أمارة فارقة في سياق الكتابة التاريخية العربية المعاصرة.

– ضرورة التعامل مع المدونات التراثية بنظرة تكاملية تراعي ظروف العصر أولا، وذهنية المؤلفين ثانيا.

– ضرورة الاستفادة من هذه المدونة من خلال تكثيف الدراسات المنهجية والمعرفية التي تسهل على الباحثين الاستفادة منها في حقل التاريخ.

– التعرف على منجز الدراسات التاريخية المعاصرة التي اهتمت بالجوانب الإقتصادية والاجتماعية من خلال المدونة التراثية المتعددة.

خامساً: الدّراسات السابقة

تتقاطع هذه الدراسة مع الكثير من الكتابات والأبحاث التي عالجت موضوع الكتابة التاريخية العربية والغربية وتاريخ المهمشين، غير أنها تختلف مع غيرها كونها تبحث في تجربة مدرسة تاريخية بعينها لها خصوصياتها ومنطلقاتها وتجلياتها،ولعله يمكننا حصر هذه الدراسات والأبحاث في جانبين:

أولا: من حيث تناولها لموضوع الهامش والمهمش عموماً، **ثانيا:** من حيث تناولها لرواد دراسات التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية.

ويمكننا أن نذكر من الصنف الأول، دراسات كل من:

- جان كلود شميث: **تاريخ الهامشيين**، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، إشراف: جاك لوغوف، ترجمة مُحَمَّد الطاهر المنصوري، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.
- جيم شارب: **التاريخ من أسفل**، ضمن كتاب: نظرات على الكتابة التاريخية، تحرير: بيتر بوركي، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

وقد استفدت من الدراستين السابقتين في التعرف على بدايات دراسات المهمشين في المعرفة التاريخية الغربية، بالاضافة إلى مفاهيم التهميش ومعاييره عند المؤرخين الغربيين.

- خالد اليعقوبي وخالد طحطح: **التاريخ من أسفل.. في تاريخ الهامش والمهمش**، منشورات الزمن، المغرب، 2016.
- خالد اليعقوبي وخالد طحطح: **صحوة دراسات المهمش**، ضمن كتاب: الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي، مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الإنتاج، تنسيق: سعيد بنحمادة ومُحَمَّد البركة، منشورات الزمن، المغرب، 2016.

تكمن استفادتي من هاتين الدراستين القيمتين في التعرف على منطلقات دراسات التغييب والتهميش في الكتابات التاريخية الغربية، كما أنها تعرفنا بامتداداتها في الكتابات التاريخية الغربية والعربية.

- لمحمد رضى بودشار: **التصوف والتهميش بالمغرب الوسيط**، ضمن أوراق الندوة الدولية: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس: قضايا وإشكالات، الجزء الثاني: قضايا في التاريخ الاجتماعي، الأعمال التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش، المنعقدة بتطوان: بتاريخ: 18-20/ 2018/04، تنسيق: مُحَمَّد الشريف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، المغرب، ط1، 2020.

تتقاطع الدراسة في تصورها لموضوع التهميش مع موضوع دراستي باعتبار أن التهميش له معايير مختلفة، قد يصبح فيها الهامش هو الفاعل والمركز هو الهامش.

بينما من الصنف الثاني؛ نذكر دراسات كل من:

- لخضر بولطيف: **من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية.. مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي –استعاب وبشارة وتجاوز–**، بحث مرقون.
- مُحَمَّد العيساوي: "**تاريخ المهمشين في الغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتابات الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش قضايا وإشكالات**"، مجلة كان التاريخية، العدد48، السنة2020.
- علي الصالح مولَى: " **من التاريخ المنسي إلى التاريخ العادل: دراسات في تجربة المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش**"، منشورات مركز ابن غازي للبحوث والدراسات الالإستراتيجية ودار المعرفة، الرباط، 2021.
- علي الصالح مولَى: "**تقديم مشروع كتاب من التاريخ المنسي إلى التاريخ العادل: جدل الأكاديميا والقيمة في كتابات المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش**"،ضمن أعمال الندوة الدولية: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس: قضايا وإشكاليات، الجزء الأول: قضايا في التاريخ الاقتصادي، الأعمال التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش، المنعقدة بتطوان: بتاريخ: 18-20/ 2018/04، تنسيق: مُحَمَّد الشريف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، المغرب، ط01، 2019.

وقد تآتى لي الاطلاع على أغلب هذه الدراسات، إلا كتاب؛ علي الصالح مولَى "**من التاريخ المنسي إلى التاريخ العادل**"، الذي طُبِعَ مؤخراً وذلك بعد أن شارف البحث على الانتهاء، غير أن باقي الدراسات مكنتني من التعرف على رواد دراسات التغييب والتهمش في العالم العربي وأهم الخلفيات التي ينطلقون منها.

بالاضافة أنني قد وقفت على "**مذكرة تخرج**" بنفس العنوان سجلت بجامعة المسيلة، وقد نوقشت سنة 2017/2016 لنيل درجة الماستر، حيث تقاطعت دراستي مع الرسالة في طريقة معالجتها للموضوع، وبما أنها مذكرة تخرج، فقد كانت دراستها عبارة عن إشارات إلى الموضوع لتأتي هذه الدراسة لتعميق البحث فيه، باعتبار أن الرسالة قد أغفلت المنطلقات التي من خلالها بدأ البحث في تاريخ المهمشين في المعرفة الغربية، وكذا لم تشر إلى امتدادات هذه الدراسات وأسبقيتها على الدراسات التاريخية في العالم العربي المعاصر، كما أنها لم تفصل في المراحل والتطورات التي طبعت دراسات المهمشين في الكتابات العربية المعاصرة.

إضافة إلى كونها لم تعرج على أهمية المدونات في كتابة تاريخ المهمشين، والعوائق التي اعترضت الباحثين في سبيل استغلال هذه المدونات.

أما صلب العمل فلم يرد في الرسالة، وهو في رأينا يتمثل في الفصل الرابع والذي يحمل في طياته أسس نقد الدعوى، من خلال التفريق بين مفاهيم التاريخ المعاصر ومفاهيم التاريخ في العصر الوسيط وممارسة المؤرخين له، هذا الفصل بين المفهومين يؤول بالدرجة الأولى لفك الإرتباط بين مسلمات الدعوى وبين واقع الكتابة التاريخية الوسيطية، ومن ثم البت في صحة دعوى التغييب والتهميش.

سابعاً: المنهج المتبع

لمعالجة الإشكالية التي طرحتهااعتمدت على المنهج الوصفيبآلياته، لأن موضوع الدراسة عبارة عن تثمين ونقد وبناء؛

فتظهر آلية التحليل في تتبع أعمال ودراسات رواد التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، والكشف عن منطلقاتهم وخلفياتهم التي ينطلقون منها في دراساتهم وأبحاثهم، ومن ثم مساءلة مدى صحة أحكامهم عن المعرفة الإسلامية عموما والمدونة التاريخية على وجه الخصوص، إضافة إلى محاولة تتبع تطورات مفاهيم التاريخ في المعرفة التاريخية الغربية والإسلامية، وبيان تأثيراتها على كتابة التاريخ وممارسته.

وتتجلى آليةالاستقراء، في تتبع المعلومات والمعطيات الاقتصادية والاجتماعية في مختلف المدونات التراثية المختلفة، والمقارنة بينها ومدى فائدتها على البحث التاريخي.

ثامناً: حدود الدراسة ومنهجية معالجتها

إن إبراز حدود الدراسة ومنهجية معالجتها، يساهم إلى درجة كبيرة في ضبط حدود العنوان وطريقة معالجة إشكاليته، وعلى هذا فإن دراسة هذا الموضوع تتحدد وفق ثلاث محدادت أساسية:

المحدد الأول: يخص الإشكال الإساسي المتعلق بطبيعة الدعوى المثارة والتي تنطلق من خلفيات ومفاهيم معاصرة، لتحاكم مدونة تراثية لها خصوصياتها التاريخية[1].

المحدد الثاني: يتعلق بطبيعة المعطيات الحضارية المدروسة لهذاكان حرياً بنا الاقتصار على إبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية دون غيرها من المعلومات التي تحويها المدونات التراثية رغم تنوعها بين المعطيات

[1] ـ ينبه باحثون كثر إلى منزلقات إسقاط مصطلحات ومفاهيم معاصرة على قضايا وموضوعات في حقب زمنية متقدمة، وعليه فإننا أمام جهاز مفاهيمي معاصر تفسر به حقبة زمنية لها خصوصياتها التاريخية. يراجع: عبد الرحمن المودن، الأزمات السلطانية (1727- 1757) مصطلح الفترة، ضمن أعمال اليوم الدراسي: الإسطوغرافيا والأزمة.. دراسة في الكتابة التاريخية والثقافة، المنعقد بتاريخ : 25 فبراير 1989، تنسيق: عبد الأحد السبتي، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس والجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ط1، 1994، ص105-106.

السياسية والدينية والثقافية والعمرانية... الخ، وهذا مما تفرضه طبيعة الدعوى المثارة والقائمة على القول بتغييب وتهميش المؤرخين للفعاليات الاقتصادية والاجتماعية.

المحدد الثالث: يخص اختيار المدونات التراثية الذي يرجع بالدرجة الأولى إلى دواعي معرفية واعتبارات منهجية، بحكم أننا نبحث عن التكامل بين هذه المدونات التراثية من جهة والمدونة الإخبارية من جهة ثانية في إطار من المعرفة الإسلامية المشتركة.

فجاء اختيارنا لمدونة الرحلة والبلدان كونها أقرب الحقول إلى الكتابات التاريخية، بحكم تقاطع الجغرافيا مع التاريخ في المعرفة الإسلامية، وباعتبارها المورد الأقرب للإسطوغرافيا، وأما مدونة الأدب فقد وقع عليها اختيارنا لكونها أقرب المدونات إلى المجتمع، فهي مرآته العاكسة لهمومه وقضاياه وأشواقه وأحلامه.

كما لا يخفى على الباحثين في حقل التاريخ دور المدونة النوازلية وما توفره من مادة اجتماعية واقتصادية غاية في الأهمية، فضلا عن اختيارنا للمدونة المناقبية التي لا تقل أهمية عن سابقتها.

وبطبيعة الحال فإن معالجة هذا الموضوع تتأسس وفق بعديين أساسيين:

بعد مفاهيمي نظري: وذلك من خلال التطرق للخلفيات التي ينطلق منها رواد مدرسة التغييب والتهميش في أبحاثهم ودراساتهم التاريخية ومحاولتهم في كتابة تاريخ المهمشين والعوام والمستضعفين.

بعد منهجي تطبيقي: يتمثل في العودة إلى عدد من المدونات التراثية، لأجل التعرف على مدى حضور المعطيات الحضارية –ونقصد بها المعطيات الاقتصادية والاجتماعية– في ثنايا هذه المصادر والمظان المختلفة والمتعددة، وهل هي كفيلة برسم صورة واضحة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الغرب الإسلامي؟

تاسعاً: المنهجية المتبعة في تهميش البحث

وقد اتبعت في تهميش الدراسة مجموعة من الخطوات المنهجية وهي كالآتي:

في الكتب المنشورة ذكرت اسم المؤلف ولقبه، وعنوان الكتاب، ثم التحقيق أو الترجمة أو التعريب (تحقيق: أو ترجمة: أو تعريب:)، ثم دار النشر، ثم مكان النشر، ثم الطبعة،ثم تاريخ النشر إن وجد، وإلا أضع تاريخ الإيداع القانوني بين عاكفتين [ ] ، ثم الجزء أو المجلد، ثم الصفحة، أما في حال تكرار ذكر الكتاب فأكتفيباسم المؤلف أو اسم الشهرة مع ذكر عنوان الكتاب مختصراً إن كان العنوان طويلاً تجنبا للإطالة، مع ذكر رقم الصفحة، دون ذكر لكلمة المرجع نفسه، باستثناء مجيء نفس المرجع لمرتين متتابعتين بالترتيب، فأكتفي بكتابة المرجع نفسه أو المرجع السابق في حال جاء المرجع المذكور في بداية الصفحة.

بينما فيما يخص الملتقيات والندوات العلمية فقد ذكرت اسم ولقب المؤلف أولاً، ثم عنوان الدراسة، ثم عنوان الملتقى أو الندوة، ثم تاريخ انعقاد الملتقى، ثم المشرف على الملتقى إن وجد، ثم معلومات النشر المتبقية كما هي في الكتب المنشورة.

أما في الكتب الجماعية، فقد أتيت على ذكر اسم ولقب صاحب الدراسة، عنوان الدراسة، ثم عنوان الكتاب الجماعي، ثم المشرف أو منسق الكتاب، ثم معلومات النشر كما سبق ذكرها.

بينما في المقالات العلمية فأتيت على ذكر؛ اسم صاحب المقال، ثم عنوان المقال، ثم اسم المجلة، ثم البلد،ثم العدد، ثم سنة الإصدار، ثم الصفحة.

وقد اعتمدت في ذكر الرسائل الجامعية على ذكر صاحب الرسالة أو الأطروحة ثم عنوان البحث، ثم نوع البحث، ثم الجامعة التي أنجزت فيها الدراسة، ثم سنة المناقشة، ثم الصفحة.

أما بخصوص المواقع الالكترونية، فقد أتيت على ذكر اسم صاحب الدراسة، عنوان الدراسة، عنوان الموقع، يوم الدخول إلى الموقع، الساعة، الرابط الإلكتروني.

اكتفيت فيما يخص تواريخ وفيات الشخصيات بذكر التاريخ الهجري دون ذكر التاريخ الميلادي.

بالإضافة إلى أنني وضعت فهرساً للآيات والأحاديث والمصطلحات والأعلام وقائمة للمراجع، ثم فهرساً للمحتويات.

عاشراً: عرض خطة البحث

استناداً إلى المنهج المتبع والإشكالية المطروحة والأسئلة المراد معالجتها والمادة العلمية المجموعة؛ أمكن تقسيم الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول، في كل فصل مبحثين وفي كل مبحث مطلبين، ثم خاتمة، وقد بدأت كل فصل بتمهيد وختمته بنتائج واستنتاجات.

وهكذا أتيت في **المقدمة** على التعريف بالموضوع وطرح الإشكالية وذكر أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، إلى جانب ذكر الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، والمنهج المتبع في معالجته، بالإضافة إلى توضيح حدود الموضوع وطريقة تناوله، إلى جانب ذكر الخطوات المتبعة في تهميشه، كما ذكرت الخطّة المتبعة في البحث، إضافة إلى الصعوبات التي اعترضتني حال إنجازه، وذيلت المقدمة بدراسة نقدية للمصادر والمراجع.

أما **الفصل الأول** فيتضح من عنوانه: -"**عرض دعوى التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة**"-، طبيعة القضايا التي عالجتها فيه؛ بدءاً بضبط مصطلحات العنوان وسياقات ظهور مصطلح التغييب والتهميش في المعرفة الغربية، بالإضافة إلى الخلفيات التي يصدر عنها، إلى بسط دعوى "التغييب والتهميش"، في الكتابة التاريخية العربية وبيان أعلامها وأجيالها وأسسها وخلفياتها ومرتكزاتها وتجلياتها.

ثم جاء **الفصل الثاني** بعنوان: "**المعطيات الحضارية في المدونة الجغرافية والأدبية**"، ليفصح عن البعد التطبيقي للموضوع، من خلال تناول مدونتي الجغرافية والأدب، كمحاولة لبيان أهميتهما في الكتابة التاريخية، ودورهما في دراسة المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والكشف عن الشرائح الاجتماعية وفئات المجتمع وممارساتهم الحياتية والمجتمعية.

وأما **الفصل الثالث** والمعنون بـ: **"المعطيات الحضارية في المدونة النوزالية والمناقبية"**، فقد خصصته؛ لمدونتي النوازل والمناقب من خلال الاعتناء ببعدهما التاريخي والمنهجي، ومولياً عناية خاصة بعلاقتهما بالتاريخ، ودورهما في الإفصاح عن المعطيات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية بالغرب الإسلامي.

وجاء **الفصل الرابع** بعنوان: **"مفاهيم التاريخ.. بين دعوى التغييب والتهميش والرد عليها"**، تتويجاً للفصول السابقة، قمنا بتحليل مسلمات دعوى التغييب والتهميش، إيذانا للبت في دعوى التغييب والتهميش وفك الارتباط بين مسلمات الدعوى، ومفاهيم التاريخ التقليدية والمعاصرة.

وأما **خاتمة** الأطروحة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها، إضافة إلى اقتراح مجموعة من التوصيات.

الحادي عشر: صعوبات البحث

لا يخلو بحث أو دراسة من صعوبات وعراقيل تعترض الباحثين في سبيل إنجاز بحوثهم ومعالجة مواضيعهم، ولعل ما يزيد من صعوبة هذا الموضوع ما يلي:

- صعوبة الفصل بين مفاهيم المهمشين والمغيبين لتعدد التخصصات التي تناولت هذا المفهوم، من الأدب إلى علم الاجتماع إلى الفلسفة والتاريخ، بالإضافة إلى تعدد الآراء حول مفاهيم التغييب والتهميش ومنطلقاتها وتجلياته في الثقافتين العربية والغربية.
- غزارة الإنتاج العلمي الذي تميز به رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ المهمشين، ما صعب علينا الاطلاع على إنتاجهم المعرفي ومواكبته.
- تعدد أجيال رواد دراسات التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية المعاصرة واختلاف رؤاهم وتصوراتهم، ما صعب رصد تطوراتهم المنهجية والمعرفية.
- شساعة المدونة التراثية وتعدد مظانها، ما كان حائلا لتتبع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في ثناياها.
- صعوبة تتبع واستقصاء الدراسات التاريخية المعاصرة التي تناولت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية من خلال المدونات التراثية المختلفة.

الثاني عشر:الدراسة النقدية للمصادر والمراجع

أولا– المصادر:

1– الدراسات المنهجية النظرية:

قد أفصحت هذه الدراسات عن الأدوات النظرية والمنهجية لمشروع كتابة تاريخ المهمشين من خلال أبعاده النظرية والمنهجية، ومن هذه المؤلفات التأسيسية ما يلي:

"**سوسيولوجيا الفكر الإسلامي**"، لمحمود إسماعيل بأجزائه العشرة، غير أن الجزء العاشر هو الذي قدم لي إفادة تنظيرية فيما يخص الرؤية والتصور، وكذا كتاب"**فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية**" ومقالات أخرى لنفس المؤلف منها؛ "**من سمات الخطاب السلطوي**"، وحوار مع المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش: "**تجديد التاريخ الإسلامي.. كيف ومن أين نبدأ**"، بالإضافة إلى مقاله المهم الذي أفصح فيه عن آليات وخطوات تطبيق مشروع المهمشين، "**من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين**"،وكذا مقال أخر بعنوان"**التاريخ المبتور والمصادر الدفينة**"،**كما استفدت من مقالين مهمين لعبد الإله بنمليح بعنوان:"التاريخ الاجتماعي للمغرب الوسيط" و"هل تعتبر الكتابة في الرق في العالم الإسلامي طابوها؟**"، إضافة إلى دراسات عديدة ذكرت في قائمة المصادر والمراجع.

2- الدراسات المعرفية التطبيقية:

من أهم هذه الدراسات التي استند إليها البحث في بيان اهتمامات رواد دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعيالمعرفية، والتي توزعت بين التآريخ للمهمشين والتآريخ لحركات المعارضة نذكر: "**الحركات السرية في الإسلام**" لمحمود إسماعيل، و"**عامة قرطبة**"[1]، لأحمد الطاهري، بطبعتيه، وقد اعتمدت على الطبعتين نظرا للتنقيح الذي أحدثه على الطبعة الأولى، من خلال إعادة تقسيم فصول الأطروحة من ثلاثة أقسام إلى خمسة أقسام مع إضافة تقديم ثان للطبعة الجديدة. و"**عامة المغرب الأقصى**"، **لأحمد المحمودي**، والأطروحة القيمةحول: "**الرق في بلاد المغرب والأندلس" عبد الإله بنمليح**، بالإضافة إلى الدراسات التي تضمنها كتاب "**المهمشون في التاريخ الإسلامي" لإبراهيم القادري بوتشيش**، ومقال "**تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس"، عبد الإله بنمليح**.

وأغلبها دراسات نزعت منزعا تطبيقيا محاولة تتبع مسار الفئات المهمشة في التاريخ الإسلامي عموماً، وتاريخ الغرب الإسلامي على وجه الخصوص.

[1] _ وقد حصلت الطبعتين، الطبعة الأولى "منشورات عكاظ، الرباط، 1989"، والطبعة الثانية منشورات "مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2018".

ثانيا– المراجع:

1– المؤلفات المتقدمة:

أ– كتب الرحلة والبلدان:

تعد كتب الرحلة والبلدان من أهم المدونات التي لا غنى للباحث في مجال التاريخ عنها، ولعل ما يزيد من قيمتها أن القدماء لا يكادون يميزون بين التاريخ والجغرافيا، وهذا ما جعلها من أهم المصادر التي استند إليها البحث في بيان المعطيات الحضارية.

ومن أبرزها: "**صورة الأرض**" لابن حوقل (ت367هـ)، و"**أحسن التقاسيم**" للمقدسي (ت380هـ)، و"**المسالك والممالك**" للبكري (ت487هـ).

ب– كتب الأدب:

لكتب الأدب القدرة على تصوير الواقع المعاش لمجتمع الغرب الإسلامي، بكل تفاصيله وتجلياته –السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية–، وهذا ما يزيد من أهميتها فهي مدونة جامعة لكل الآثار والأخبار، فهي خير سجل للحياة العامة ومرآة عاكسة للمجتمع لا تخضع لرقيب ولا لحسيب، ومن أبرز هذه المصادر الأدبية التي أفاد منها البحث:

"**البيان والتبيين**" للجاحظ (ت255هـ)، و"**الأغاني**" لأبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ)، " و"**الإمتاع والمؤانسة**" لأبي حيان التوحيدي (ت414هـ)، و"**العقد الفريد**" لابن عبد ربه (ت328هـ)، و"**الذخيرة**" لابن بسام (ت542هـ)، و"**نفح الطيب**" للمقري (ت1041هـ)،

بالإضافة إلى الدواوين الشعرية، "**كديوان بكر بن حماد**" (ت296هـ)، و"**ديوان ابن دراج**" (ت421هـ)، و"**ديوان ابن حريق**" (ت622هـ)، و"**ديوان ابن سهل الأشبيلي**" (ت649هـ)، و"**ديوان ابن الجزار السرقسطي**" (ت بعد القرن 05هـ)، ومن كتب الأمثال والأزجال استفاد البحث من، "**لحن العوام**" للزبيدي (ت379هـ)، و"**فصل المقال**" للبكري (ت487هـ)، و"**نكتة الأمثال**" للكلاعي (ت634هـ)، و"**أمثال العوام**" للزجالي (ت694هـ)، و"**حدائق الأزاهر**" لابن عاصم الغرناطي (829هـ).

ت- كتب النوازل الفقهية:

من أبرز المدونات النوازلية المغربية التي استندت إليها الدراسةمايلي: "**ديوان الأحكام الكبرى**" لعيسى بن سهل (ت486هـ)، وكتابي ابن رشد (ت520هـ)، "**مسائل ابن رشد الجّد**" و"**فتاوى ابن رشد**"، و"**نوازل ابن الحاج التجيبي**" (ت529هـ)، و"**جامع مسائل الأحكام**" للبرزلي (ت841هـ)، و"**الدرر المكنونة**" للمازوني (ت883هـ)، و"**المعيار المعرب**" للونشريسي (ت914هـ).

ث- كتب الحوليات التاريخية:

استفادت الدراسة من كتب الحوليات في بيان موضوع التاريخ ومفهومه وكيف مارسه المؤرخين في العصر الوسيط، ومن هذه الكتب: "**أخبار الأئمة الرستميين**" لابن الصغير (ت بعد 294هـ)، و"**افتتاح الدعوة**" للقاضي النعمان (ت363هـ)، و"**المن بالإمامة**" لابن صاحب الصلاة (ت بعد 594هـ)، و"**المعجب**" لعبد الواحد المراكشي (ت بعد 621هـ)، و"**نُظُم الجمان**" لابن القطان (ت في القرن 7هـ)، و"**البيان المُغرِب**" لابن عذاري (ت بعد 712هـ)، و"**الأنيس المطرب**" لابن أبي زرع (ت بعد 726هـ)، و"**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**" للسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ)، و"**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**" ليحي ابن خلدون (ت 780هـ)، و"**روضة النسرين في دولة بني مرين**" لابن الأحمر الغرناطي (ت807هـ)، و"**الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**" لابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ)، و"**نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**" لمحمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ)، و"**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**" للزركشي (ت بعد894هـ).

ج- كتب الفهارس وتصانيف العلوم:

من أبرز هذه المؤلفات التي استفاد منها البحث في معرفة قيمة المعرفة التاريخية في التراث الإسلامي، كتب الفهارس وتصنيف العلوم، ومنها: "**إحصاء العلوم**" للفارابي (ت339هـ)، و"**مفاتيح العلوم**" للخوارزمي (ت387هـ)، و"**إرشاد القاصد**" لابن الأكفاني (ت749هـ)، و"**ترتيب العلوم**" لساجقلي زاده (ت1145هـ)، واستعنت أيضا بكتاب "**الفهرست**" لابن إسحاق النّديم (ت380هـ).

2- الدراسات الحديثة:

أ- المقالات والدراسات العامة:

اعتمدت في كثير من الأحيان على المقالات والدراسات المعاصرة التي اهتمت بالمدونة التراثية، وقد تركزت هذه الاستفادة في جانبين: الجوانب المنهجية والجوانب المعرفية.

ويمكننا تقسيم هذه الدراسات على النحو الآتي:

- **الدراسات المتعلقة بكتب البلدان:**

وقد اعتمدت بالأساس على عدت دراسات اهتمت ببيان القيمة المنهجية والمعرفية لهذه المدونة وفي مقدمتها كتابين مهمين للطفي ديبش، الأول بعنوان: "**التواصل الحضاري في الثقافة الإسلامية**" والثاني بعنوان : "**الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية**"، و"**المجتمع والجغرافيا الثقافية لبلاد المغرب**" لعادل النفاتي، وأعمال ملتقى: "**أدب الرحلة والتواصل الحضاري**"، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات، منها "**الجغرافية البشرية اتجاهاتها وأعلامها**" لصالح المغيربي، و"**كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**"، لمحمد حناوي، و"**صورة المغرب من خلال ابن حوقل**" لمحمد تضغوت.

بالإضافة إلى دراسات ومقالات ذكرتها في قائمة المراجع ، ذات أهمية بالغة أفادت الموضوع في تتبع المعطيات الاقتصادية والاجتماعية الواردة في ثنايا هذه المدونة الزاخرة بالمعطيات الحضارية.

- **الدراسات المتعلقة بكتب الرحلة:**

ويمكن أن نذكر من هذا الصنف ثلاث كتب مهمة: "**كتب الرحلات في المغرب الأقصى**" لعواطف نواب، و"**رحالةُ الغرب الإسلامي**"[1]لصالح المغيربي، و"**خطاب الرحلة**" لسعيد جبار.

ومقالات ذات صلة ماسة بالموضوع منها دراسة : "**أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ**"، لعبد النبي ذاكر، و"**جدل الأدب والتاريخ في محكيات الرحلة**" لعيسى بخيتي.

[1] ـ وقد اعتمدت على الترجمتين المنشورتين، الأولى ترجمت الباحث المغربي عبد النبي ذاكر، ونشرت تحت عنوان "**رحالة الغرب الإسلامي**"، والثانية ترجمت الباحث التونسي محمد طرشونة، ونشرت تحت عنوان: "**أدب الرحلة في الغرب الإسلامي –من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر–**"، وقد نشرت الطبعتين في نفس السنة (2013).

كما ينبغي التنبيه إلى دور الدراسات المختلفة التي اهتمت بالمدونة الرحلية في معالجة قضايا في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

- **الدراسات المتعلقة بكتب الأدب والأمثال:**

من أهم المؤلفات التي استندت إليها في معالجة علاقة الأدب بالتاريخ، دراسة "**الشعر والتاريخ.. مقاربة منهجية**"، للباحث الحسين لغوالي، ودراسات جمعة شيخةمنها: "**إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الشعر الأندلسي مصدرا للتاريخ**" و"**القيمة الوثائقية لديوان ابن الأبار**"، ودراسة جعفر ابن الحاج السلمي، بعنوان: "**التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية.. من المبالغة إلى خرق العادة**"، وقد استفادت الدراسة أيضا من عديد الدراسات التي عالجت موضوعات وقضايا في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من خلال الاستناد إلى المدونة الأدبية.

- **الدراسات المتعلقة بكتب النوازل الفقهية:**

وجب التنبيه أن الدراسات المنهجية والمعرفية التي اهتمت بكتب النوازل كثيرة بحيث يصعب الإشارة إليها على وجه التفصيل، وعلى هذا سوف نشير إلى أهم هذه المؤلفات والأبحاث؛ من الكتب؛ "**النوازل والمجتمع**"، لعمر بنميرة، و"**النوازل الفقهية والمجتمع**"، لمحمد فتحة، و"**الفتاوى والتاريخ**"، لمحمد المختار ولد السعد، و"**حجة المغاربة أبو العباس الونشريسي ومعلمته النوازلية**"، لعمر بلبشير.

ومن المقالات: "**التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية**"، لمحمد مزين و"**تداخل التاريخ بالفقه نموذج النوازل الفقهية**"، لأحمد السعدي، و"**النوازل الفقهية وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية**"، لمحمد استيتو، "**النوازل بين الفقه والتاريخ محددات منهجية ومعالم معرفية**"، لمحمد البركة. و"**النص النوازلي للغرب الإسلامي**"، لفاطمة بلهواري.

ويمكننا القول أن تراكم الدراسات المنهجية والأبحاث المعرفية[1] في هذا الجانب، ساعد على إثراء الموضوع وإفادته من جوانب عديدة.

[1]_ استفاد الموضوع من دراسات معرفية تطبيقية عديدة تناولت قضايا جزئية من خلال الاستناد إلى المدونة النوازلية بحيث يصعب ذكرها.

- **الدراسات المتعلقة بكتب المناقب:**

ويأتي في طليعة هذه المؤلفات: كتاب "**تونس وأولياؤها الصالحون**" لهشام عبيد، و"**بنية الخطاب المنقبي طلاق العقل وأوهام التاريخ**"، لعبد السلام المنصوري، و"**أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**" للطفي عيسى، وأعمال ندوة "**التاريخ وأدب المناقب**".

بالإضافة إلى دراسات أخرى غاية في الأهمية، بدءاً بـ:"**مدونة المناقب ببلاد المغرب من القرن 10م إلى القرن17/ عرض منهجي**"، للطفي عيسى، و"**وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي**" للمياء لغزاوي، و"**كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية**" لمحمد العمراني، و"**مفاتيح النص المنقبي**" لعبد الأحد السبتي، و"**الكرامة والرمز**" لحسين بوالقطيب.

ب- كتب تاريخ التأريخ:

استفدت كثيراً من الكتب التي اهتمت بتطور الكتابة التاريخية سواء ما تعلق منها بالكتابة التاريخية الغربية أم الإسلامية، وهي على صنفين:

- **الكتابات المتعلقة بالفكر التاريخي الغربي:**

لا يخفى على الباحثين في حقل التاريخ أن الكتابة التاريخية الغربية الحديثة والمعاصرة مرت بتطورات ومراحل عديدة، من بداية عصر النهضة إلى صيغتها الحالية، تمخض عن هذه التطورات مدارس واتجاهات عديدة، ولعل من أبرز الكتابات التي ساعدتني في رصد هذه التطورات والتعريف بها؛ "**التاريخ المفتت**" لفرونسوا دوس، "**الكتابة التاريخية**" و"**البيوغرافيا والتاريخ**" لخالد طحطح، و"**المدارس التاريخية الحديثة**" للهادي التيمومي، و"**من أجل تاريخ إشكالي: ترجمات مختارة**"[1]، و"**المدراس التاريخية: من المنهج إلى التناهج**" وكلاهماالمحمد حبيدة: كما استعنت بـ"**تاريخ التأريخ**" لوجيه كوثراني: ومقالين مهمين بعنوان: "**دراسات التابع**" لديبيش شاكرابرتي و"**المدارس التاريخية الحديثة**" لمحمد العيادي.

[1]- وقد استخدمت الطبعتين، الطبعة الأولى بعنوان : "من أجل تاريخ إشكالي: ترجمات مختارة"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القنيطرة، والطبعة الثاني بعنوان: "الكتابة التاريخية: التاريخ والعلوم الاجتماعية.. التاريخ والذاكرة.. تاريخ العقليات"، منشورات أفريقيا الشرق.

- **الكتابات المتعلقة بالفكر التاريخي العربي:**

من أهم المؤلفات التي اهتمت بتتبع الكتابات التاريخية العربية، وكانت محل إفادة للدراسة ما يلي: "**نشأة علم التاريخ عند العرب**" لعبد العزيز الدوري، و"**علم التاريخ عند المسلمين**" لفرانز روزنثال، و"**الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي**" لمحمود إسماعيل، و"**الكتابة التاريخية ومناهج النقد عند المؤرخين المسلمين**" لأيمن فؤاد سيد.

ومن المقالات، المهمة التي استفاد منها البحث نذكر الآتي: "**بعض إشكاليات المنهج في الكتابة التاريخية العربية القديمة والمعاصرة**" لوجيه كوثراني، و"**التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية.. من المبالغة إلى خرق العادة**"، لجعفر ابن الحاج السلمي، و"**الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط**" لعلاوة عمارة، و"**المدرسة التاريخية في المغرب ومنهجها في الحبث التاريخ**"، للطيب بوسعد.

ت- كتب المنهجية التاريخية

"**المدخل إلى الدراسات التاريخية**"، للانجلوا وسينوبوس، و"**دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ**"، لمارك بلوخ، و"**من قضايا البحث التاريخي.. مقدمات أولية**" لمحمد المازوني، "**مصادر تاريخ الغرب الإسلامي.. محاولة في التركيب والرصد**" لمحمد البركة وسعيد بنحمادة.

ودراسة غاية في الأهمية بعنوان: "**المعالجة التاريخية للحرف والصنائع بالغرب الإسلامي مقاربات منهجية ومعالم تجديدة**"[1]، لمحمد البركة وقد أبان فيها عن مقاربات منهجية مهمة ورؤية تجديدية وازنة ساعدتني في نقد كثير من أحكام وتصورات رواد دراسات التغييب والتهميش.

ث- الكتب الفكرية:

يأتي في طليعة هذه المؤلفات التي أستندت إليها؛ كتاب"**التجديد في المنهج والتأريخ الجديد لدى ميشيل فوكو**" لحيدر عبد السادة جاسم الدبيسي، و"**الذاكرة.. التاريخ.. النسيان**" لبول ريكور.

[1] ـ وقد طرح هذه الرؤية في كثير من الكتب التي صدرت سواء كانت من تأليفه أو تحت إشرافه.

ج- **كتب الديداكتيك:**

استفدت من كتابين مهمين، الأول لمحمد العربي الصديقي، بعنوان: "**التعريف التاريخي في منهج المؤرخ: إضاءة ابستيمولوجية ومساهمة في ديداكتيكية التاريخ**"، والثاني لعبد الرحيم الحسناوي والمعنون؛ بـ"**النص التاريخي: مقاربة إبستيمولوجية وديداكتيكية**"، وقد استفدت من الأول في التعرف على تطورات مفهوم التاريخ في الثقافتين العربية والغربية، أما الثاني فاعتمدته في رصد تطور مفهوم الوثيقة التاريخية.

الفصل الأول:

عرض دعوى التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة

المبحث الأول: مفهوم ومنطلقات دراسات التغييب والتهميش

المطلب الأول: دلالة ومصطلح التغييب والتهميش

المطلب الثاني: منطلقات وامتدادات دراسات التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية الغربية

المبحث الثاني: التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة

المطلب الأول: التغييب والتهميش على مستوى المدرسة المحمودية

المطلب الثاني: التغييب والتهميش عل مستوى مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

نسعى من خلال هذا الفصل إلى التعريف بدراسات المهمشين في الكتابة التاريخية الغربية، بدءاً بضبط مصطلحات العنوان وسياقات ظهور مصطلح التغييب والتهميش في المعرفة الغربية، بالإضافة إلى الخلفيات والمنطلقات التي يصدر عنها، مع التعرف على امتدادت هذه الدراسات في المعرفة الغربية.

إضافة إلى عرض دعوى "التغييب والتهميش"، في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة، وبيان أهم أعلامها، إضافة إلى بيان أهم الأسس التي أرتكز عليها هؤلاء الرواد في كتابة تاريخ المهمشين والمغيبين، مع تتبع أهم المراحل والتطورات التي مرت بها هذه الكتابات التاريخية، بالإضافة إلى بيان تجلياتها على واقع الكتابة التاريخية المعاصرة.

وعليه فإنّنا في هذا الفصل نركّز بالأساس على عرض دعوى التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية، من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مفاهيم التغييب والتهميش في العلوم الإنسانية عموما والدراسات التاريخية على وجه الخصوص؟
- كيف بدأ التأريخ للمهمشين والمغيبين في المعرفة الغربية؟ وما أسباب انتقال هذه المباحث إلى الكتابة التاريخية العربية؟
- ماهي منطلقات وخلفيات الباحثين والمؤرخين العرب في كتابة تاريخ المهمشين والمستضعفين؟
- كيف يمكن التعويل على هذه الرؤية في كتابة تاريخ متوازن، بدل التاريخ السلطاني؟
- ماهي المداخل المعرفية والآليات المنهجية لكتابة تاريخ المهمشين والمغيبين في المدونة التراثية الإسلامية؟
- ما أهداف ودوافع كتابة تاريخ المهمشين والمغيبين في الكتابة التاريخة العربية المعاصرة؟
- ماهي تجليات هذه الكتابات في واقع الكتابة التاريخية العربية المعاصرة؟

المبحث الأول: مفهوم ومنطلقات التغييب والتهميش

نهدف من خلال هذا المبحث إلى رصد المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للمهمش والمغيب ودلالتهما، وكذا المفاهيم التي تتقاطع معهما في سياق المعرفة الحديثة، مع التركيز على دلالتهما في الدراسات التاريخية وبدايتها وكذا التعرف على منطلقاتها وامتداداتها في حقل المعرفة التاريخية الغربية؛ ذلك أن المرور بالمفاهيم وعرض بداياتها يمثل تقديماً لازماً لتأسيس وبناء ما سيأتي طرحه حول الموضوع.

المطلب الأول: دلالة ومصطلح التغييب والتهميش

نسعى من خلال هذا المطلب إلى تتبع الدلالات اللغوية للتغييب والتهميش في المعاجم والقواميس، وكذا تتبع مفاهيم المصطلحين في العلوم الإنسانية والدراسات التاريخية واستعمالاتها في حقل الدراسات التاريخية.

الفرع الأول: الدلالة اللغوية للتغييب والتهميش

أولا: التهميش لغةً

جاء عند ابن منظور (ت711هـ/ 1311م)، أن الفعل همش: "الهمشةَ: الكَلام والحركَةَ، هَمَش، وهَمَشَ القوم فهم يهمشون ويهمشون وتهامشوا، وامرأَةٌ هَمِشَى الحديث، بالتَّحريك: تُكْثِر الكَلام وتُجَلِّبُ"[1].

ووَرَد اللفظ عند الفيروزآبادي (ت817هـ/ 1414م)، بنفس المَعنَى إلا أنه أَضَاف إليه معنى جدَيد وهو: "الهامشُ: حاشيةُ الكتاب. واهتمشوا: اختَلَطُوا، وأقبلُوا، وأدْبَرُوا، ولهم هَمْشَةٌ، والدابةُ أو الجرادُ: دبَّتْ دبيباً. وتَهَمَّشَ منبطُ الرَّكيَّة: تَحَلَّبَ. والمهامشة: المعالَجَةُ [المعاجلة]. وتهامشوا: دخل بعضهم في بعض، وتَحَرَّكُوا"[2].

واللفظ يدور حولَ معاني: الكلام غير المجدي، الذي لا نفع منه، واكثار الحركة والجلبة، وقد نُسب كثرة الكلام للمرأة، باعتبار أنها تكثر الكلام فيما لا نفع فيه.

وأما ما أضافه الفيروزآبادي (ت817هـ/ 1414)، فقد أخذه العرب عن الفرس[3].

ثانيا: التغييب لغةً

بينما ورد لفظ التغييب عند ابن منظور (ت711هـ/ 1311م)، بمعنى: الغَيْبُ: الشَّكُّ، وجَمْعُه غيابٌ وغُيُوبٌ. والغَيْبُ: كلُّ ما غابَ عنكَ. والغَيْبُ أَيْضاً ما غابَ عن الْعُيونِ. وغابتِ الشَّمس وغيرها من النُّجوم:

---

[1] _ جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، ص4700.

[2] _ مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، إشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م، ص610.

[3] _ دليلة الباح، المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، رسالة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة مُحَمَّد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016/2015، ص 13-14.

غَربتَ، و العربُ تُسَمّي ما لم تُصبْهُ الشَّمْسُ من النَّباتِ كُلَّه الْغَيْبانَ. وقال بعضهم: بدا غَيْبانُ الشَّجَرةِ، وهي عُروقُها الَّتي تَغَيَّبتْ في الأَرضِ[1].

وبنفس المعاني عند الفيروزآبادي(ت817هـ/ 1414م)، وامرأةٌ مُغيبٌ ومُغيبةٌ مُغْيَبٌ، كمحسن: غاب زوجها[2].

إضافة إلى المعاني السابقة ورد عند الزبيدي (1205هـ/ 1790م)، وقولهم: غيَّبه غَيابُه، أي دُفن في قبْره.

التَّغْييب: أن يبيعه ضالَّة ولُقَطَة[3].

ونستنتج من خلال المعاني اللغوية أن اللفظين لم يردا بمعانيهما التي استقرت في الدراسات المعاصرة. غير أن المعاجم المعاصرة لم تغفل عن الكلمة؛ فأوردت معنى للفظين، بما ينسجم مع استعمالاتهما في حقول المعرفة الحديثة؛ فالمهمش ورد بمعنى: "فلان يعيش على الهامش لا يشارك في الأمور العامة"،[4] وبمعنى آخر: "فلان يعيش على الهامش لم يدخل في زحمة الناس"[5].

ونفس الأمر بالنسبة للفظ التغييب حيث ورد في المعجم الوجيز بمعنى: غَيَّبه: أبعدَه وواراه[6].

بعد البحث في القواميس العربية تبين أنها لم تورد لفظي التغييب والتهميش كما ورد في استعمالاتها في الدراسات المعاصرة.

ثالثا: ألفاظ ترد بمعنى التغييب والتهميش

في المقابل هناك من المعاصرين من استعملوا في دراساتهم، ألفاظاً أخرى تدل على مصطلحات التغييب والتهميش في الكتابات المعاصرة؛ كالمهمل[7]، والمطموس، والمنبوذ[8]، باعتبارها ذات معان ومفاهيم

---

[1]_ ابن منظور، لسان العرب، ص3321-3322.

[2]_ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص121.

[3]_ مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، منشورات التراث العربي والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1987م، ج03، ص502.

[4]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م، ص 652.

[5]_ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط4، 1425هـ/ 2004م، ص 949.

[6]_ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص458.

[7]_ مُحَمَّد الطاهر المنصوري، المجالات المهملة في الكتابة التاريخية العربية، مجلة أسطور، قطر، عدد04، السنة2016، ص279-282.

[8]_ يراجع: محاسن عبد الجليل، نحو مداخل منهجية وأدوات جديدة لكتابة تاريخ المطموس.. تأريخ النبذ والإقصاء أنموذجا، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي الثالث: التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، المنعقد ببيروت، بتاريخ: 22/24-04-2016، تنسيق: وجيه كوثراني، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط01، 2017م، ص883-922.

تتقاطع مع التغييب والتهميش. بينما فضل بعضهم استعمال مصطلح المغيب (المغيبون)[1]، والمهمش (المهمشون)[2]، وهما المصطلحان الأكثر استعمالاً.

وعلى هذا نجد النَّبذُ عند ابن منظور(ت711هـ/ 1311م)، بمعنى: طَرْحُكَ الشّيءَ من يدكَ أمامكَ أو وراءكَ. نَبذْت الشَّيء أَنْبذُه نَبْذًا إذا ألّقَيته من يدكَ، ونبَّذْتُه، ونَبذْت الشَّيء أَيضا: إذا رميته وأَبعَدْته. وكُلُّ طَرِحٍ: نَبذٌ.ونَبذَ الكتاب وراء ظهره: أَلْقَاه. وفي التنزيل: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران:187][3]، وقوله أيضا: ﴿ نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة: 100]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص: 40]، وقوله تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: 145].

والمَنْبوذُ: "وَلَدُ الزِّنا، لأَنَّه يُنبَذ على الطَّريق"، قال أبو منصور: المَنْبوذُ: "الذي تنبذه والدته في الطَّريق".أي "تُلْقيه أُمُّه في الطَّريق"[4]. وفي مفردات الراغب: أَصْلُ النَّبْذ "طَرْح ما لا يُعْتَدُّ به". والأَنْباذُ من الناس: الأَوْباش وهَمَ المطروحون المتروكون. وروى ابن عباس: " أن النبي ﷺ مر على قبر منبوذ فأمهم وصلوا خلفه"[5]. قبرٌ منْبوذ: "أي قبر بعيد منفرد عن القبور"[6].

وانتبذ عن قَومه: تَنَحَّى. وانتبذ فُلانٌ إلى ناحية، أي تنحى ناحية، قال الله تعالى في قصة مريم: ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ [مريم: 16][7]، وكذا قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم: 22].

بينما ورد لفظ المطموس عند ابن منظور (ت711هـ/ 1311م)، من الفعل طَمس ويطْمس طُموساً: "درس وأمحى أثره"، وانطمس الشيء وتطَمَّس: "انمَحى ودرس"[8].

---

[1] _ يراجع: مجموعة مؤلفين، المغيَّبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق: الهادي التيمومي، منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999م.

[2] _ يراجع: مُحَمَّد حمزة، تاريخ المهمشين في الإسلام المبكّر.. قراءة نقدية جديدة لسير بعض الصحابة، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي الثالث: التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كتب وكيف يكتب؟، ص867-881.

[3] _ ابن منظور، لسان العرب، ص4322.

[4] _ ابن منظور، لسان العرب، ص4322 . مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، منشورات التراث العربي والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1971، ج9، ص482.

[5] _ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر بعد ما يدفن، رقم الحديث: 1336، بلفظ: حدثّنا حجاج بن منهال: حدثّنا شعبة قال: حدّثني سليمان الشّيبانيُّ قال: سمعت الشَّعبيَّ قال: " أخبرني من مر مع النّبي ﷺ على قبر منبوذ، فأمهم وصلّوا خلفه. قلت من حدثك هذا يا أبا عمرو؟ قال: ابن عباس رضي الله عنهما".يراجع: مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـ/ 1998م، ص259.

[6] _ الزبيدي، تاج العروس ج9، ص480-483.

[7] _ ابن منظور، لسان العرب، ص4322.

[8] _ المرجع نفسه، ص2704.

وورد عند الزبيدي (1205هـ/ 1790م)، بمعنى : يقال (يَطْمُسَ)، بالضم، (ويَطْمِسَ)، بالكسر. وطمسته طمساً: "محو ته وأزلت أثره". وطَمستَ الشيء طَمساً: "استأْصلْتَ أَثَره". ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات: 8]، ففي الآية الكريمة "طُمِستَ" أي ذهب ضوؤها ونورها[1].

والطَّمس: استئصال أثر الشَّئ. وطمس الله عليه يَطْمِس، وطمسه وطُمس النَّجم والقمر والبصر: ذهب ضوءه. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [يس: 66]، ويكون الطموس بمنزلة المسخ للشيء، وكذلك قوله عز وجل﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ [النساء: 47]، أي من أن نضلهم مجازاة لما هم عليه من العناد. وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [يونس: 88]، أي غيرها[2].

فالمطموس يدل على قصد الفعل، وأن هناك نية في محو الشيء، وإزالته واستئصاله كليا.

بينما ورد لفظ "المهمل" في لسان العرب بمعنى "المتروك"، ومنه إبل هوامل: "مسيَّبةٌ لا راعي لها". وأمر مهملٌ متروكٌ. وأهمل أمره: لم يُحكمه. وأهملتُ الشَّيء: خليت بينه وبين نفسه.والْمُهْمَلُ من الكَلام: خلافُ الْمستعملِ[3]. وعليه فإن المطموس يَدل على قصد الفعل، وأن هناك نية في محو الشيء وإزالَته واستئصَالهَ كليا، بينما المهمل هو المتروك بخلاف المستعمل.

ومما ذكر سابقاً يمكننا القول أن أقرب المفردات إلى مصطلحي التغييب والتهميش كما استعملا في الدراسات المعاصرة، هي ألفاظ المطموس والمنبوذ والمهمل على عكس المغيب والمهمش التي لا تدل مفرداتهما اللغوية على دلالتهما الاصطلاحية المعاصرة.

الفرع الثاني: المفهوم الاصطلاحي للتغييب والتهميش

إن مفهوم التغييب والتهميش في استخدامات الباحثين المعاصرين تتجاذبه عدة تخصصات ويتقاطع مع حقول معرفية شتى فقد استعمل في علم الاجتماع والأدب والفلسفة وكذا الدراسات التاريخية، بالإضافة لما يشكله هذا المصطلح من تقاطع مع مصطلحات أخرى في دلالاته، كالمطموس والمهمل والمنبوذ.

أولا: التغييب والتهميش في الدراسات الإنسانية

1- في دراسات علم الاجتماع

يذكر أحمد شراك أن أول استعمالات مصطلح التهميش، قد ظهرت مع دراسات علم الاجتماع وبالضبط مع السوسيولوجيين في مدرسة شيكاغو الأمريكية، وقد أطلق في بداية الأمر على جماعات بشرية

---

[1] ـ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود محمد الطناحي، التراث العربي والمجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 2004، ج16، ص207-208.

[2] ـ ابن منظور، لسان العرب، ص2704

[3] ـ المرجع نفسه، ص4701-4702.

نشأة في المجتمع الأمريكي في العقد الثالث من القرن العشرين (1920-1930م)[1]، ويعد مفهوم التغييب والتهميش من المفاهيم المركزية في مشروع العلوم الاجتماعية[2]، إذ يتجلى في ذلك: "التقسيم الطبقي لفئات المجتمع فتختلف طبقة الأسياد عن العبيد وطبقة الأغنياء عن الفقراء، وتنتج عادات خاصة باللباس والأكلوالشرب والجلوس والسمر والسكن"[3]، ثم توسعت دلالات المصطلح بعد ذلك؛ من بعده الاجتماعي إلى البعد الجغرافي، وذلك من خلال علاقة "المدينة بالأطراف" أو "الحواضر بالبوادي".

هذا ما يجعل من أشكال الهامش تتعدد في الدراسات الاجتماعية والإنسانية وقد حددت في ثلاث هوامش: " الهامش الديني.. الهامش الجغرافي.. الهامش النسوي"[4].

2- في الدراسات الأدبية

عرف الأدب المهمش أو الأدب الهامشي في الدراسات الأدبية على أنه ذلك "الأدب المتجاوز للمألوف والخارق للمعتاد والطبيعي والمتمرد على القوانين الفنية المعتادة"[5]، وهو أيضا "ذلك الأدب الذي لا يعترف بالقوالب الجاهزة، سواء على مستوى المواضيع أو الإشكالات"[6]، فيتناول موضوعات من مثل الجنس والمجون والسحر والشعوذة، إذ تعتبر هذه الموضوعات طابوهات قل من يتناولها على اعتبار أنها إفرازات لطبقة دونية من المجتمع، أو تعبر عن أفعال لا أخلاقية بنظر الطبقة العالمة.

وهذا ما يلاحظ على الشعر العامي بالنسبة للشعر الفصيح، فإذا كان الشعر الفصيح يعبر عن المركز فإن الشعر العامي يحتفي بالهامشي[7]، على أن تستوي في ذلك كل الأنماط المدرجة تحت مسمى الأدب؛ "كشعر الصعاليك الجاهلي، والشعر المناوئ للدعوة الإسلامية، وأدب الخوارج الأموي، والأدب ذو النزعة الشعوبية والمقامات الشعبية والكتابات الشبقية والصوفية"[8].

فإذا اعتبرنا الأول هو نتاج طبقة دونية من المجتمع إذ يعبر عن خطابات تصدر عن العامة، فإن الثاني يصدر عن النخبة.

---

[1] ـ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب.. قراءة سوسيوثقافية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015م، ص47.

[2] ـ إيمانويل فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه اليوم نحو علم اجتماعي للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: فايز الصياغ، هيئة البحرين للثقافة والآثار، مملكة البحرين، ط1، 2017م، ص201.

[3] ـ دليلة الباح، المركز والهامش مفهومه وأنواعه وجذوره، مجلة قراءات، الجزائر، العدد4، السنة2012م، ص299.

[4] ـ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص8-9.

[5] ـ حنان بن قيراط، المركز والهامش في الأدب، مجلة الحوار الثقافي،مستغانم، الجزائر، العدد10، السنة2010م، ص 54.

[6] ـ المرجع نفسه، ص54.

[7] ـ يراجع: دليلة الباح، المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، ص44-46.

[8] ـ حسن البحراوي، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد 18، 2002، ص9.

تورد الدراسات المعاصرة عدداً من المصطلحات التي يعبَّر بها عن أدب الهامش منها: "أدب المهمشين، الأدب الهامشي، أدب العامة، الأدب اللاشرعي، الأدب السفلي"[1]، وكذا عدة تسميات أخرى تتقاطع معها "كالأدب الدوني، والأدب السوقي"[2]، وعليه فالتهميش في الأدب إما أن يكون تهميشا لأدب معين أو موضوعات أدبية بعينها يتم إقصاؤها من باب معارضتها للسلطة، أو من باب أنها تمس مواضيع غير أخلاقية وبالتالي تصنف في دائرة المسكوت عنه، وبالدرجة الأولى فأدب الهامش يركز على من لا صوت لهم، ومن حجبتهم الخطابات الرسمية وشوهت صورتهم[3]، محتفياً بالخطابات الصادرة عن الطبقة الدونية من المجتمع.

وعليه يمكننا القول أن مفهوم الهامش والمهمشفي الدراسات الاجتماعية يختلف عنه في الدراسات الأدبية، ويتمثل الأول في كونه يعتني بالجماعات البشرية الهامشية من خلال دراستها والتعرض لأحوالها وتشكلاتها، بينما يعتني الثاني بالخطابات والموضوعات التي تعد في نظر المجتمع من الطابوهات والمحظورات.

3- في الدراسات الفلسفية

في مقابل ذلك دخل المصطلح حيز الفلسفة في فترة ما بعد الحداثة، وتراجع فلسفة الأنوار التي تركز على مفاهيم الوحدة والكلية بدل مفاهيم الاختلاف والتعدد[4]، وقد استخدمه ميشيل فوكو (Michel Foucault)، في كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"، للدلالة على معنيين[5]:

يتمثل المعنى الأول في البعد الاجتماعي والاقتصادي، الذي يلخصه في العناصر والفئات التي لم تندمج في دورة الإنتاج، ويشمل " أولئك الذين كانوا خارج الاندماج الاجتماعي"[6]، أي كل ما هو "غريب عن بنية المجتمع ويتحرك خارج المألوف"[7]، ومن الطبيعي أن هذه العناصر غير القابلة للاندماج في نظام المجتمع؛ تتعرض لنوع من "الإقصاء العفوي"[8] بحسب ما يذهب إليه ميشيل فوكو.

---

[1] _ دليلة الباح، المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح، ص54.

[2] _ دليلة الباح، المركز والهامش مفهومه وأنواعه وجذوره، ص 206.

[3] _ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص26.

[4] _ الزواوي بغورة، ما بعد الحداثة والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية -دراسة نقدية-، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009، ص123.

[5] _ ياسين بوغديري، في تعريف الهامشي والهامشيين تاريج الجنون نموذجا، مجلة مدارات، تونس، عدد 27-28، السنة 2016-2017، ص14-15.

[6] _ فوكو ميشيل، تاريخ الجنون في العصر الكلا سيكي، ترجمة: سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص104.

[7] _ المرجع نفسه، ص105.

[8] _ المرجع نفسه، ص103.

أما المعنى الثاني في نظره، فيأخذ بعداً أخلاقياً؛ يدرِج فيه كل من انزاح عن المعايير الاجتماعية والنظام الأخلاقي، ويعطي أمثلة على ذلك بالمتصابيات والعاهرات والشواذ...ألخ. ويتضح من تقسيمه للهامشي أنه ينظر إليه كفاعل سلبي في المجتمع ومقصي من العملية الإنتاجية.

غير أن الفيلسوف الفرنسي المعاصر "ادغار موران" (Edgar Morin)، يطالعنا بتصور مغاير للهامشي، فيجعل كل من عظماء البشرية كموسى وبول والمسيح ومُحَمَّد ﷺ منحرفين، وبالضرورة هامشيين، إذ يقول موران كل هؤلاء الأفراد الذين أتوا بإبداعات وبتحولات تاريخية، كانوا في البداية منحرفين وأحيانا مضطهدين، فيثمن الهامشيين ويرتقي بهم إلى مصاف الفاعلين الإيجابيين، وهذا ما يجعل منهم محركاً أساسياً للتاريخ[1].

ولعل فوكو هو أول من أدرج الهامشي في تاريخ الفلسفة وتاريخ الأفكار وأدخله في صلب الحدث، من خلال محاولة قراءة التاريخ قراءة مغايرة أو من وجهة غير مسموعة، ويبدو أن الغاية من وراء تعرض فوكو لمثل لهذه المواضيع هو "الحفر في العقلانية الغربية الكلاسيكية من أجل مراجعة مفاهيم الحداثة والتقدم والعقلانية، وذلك على ضوء الانفتاح على اللاعقل وعلى الجنون وعلى الهامشي بشكل عام الذي أقصي في العصر الكلاسيكي"[2].

بينما أعطى موران فهما مغايراً للهامشي إذ يرجعه إلى المبدعين في التاريخ أو المنحرفين الذين رسموا انقطاعات وانفصالات في التاريخ[3].

ومن وجهة نظر أخرى نجد المصطلح عند أنطونيو جرامشي(A. Gramsci)، يعني "الأدنى درجة"[4]، ويقصد به تلك "الجماعات التي تقع تحت هيمنة الطبقات الحاكمة داخل المجتمع.. وتشمل الطبقات المهمشة المزارعين والعاملين وغيرهم من الجماعات التي تحرم من الوصول إلى السلطة"[5]، ويأخذ المصطلح منحى أخر بما يدل على البعد السلطوي للدولة، إذ يعتبر أن كل من لم يشارك في الحكم فهو يصنف ضمن المهمشين والمغيبين، وعلى هذا فقد قدم ملاحظات مهمة من أجل دراسة التاريخ بوجه عام، والتاريخ الإيطالي على وجه

[1]- ولعل ادغار موران يقصد بالمنحرفين هنا كل من لم يساير المجتمع في منظومته وتصوراته. يراجع: ياسين بوغديري، في تعريف الهامشي والهامشيين، ص15-16.

[2]_ ياسين بوغديري، في تعريف الهامشي والهامشيين، ص14.

[3]- جيهان الكبسي، في الشبه بين الهامشي والمبدع والمنحرف، مجلة مدارات، مجمع الأطرش، تونس، عدد 27-28، السنة 2016-2017، ص7-8.

[4]_ بيل اشكروفت وآخران، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الأساسية، ترجمة: أحمد الروبي وآخران، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص319.

[5]_المرجع نفسه، ص319.

خاص، وذلك من خلال العبور من بوابة الطبقات المهمشة باعتبارها الفئة الفاعلة في حركة التاريخ، وقد أوجزها في ست نقاط[1]:

1_ التشكل الموضوعي لهذه الطبقات

2_ انتسابها الإيجابي أو السلبي للكيانات السياسية المهيمنة

3_ ميلاد أحزاب وجماعات مهيمنة جديدة

4_ التشكيلات التي تنتجها الجماعات المهمشة للمناداة بمطالبها

5_ تشكيلات جديدة داخل الإطار القديم تؤكد استقلالية الطبقات المهمشة

6_ دراسة الاتحادات التجارية والأحزاب السياسية

إن إيرادنا لهذه التعاريف ليس من باب الترف والاستشهاد فقط، ولكن من باب مدى استفادة الدراسات التاريخية من توظيفات العلوم الأخرى لمفهوم المهمش. فما مفهوم المهمش في الدراسات التاريخية؟ وما علاقته بالحقول الأخرى؟ وما مدى استفادته منها وتقاطعه معها؟

ثانيا: التغييب والتهميش في الدراسات التاريخية

يشير العديد من الباحثين الغربيين[2] في حقل التاريخ إلى صعوبة تحديد مفهوم دقيق للهامش والدراسات الهامشية، نظراً لتعدد مستويات الهامش من جهة، ومن جهة أخرى لارتحال المصطلح من حقل معرفي إلى آخر، بالإضافة إلى اختلاف السياقات التاريخية للمصطلح، وللتعرف على مفهوم الهامش في الدراسات التاريخية أحاول الاستناد إلى بعض التعريفات الغربية والعربية للمهمشين.

1- مفاهيم التغييب والتهميش في الكتابات التاريخية الغربية

يذهب جان كلود شميث (Jean Claude Schmitt)، أحد رواد الجيل الثالث من مدرسة الحوليات الفرنسية، وأحد أهم المتخصصين في الدراسات الهامشية أن: "مفهوم الهامشية الذي يعكس موقعا شكلياً إلى حدّ ما داخل المجتمع ويعكس وضعية قد تكون مؤقتة من الناحية النظرية على الأقل، وأقل من الهامشية هناك مَفهوم الإدماج أو إعادة الإدماج، التي تشير إلى غياب، أو فقدان وضع هامشي داخل المجتمع، وعلى عكس ذلك، ومن وراء الهامشية، هناك مفهوم الإقصاء الذي يعبّر عن قطيعة مع الجسم الاجتماعي"[3].

---

[1]_ المرجع السابق، ص319.

[2]_ يراجع: جان كلود شميث، تاريخ الهامشيين، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، جاك لوغوف، ترجمة: مُحَمَّد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007. ص441. جيم شارب، التاريخ من أسفل، ضمن كتاب: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، بيتر بوركي، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص54.

[3]_ جان كلود شميث، تاريخ الهامشيين، ص441.

هم أيضا أولئك الناس الذين ليس لهم مقر دائم، و الذين يوجدون في كل مكان، كما يشمل الذين لا يعترف بهم المجتمع، كما لا يصلحون للعيش داخله[1].

وعلى هذا فقد اهتم مؤرخو الفئات الهامشية "بسدّ ثغرات التاريخ التقليدي، وذلك بإعادة المنسيين في التاريخ إلى الذاكرة: متشردون بسطاء، ومجرمون مغمورون، وَسحرة القرى أو مومسات"[2].

ويضيف جان كلود شميث بأن "هذه المفاهيم تعني مستويين من الواقع الاجتماعي لا يتناسبان بالضرورة: مستوى القيم الاجتماعية/ الثقافية، ومستوى العلاقات الاجتماعية/ الاقتصادية، حيث يمكن لفرد، أو لمجموعة أن تساهم في علاقات الإنتاج مع رفضها نماذج المجتمع الأخلاقية، أو يمكن أن تكون مقصاة من تراتبية قيم ذلك المجتمع"[3].

يتضح من التعريف السابق أنه يتقاطع مع تعريف ميشيل فوكو السابق الذكر، ولعل هذا التقاطع يرجع إلى التأثر بالنظرية الماركسية، التي تركز على مفاهيم الطبقة وضرورة استحضار البعد المادي والاقتصادي في التحليل. وفي نظر شميث: الهامشية لا تقف عند هذا التعريف بل تتعداه لتشمل كل الهوامش الجغرافية، وهي تلك الأراضي المجهولة من العالم قديماً، ويسميها "بهوامش العالم"[4]، المليئة بالعجاب والغرائب.

وفي تعريف آخر، يعتبر المدن في العصر الفيودالي تمثل الهامش باعتبارها جسماً غريباً على المجتمع الأوروبي ذو النمط الفلاحي، إذا يقول: "إن المدن بنشاطاتها وبمظهرها وبسكانها وقوانينها هي معقل الهامشية في المجتمع الفيودالي، وأي نشاط حياتي يقوم في هذه المناطق المقفرة، لا يندمج مع القيم وتركيبة المجتمع"[5].

وعليه فإن الهوامش في نظر شميث على صنفين:

الصنف الأول: يتمثل في الهوامش الجغرافية، وهي تلك الأراضي المجهولة من العالم، وغير المأهولة من طرف الإنسان، **والصنف الثاني:** تمثله الهوامش الاجتماعية التي تتحد وفق معيارين: قيم المجتمع والعامل الاقتصادي.

وعليه يبدو مفهوم المهمشين في نظر جون كلود شميث أكثر تعقيدا وأكثر شمولية منه عند ميشال فوكو وانطونيو غرامشي.

---

[1] ــ المرجع نفسه، ص467.

[2] ــ المرجع نفسه، ص473.

[3] ــ المرجع نفسه، ص441-442.

[4] ــ المرجع نفسه، ص443.

[5] ــ إن اختلاف المعايير في مسألة تصنيف ما هو هامشي يجعل من بعض النشاطات والمهن كالجزار والقصاب والجلاد والصباغ كلها مهن اعتبرت هامشية وينظر إلى أصحابها باستصغار، وكذا ينظر إلى المدينة في العصر الوسيط كجسم غريب في مقابلة الأرياف، أين كانت تحتل الأرياف والمجالات الغابية أهمية كبيرة باعتبار النظام الزراعي الرعوي هو النمط الاقتصادي السائد في ذلك العصر. يراجع: جون كلود شميث، تاريخ الهامشيين، ص447.

بينما يعرفه جيم شارب: هو محاولة "لاستكشاف التاريخ من وجهة نظر النفر، لا من وجهة نظر القائد الكبير...بقصد فتح مناطق بحث جديدة، لدراسة تجارب أولئك الرجال، والنساء الذين غالبا ما يتم تجاهل وجودهم، وينظر إليهم بلا اكتراث، أو يرد ذكرهم بصورة عابرة في المسار العام للتاريخ" [1]، أو بعبارة أخرى هو "السعي لفهم تجربة جماهير الناس العاديين في الماضي"[2].

ونقف على تعريف آخر قريب من هذا المعنى، لميشيل دو سارتو(Michel De Certeau)، إذ يعتبر أن تاريخ المهمشين أو "المغيبن/ الغائبين"، كما يحلو له أن يسميهم، هو ذلك التاريخ الخارج عن نطاق المركز، الذي يقابل تاريخ السلالات الحاكمة وتاريخ الكنيسة، هو ذلك التاريخ الذي يؤرخ لبقايا تجاوزها الزمن، هو ذلك التاريخ الذي يؤرخ لتلك الأصوات المكتومة[3].

ونفس الأمر نجده عند المؤرخ جاك لوغوف(Jacques Le Goff)، الذي يعتبر تاريخ المهمشين، هو تاريخ الأفراد العاديين، الذين عاشوا في الماضي تلك المقاربة التي تقدم تاريخ اللباس، وتاريخ الأكل..أنهالتاريخ الأكثر درامية، الذي يمكننا من سبر أعمق للتاريخ الإنساني[4].

ما نلاحظه على هذه التعاريف الثلاثة الأخيرة، أنها تركز على الوظيفة التي تقدمها هذه الدراسات وحدودها، بينما تغفل تعريف المهمشين والهامش عموما، على عكس ما قدمه جان كلود شميث الذي يجعل من عملية التهميش عملية مركبة تتعلق بعوامل متعددة، أخلاقية، مجتمعية، سلطوية..ألخ، بينما يقصر الماركسيون التهميش على الفعل السلطوي.

2- مفاهيم التغييب والتهميش في الدراسات التاريخية العربية

نقف على تعاريف مهمة في الكتابات التاريخية العربية المعاصرة فمحمود إسماعيل: يرى أن التاريخ الحقيقي، هو دراسة تاريخ المعارضة بكل تجلياتها و"تاريخ العوام" أو " قوى الظل"[5]، التي كان لها جهد كبير وفعال في صناعة التاريخ، وما نلاحظه على رؤية محمود إسماعيل، أنه دائما ما يربطها بالطبقات[6]، ويعتبر أن الطبقتين البرجوازية والكادحة تعرضتا للتهميش والتغييب إضافة إلى الطمس المتعمد من طرف السلطة وأعوانهم من مؤرخي البلاط والمؤرخ الفقيه، وعليه فقد أسدل عليهم نوع من الستار المعرفي باعتبارهما تشكلان القوى المعارضة للسلطة.

---

[1]- جيم شارب، التاريخ من أسفل، ص52.

[2]_ المرجع نفسه، ص53.

[3]_ جان كلود شميث، تاريخ الهامشيين، ص437-438.

[4]- جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص59.

[5]- إسماعيل محمود، الحركات السرية في الإسلام، دار سينا، القاهرة، ط1، 1973، ص13.

[6]_ إن الطبقة بحسب رؤية محمود إسماعيل تتحدد وفق الرؤية الماركسية "التي تعتبر الطبقات مجموعة كبيرة من الناس تتحدد مكانتها وفق علاقتها بوسائل الإنتاج والنمط الإنتاجي السائد في ذلك العصر". يراجع: روزنتال وآخرون، الموسوعة الفلسفية، ص284.

بينما نجد تعريفاً آخر لإسماعيل الربيعي، أكثر تفصيلا، إذ يقول: "هو علم يسعى للغور في التفصيلات التي تتعلق بالعامة، حيث الجمهور الذي يعيش ويتنفس، ويكره ويحب، ويشاغب وتنطلق بين جنباته الإشاعات والأقاويل، هو الذي يجب أن تتركز عليه الدراسة لفهم الجماهير ومدركاتها ومواقفها ومشاعرها، والأسباب الكامنة وراء التحديات والرؤى والتصورات والإرادات والموجهات التي تحكمه، سعيا لإعادة بناء مستوى العلاقات التي تنتجها وطريقة تعاطيها مع الواقع والمواقف الصادرة عنها"[1].

على أنّ المصطلح يأخذ تعريفاً أكثر دقة من الناحية النظرية والتطبيقية، مع كتابات إبراهيم القادري بوتشيش فيعتبر أن مفهوم المهمش: "يشمل كل المغضوب عليهم من جانب السلطة، سواء كانوا من تلك الفئات المنبوذة التي ظل صوتها مكتوما...، أو تلك التي تم تحويل صوتها مع مجيء الغازي المنتصر إلى صوت مبحوح طول الزمن"[2]، وعليه فإن مفهومه للمهمش يختلف عن مفاهيم الآخرين، إذ يعتبره عملية مركبة ومعقدة تصدر عن مستويات متعددة، فالتهميش عنده هو تلك "الفئات التي أقصيت من الكتابة التاريخية بسبب انتمائها الطبقي أو الجنسي أو العرقي أو اللغوي أو الثقافي"[3]. بحيث يستلزم من هذا المفهوم "دراسة تاريخ كل الناس"[4] على حد تعبيره.

من خلال استعراض مفاهيم المهمش والمهمشين في الدراسات التاريخية العربية يتضح أنها متأثرة بالمفاهيم الغربية للمهمشين، بحكم أسبقية الدراسات الغربية على نظيرتها العربية، وبحكم تأثر المغلوب بالغالب، لذا ارتأيت التعريج على بداية دراسات المهمش في الكتابات التاريخية الغربية وامتداداتها، نظراً لأسبقيتها المعرفية والتاريخية.

[1]- إسماعيل الربيعي، التاريخ من أسفل..قراءة في القاع الاجتماعي العراقي، لقاء مع مؤسسة الحوار الإنساني بلندن، موقع: مؤسسة الحوار الإنساني، يوم: 30-12-2018، الساعة 14:16 مساء، الرابط: http://www.hdf-iq.org/ar/2010-12-01-13-54-53/news/827.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014، ص20.

[3]- المرجع نفسه، ص 20.

[4]- المرجع نفسه، ص45.

المطلب الثاني: منطلقات وامتدادات دراسات التغييب والتهميش في الكتابات التاريخية الغربية

الفرع الأول: منطلقات دراسات المهمشين في الكتابة التاريخية الغربية

مرت الكتابة التاريخية الغربية الحديثة والمعاصرة بمخاضات عديدة[1]، حتى تشكلت في ظل مذاهب واتجاهات من بدايات النهضة الأوروبية إلى أن تبلورت على صيغتها الحالية، ما أنتج رؤى، ومناهج مختلفة لفهم التاريخ وطريقة كتابته، وقد أفرزت مدرستين تاريخيتين كبيرتين، فرخت باقي الممارسات والأشكال من الكتابات التاريخية.

عرفت الأولى باسم المدرسة الوضعانية أو المدرسة المنهجية، التي استلهم أعلامها مناهج العلوم الطبيعية، وطبقوها في مجال التاريخ، بغية إعطاء المعرفة التاريخية بعداً علمياً[2]، حيث لعبت هذه المدرسة دوراً مهماً في "ضبط وتقنين المنهجية التاريخية"[3]. ومن أبرز أعلامها؛ الذين أسهموا في تأسيس هذه المدرسة ووضع معالمها الألماني ليوبولد فان رنكه(Leopd Von Ranke) (ت 1886م)، الذي تنسب إليه[4]، إضافة إلى الرافد الفرنسي الذي تدعمت به المدرسة، ومن أعلامه البارزين: جابرييل مونود(Gabriel Monod)، وشارل لانغلوا (Charles Langlois)،وشارل سينوبوس(Charles Seignobos) [5]، إذ نظروا جميعا لعلم التاريخ على أنه "قادر على استرجاع الصورة التي وقعت فيها أحداث الماضي فعلياً"[6].

وقد اعتمدت منهجيتهم التاريخية بالأساس على المناهج الوضعية كضامن وحيد "لموضوعية المعرفة"[7] التاريخية وعلميتها، في المقابل تعد الوثائق التاريخية الركيزة الأساسية لتدوين التاريخ وكتابته، إذ لا بديل عن

---

[1] ـ للمزيد حول مسار تطور الكتابة التاريخية الغربية الحديثة والمعاصرة يراجع: هاري إلمرانز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ج1، ج2. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ –الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 4، 2005، ج1 و2. خالد طحطح، الكتابة التاريخية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012. وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ –اتجاهات مدارس ومناهج–، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط2، 2013. الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير، لبنان، بيروت، ط1، 2013. قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2013. محمد حبيدة، المدارس التاريخية –برلين، السوربون، استراسبورغ–: من المنهج إلى التناهج، دار الأمان، الرباط، ط1، 2018.

[2] ـ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ المفاهيم والاصول، ج2، ص236.

[3] ـ خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص73.

[4] ـ وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص164.

[5] ـ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ص84.

[6] ـ المرجع نفسه، ص88.

[7] ـ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ.. المفاهيم والأصول، ج2، ص236.

الوثائق فحيث "لا وثائق فلا تاريخ"[1]، ولتوظيف ذلك كله لابد للمؤرخ أن يبقى على الحياد من الموضوع التاريخي المراد دراسته[2]، فهو مطالب بجمع المصادر والوثائق والتأكد من صحتها ومصداقيتها، وفق منهجية النقد الخارجي والنقد الباطني للنصوص التاريخية.

وفق هذه الرؤية المنهجية الصارمة التي توظف مناهج العلوم الطبيعية، وتستعمل الوثائق الرسمية وتجعل من المؤرخ أداة للرصف، يغدو التاريخ في نظرهم "علماً صاف مثل الفيزياء أو علم الأحياء"[3]، وقد ركز رواد هذه المدرسة على دراسة الموضوعات والأحداث السياسية في بعدها الزمني الكرونولوجي، وذلك بالوقوف على أسباب الحوادث العارضة والجزئية، دون مراعاة أسباب التحولات العامة[4].

وبالرغم من التأثير البارز الذي مارسته هذه المدرسة على أجيال متعاقبة من المؤرخين الغربيين وغيرهم، خاصة "بعد صدور كتاب المدخل إلى الدراسات التاريخية، الذي أضحى خطابا عالميا في المنهج التاريخي"[5]، ما حدا بباحث كالهادي التيمومي إلى التعبير عن هذا التأثير بقوله عنها أنها كانت: "بمثابة المحطة الضرورية في حياة كل مؤرخ يحترم نفسه وصناعته"[6]، غير أن هذا التأثير الذي مارسته على أجيال من المؤرخين، لم يسلم من سهام النقد والمراجعة من لدن أصحاب الرؤية الماركسية، بالإضافة إلى علماء الاجتماع، وازدادت هذه الهجمة على مناهج المدرسة ورؤيتها مع تأسيس مدرسة الحوليات الفرنسية.

وحتى تتضح الرؤية أكثر ينبغي توضيح انتقاداتهم على منهجية هذه المدرسة ورؤيتها للتاريخ، حيث أنصبت انتقاداتهم على جانبين أساسيين:

يتمثل الجانب الأول في كون أعلامها يركزون على الوثائق الرسمية[7] حتى غدت مقولة "لا تاريخ بدون وثائق"، تحيل مباشرة على منهجية هذه المدرسة التاريخية، مع اهمال بقية المصادر والمظان المهمة، بالإضافة لحصرها دور المؤرخ في جمع الوثائق والمصادر ومقابلتها والتحقق من صحتها، ومن ثم استخراج الحقائق التاريخية منها.

---

[1] ـ لانجلوا وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، ضمن كتاب: النقد التاريخي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1981، ص05.

[2] ـ وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص165.

[3] ـ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، ص89.

[4] ـ وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص176.

[5] ـ المرجع نفسه، ص167.

[6] ـ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، ص83.

[7] ـ وقد أقتصر مفهوم الوثيقة في نظر رواد المدرسة على الوثائق الرسمية المكتوبة، مع إهمال ظروف تشكل هذه الوقائع والأحداث التي توردها الوثائق، وبالتالي وقعت في التاريخ الحدثي الآني. يراجع: عبد الرحيم الحسناوي، النص التاريخي –مقاربة إبستيمولوجية وديداكتيكية–، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص59-64.

ويتلخص الجانب الثاني في اقتصار مواضيعها على "الأحداث السياسية"[1] والعسكرية والإدارية وتاريخ الملوك والزعماء والشخصيات البارزة، بتعبير أدق يعتبر التاريخ في تصور أصحاب هذه المدرسة "بمثابة رواية عن أعمال العظماء"[2]، ومما زاد من حدة انتقادات غيرهم هي دراستهم للأحداث في شكل قطع متناثرة ليس بينها رابط يجمعها، بالإضافة إلى تناول هذه الوقائع في زمان معين ومكان محدد، دون النظر في ما خلفيات وما بعد الحدث، وهو ما يطلق عليه فرناند بروديل (Fernand Braudel) بتحليل التاريخ في "الزمن القصير"[3]، بالإضافة إلى إهمال باقي الجوانب الفاعلة في التاريخ والصانعة له.

هذه الانتقادات والمراجعات أدت إلى حدوث جدل كبير حول مهنة المؤرخ[4]، هل هي قائمة على مناهج العلوم الطبيعية؟ أم لها مناهجها الخاصة التي تميزها عن غيرها؟ باعتبار أن مناهج العلوم الطبيعية قائمة على التحليل، الذي يخضع الظاهرة للتجربة والملاحظة والاستقراء والمقارنة، بينما تقوم مناهج العلوم الإنسانية على الفهم والتأمل، وبالضرورة فالتاريخ ينبني على استرجاع الأحداث السابقة وإعادة تركيبها[5]، وفق رؤية تأوليه تصنع الماضي من وجهة نظر الحاضر.

إلى جانب هذه الرؤية التي تختزل التاريخ في بعده الحدثي السياسي، تبلورت اتجاهات ومدارس جديدة نظرت إلى التاريخ بطريقة مختلفة، مولّدة مفاهيم جديدة وموضوعات مبتكرة ومناهج مستحدثة للتعاطي مع التاريخ ومادته، وهذا ما عبَّر عنه عبد الله العروي بقوله: "التاريخ الوضعاني ليس التاريخ الوحيد..، بل هو تأليف واحد بين عدة تآليف ممكنة"[6]، وقد ساهمت هذه الاتجاهات الجديدة بشكل كبير في نشوء الدراسات الهامشية في الحقل التاريخي الغربي وأدت إلى نضجه، وعليه نذكر أهم هذه المحطات:

أولا: الرؤية الماركسية للتاريخ ومفاهيم الطبقة:

نشأت الماركسية على يد كارل ماركس (Karl Marx) وفريدريك إنجلز(F. Engels)، وقد مثلت أفكارهما نقلة نوعية في مجالات عديدة كالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ والنظريات السياسية والاقتصادية، حيث شكلت المناهج الماركسية منعرجاً مهماً في طريقة تناول الحقائق، وقد تلخصت الرؤية

---

[1] ـ هاري إلمربارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج2، ص56.

[2] ـ جيم شارب، التأريخ من أسفل، ص52.

[3] ـ قدم فرناند بروديل أحد رواد مدرسة الحوليات مفهوما جديد للزمن وفق ثلاث مستويات: "الزمن الطويل" و "الزمن الدوري" و "الزمن القصير"، ويقتصر مفهوم الزمن القصير على دراسة الاحداث السياسية والعسكرية. يراجع: محمّد حبيدة، مدرسة الحوليات.. مفاهيم التحليل البروديلي، مجلة أمل، المغرب، عدد3، السنة1993، ص77-90.

[4] ـ وهذا ما جعل مارك بلوخ يؤلف كتاب حول هذه القضية المهمة تحت نفس المسمى. يراجع: مارك بلوخ، دفاعا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ترجمة: أحمد الشيخ، منشورات المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، القاهرة، ط2، 2013.

[5] ـ خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص74.

[6] ـ عبد العروي، مفهوم التاريخ –المفاهيم والأصول-، ج2، ص237.

الماركسية في مقولتين أساسيتين: المادية الجدلية والمادية التاريخية، وما يهمنا من هذه النظرية هو رؤيتها للتاريخ؛ وكيف ساهمت في الانفتاح على التاريخ الاجتماعي وقضايا المهمشين والشرائح الاجتماعية.

تقدم الماركسية نفسها على أنها النظرية العامة لحركة المجتمعات وتطورها[1]، وقد أثرت مفاهيمها ورؤيتها على تيارات المعرفة عموما، وحقل البحث التاريخي على وجه الخصوص، حيث يعدها بعضهم على أنها "أعظم ثورة فكرية أثرت في علم التاريخ.. [ويرجع ذلك بالأساس إلى جمعها] بين النظرية والتطبيق، وبين تفسير العالم وضرورة تغييره"[2]، ولعل ما وصف به لويس ألتوسار(Louis Althusser)، الماركسية – على أنها فتحت "قارة التاريخ"–[3]، لخير دليل على مدى تأثيرها في المعرفة التاريخية المعاصرة.

ويعد كتاب "رأس المال" أهم عمل تركه كارل ماركس، والذي صدر بأجزائه الثلاثة على سنوات مختلفة، المجلد الأول سنة (1867م)، وصدر الجزآن الآخران بعد وفاة ماركس بعد أن أكمل صديقه إنجلز مهمة إخراجهما، فصدر الجزء الثاني سنة (1885م) والثالث سنة (1894م)، وقد فرضت الماركسية نفسها بعد الحرب العالمية الثانية، حيث اتجهت اهتمامات المؤرخين إلى القضايا الاجتماعية والعمالية[4].

تقر النظرية الماركسية بشقيها الجدلية المادية والجدلية التاريخية، أن "الوعي هو نتاج الواقع المادي وانعكاس له، والإنسان هو خالق الأفكار وكل التصورات، وهو الفاعل الرئيسي في الطبيعة والتاريخ"[5]، وأساس وأساس هذه النظرية أنها تؤكد على أنّ لكل ظاهرة قوانينها الداخلية التي تحكمها، وفق مبدأ الجدل المادي والتناقض الطبقي، وما يهمنا في فكر كارل ماركس هو ما يتعلق بتطور المجتمعات، وقدتمثل في مقولته الأساسية ألا وهي الجدلية التاريخية، إذ يعتبر أن الوضع الاقتصادي أو نمط الإنتاج[6] لأي مجتمع من المجتمعات، هو الذي الذي يحدد الوضع الاجتماعي لكل مجتمع، ومن جهة أخرى هو المسؤول عن التغيرات والتطورات فيه، وبدوره هو الذي يحدد وضعه السياسي والديني والثقافي.

---

[1] ـ غي بوا، الماركسية والتاريخ الجديد، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، ص407.

[2] ـ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ص123.

[3] ـ المرجع نفسه، ص131.

[4] ـ فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص112.

[5] ـ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ص125.

[6] ـ نمط الإنتاجأو أسلوب الإنتاج هو طريقة تتحدد تاريخيا للحصول على ضرورات الحياة كالمأكل والملبس والمسكن وأدوات العمل وا إلى ذلك، وأسلوب الإنتاج هو الأساس المحدد للنظام الاجتماعي في المجتمع، وما يسوده من أفكار وآراء ومؤسسات سياسية...، ولقد ظهرت سلسلة متعاقبة من أساليب الإنتاج منذ بدء المجتمع الإنساني النظام المشاعي البدائي، والنظام العبودي، والاقطاعي، والرأسمالية، والإشتراكي. يراجع: روزنتال وآخرون، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د.ت، ص28.

وتتلخص المادية التاريخية في مفهومين أساسيين[1]:

1- مفهوم القوى المنتجة؛ وتشمل كل من مصادر الطاقة (بترول، خشب، فحم....)، الآلات (التقنيات، العمال...)، ويولي ماركس أهمية بالغة للقوى المنتجة من خلال معرفة مدى تطورها عبر التاريخ، فدرجة التطور والنمو هي التي تحدد الوضع الاجتماعي لكل مجتمع.

2- علاقات الإنتاج؛ وتتمثل قديما في طريقة توزيع الأرض ونظام الضرائب وأوضاع الفلاحين والمزارعين...ألخ، باختصار تتعلق بعلاقة العامل بصاحب رأس المال، بينما تنتظم حديثا في نظام العمل وساعات العمل وتوزيع الثروة ووضع العمال والنقابات وغيرها.

وعليه فإن أنماط الإنتاج هي المحدد لبنيات المجتمع، فالبنية التحتية والمتمثلة في القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج، هي القاعدة الأساسية لتطور المجتمعات والعامل الأساسي الذي تتشكل عليه البنية الفوقية السياسية والدينية والثقافية، حيث تركز الرؤية الماركسية بالأساس على التناقض الموجود بين الأشياء والذي يتحكم فيها ويؤدي إلى حتمية التغيير والتبدل.

ومن هذين المفهومين الأساسيين تتشكل مجموعة من المبادئ الأساسية [2]:

- نمط الإنتاج هو المحدد للتاريخ وللأشكال الاجتماعية المتنوعة.
- تأتي البنى الفوقية في الدرجة الثانية من حيث الأهمية فالأساس في تطور المجتمعات هو البعد الاقتصادي.
- الطبقات الاجتماعية هي وليدة الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وعلاقة هذه الطبقات بعضها ببعض هي علاقة صراع.
- تعتبر الدولة جهاز في خدمة الطبقة المهيمنة اقتصاديا.
- تعتبر الماركسية نفسها نظرية في خدمة الطبقة البروليتارية.

ويعد هذا المبدأ الأخير هو أساس البحث في تاريخ الطبقات الهشة والطبقة العمالية بالخصوص، ومنه تشكل البحث في الطبقات المهمشة باعتبارها العامل الأساسي في صنع التاريخ، أيضا يمكن عد هذه المبادئ السبب الأساسي الذي أدى إلى النظر في التحقيبات التاريخية السائدة، والقائمة بالأساس على نظام السلالات الحاكمة ليحل محلها العامل الاقتصادي.

ولا أحد ينكر دور النظرية في الاهتمام بفاعلية الجماهير في صناعة التاريخ، وأن التاريخ لا يصنع من طرف الحكام، فتاريخ "الملوك ليس بداية التاريخ ولا نهايته"[3]، وعليه فقد انتقل التاريخ معهم من تاريخ للحكام

---

[1] ـ وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص181.

[2] ـ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، 126.

[3] ـ فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، ص114.

إلى تاريخ للطبقات الهشة والطبقة العمالية من فلاحين وحرفيين ومزارعين ...الخ، ونستطيع القول أن التاريخ في الرؤية الماركسية هو تاريخان: تاريخ الطبقة الكادحة وتاريخ الطبقة الحاكمة.

ثانيا: علم الاجتماع ودراسات المهمشين في التاريخ

لقد ارتكز علم الاجتماع في صيغته الكلاسيكية على مقولات عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (E. Durkheim)، والألماني ماكس فيبر (Max Weber)، حيث تركزت نظرتهم في استخدام مفاهيم "البنية"، إذ يركزون على دراسة الظواهر في كليتها دون النظر إلى أجزائها، ولكن بعد ظهور مدرسة شيكاغو في أمريكا "ابتداء من سنة (1940م)، بدأ المؤرخون الأمريكيون يتحررون من التأثير الذي كان يمارسه عليهم ماكس فيبر (Max Weber)، ومنهجه التحليلي"[1]، ونفس الأمر حدث مع مفاهيم إميل دوركايم، إذ مثلت التحولات التي أحدثتها مدرسة شيكاغو الأمريكية في مسلمات علم الاجتماع الكلاسيكي، دافعا مهما نحو الاهتمام بالمهمشين.

لهذا يشير بعض الباحثين أن مصطلح المهمشين قد استخدم في سياق التأريخ لجماعة بشرية نشأت في أمريكا، حيث تعود نشأة هذه الحركات إلى المجتمع الأمريكي في العقد الثالث من القرن العشرين (1920-1930م)، حيث استقطبت اهتمامات السوسيولوجيين الأمريكان مع مدرسة شيكاغو[2]، والظاهر أن دراسات السوسيولوجيين كانت السباقة لاستخدام المصطلح بعد ما تم إعادة النظر في منطلقات علم الاجتماع الكلاسيكي.

ثالثا: مدرسة الحوليات الفرنسية

أحدثت مدرسة الحوليات هزة كوبرنيكية في مجال الدراسات التاريخية في القرن العشرين، وقد تأسست على يد كل من مارك بلوخ (Marc Bloch)، ولوسيان فيفر (Lucien Fever)[3]، حيث ساهمت في هذه النشأة العديد منالظروف الاقتصادية والسياسية وكذا الهموم المعرفية.

غير أن ما يهمنا هنا هي تلك الهموم المعرفية لرواد مدرسة الحوليات التي سوف تسهم في ظهور الدراسات الهامشية، علماً أن من الأمور التي ساعدت في تأسيس مدرسة الحوليات ظهور علم الاجتماع الذي حاول أن يوحد العلوم تحت مظلّة علم الاجتماع، وفق منهج واحد ورؤية واحدة، ومن بينها علم التاريخ، يقول دوركايم في بيان هذه الفكرة "التاريخ لا يمكنه أن يكون علما إلا إذا قام بالتفسير، ولا يمكن للتاريخ أن يفسر إلا عندما يقوم بالمقارنة، وعندما يقوم التاريخ بعملية المقارنة فإن التمييز بينه وبين السوسيولوجيا ينعدم"[4]، وربما

---

[1] ـ يراجع: محمّد العيادي، المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية، مجلة أمل، العدد15، 1998، ص26.

[2] ـ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص47.

[3] ـ يعود تأسيس مدرسة الحوليات إلى ظهور مجلة "حوليات: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" الصادرة في 15 يناير 1929م، يراجع: خالط طحطح، الكتابة التاريخية، ص85.

[4] ـ محمّد العيادي، المدارس التاريخية، ص30.

هذه الفكرة التقزيمية والاختزالية للعلوم الأخرى هي ما أذن بفشل فكرته بتوحيد العلوم تحت مظلة علم الاجتماع.

والجدير بالذكر أنّ هذه الفكرة الدوركايمية التقفها كل من مارك بلوخ ولوسيان فيفر من أجل إقامة توليفة أو "علاقة تعاون بين العلوم"[1]، وذلك "بالأخذ من كل شيء"[2]، بدل توحيد هذه العلوم وانصهارها في علم واحد.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن إميل دوركايم كان له فضل كبير في ميلاد مدرسة الحوليات وهذا ما صرح به مارك بلوخ بقوله: "إن إميل دوركايم كان أحد عرابي الكتابة الحولياتية.. لقد علّمنا أن نحلل تحليلاً أعمق، وأن نحصر المشكلات، وأجرؤ على القول أنه علمنا ألا ننزلق إلى التفكير السهل"[3].

وما يمكن استنتاجه أن نشأة مدرسة الحوليات هي نتيجة طبيعية للظروف الاقتصادية والسياسية والمعرفية التي مرت بها الحضارة الغربية، كما أنها تعتبر ردة فعل لما جاءت به المدرسة المنهجية التي كرست للمناهج الوضعية، والتي قيدت دور المؤرخ وقزمت من مهمته، فأصبح التاريخ معها مجرد سرد للأحداث السياسية والبطولات الفردية، وبالتالي يمكن عدها بداية حقيقية لتاريخ جديد؛ يستوعب ما هو قديم ويتجاوزه في إطار توليفة منهجية ومعرفية تعطي الأولوية للمجتمع بدل السلطة وتعلي من قيمته الفرد العادي بدل البطل.

رغم إقرار مارك بلوخ أحد أعلام هذه المدرسة ومؤسسيها، أن الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية بدأ مع فولتير (Voltaire)، الذي أكد على تجاوز البعد السياسي، إلى الاهتمام بالتغيرات الأخرى كالسكان والاقتصاد والأخلاق والقوانين[4]، إلا أنّ لحظة الحوليات تعتبر المنعطف الجديد في فهم التاريخ وممارسته، بحيث أصبح "هدف التاريخ أن يعكس لحظتنا التاريخية وتجارب الحياة..، ثمة نمط جديد من التدوين التاريخي.. خرج إلى الوجود، ومعه تفسير لما كان مسكوتا عنه لفترة طويلة من الزمن"[5]، وعليه فإن كتابة التاريخ مع مدرسة الحوليات عرفت انعطافة مهمة من الاهتمام بالتاريخ السياسي والعسكري إلى الاهتمام بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ويمكن القول أن من أهم أسباب تبلور الدراسات الهامشية كفرع مستقل عن التاريخ الاجتماعي داخل مدرسة الحوليات، هو ما شهدته مفاهيم التاريخ من تطور في ظل هذه المدرسة، ما أدى إلى "توسيع مجال

---

[1] ـ وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص200.

[2] ـ دوس فرونسوا، التاريخ المفتت، ص48.

[3] ـ المرجع نفسه، ص48.

[4] ـ خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص72.

[5] ـ روبين ميري، ما التاريخ الثقافي الآن؟، ضمن كتاب: ما التاريخ الآن، ديفيد كانادين، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص151.

التاريخ الاجتماعي"[1]، بالإضافة إلى انفتاح مؤرخي الحوليات مع جيلها الثالث على الأنثربولوجية الثقافية والتخلي عن مفاهيم بروديل حول الزمن، وعليه فإنهم "منذ أواخر ستينات القرن العشرين، ونتيجة انفتاحهم على مناهج مؤرخين من خارج فرنسا، عمَّق مؤرخو الجيل الثالث دراساتهم الثقافية، لتشمل دراسة العائلة والأطفال والنساء وغيرها من الدراسات الثقافية التي تركز على دراسة الذهنية الجماعية (Mentalités) في الزمن الاجتماعي"[2].

هذا إلى جانب التأثيرات التي مارستها دراسات ميشيل فوكو التجديدية، مما "أورث المؤرخين بعض الرؤى الثاقبة ومنهجا"[3]، ساهم في ظهور وتبلور إشكالات تولدت عنها موضوعات جديدة، حتى أنها في بعض الأحيان تصل حد "الطرافة بحيث دخل في نطاق اللامعقول، ولكن البعض الآخر كان بحق استكشافاً جاداً لمناطق جديدة في الفكر التاريخي الإنساني؛ لم يسبق أن كانت مجالاً للبحث والدراسة وإن كانت موجودة على الدوام في تاريخ التأريخ"[4].

ومن الخصائص التي يؤكدها جان كلود شميث أحد المتخصصين في الدراسات الهامشية، أن التهميش في ظل مفاهيم مدرسة الحوليات "مرتبط بنظام قيمي"[5]، تفرزه العلاقات الاجتماعية والثقافية لمجتمع معين، مما يشكل نوع من التراتبية داخل المجتمع، على عكس ما تقول به مدرسة التاريخ من أسفل البريطانية ومدرسة التابع الهندية التي تركز على التهميش باعتباره فعلاً سلطوياً.

رابعا: مرحلة ما بعد الحداثة

تعتبر مرحلة "ما بعد الحداثة"، أحد أهم المحطات التي ساهمت في نشوء الدراسات الهامشية من خلال تكسيرها وتحطيمها للأنساق والأسس الكلاسيكية للعلم والمعرفة[6]، "لقد شكلت ما بعد الحداثة نوعا من اليسار الجديد، وارتبطت بقضايا المهمشين والنساء والهوية والتحرر والاختلاف وإنسان العالم الثالث، وكل ما يتصل بمشكلات ما بعد الاستعمار"[7]، هذه الفترة التي خلَفت المبادئ المبنية على التقابلات الثنائية؛ كالذات والموضوع، العقل والجنون، المركز والهامش..الخ.

---

[1] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص57.

[2] ـ قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب، ص204.

[3] ـ روبين ميري، ما التاريخ الثقافي الآن؟، ص154.

[4] ـ خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص57.

[5] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، التاريخ من أسفل.. في تاريخ الهامش والمهمش، منشورات الزمن، المملكة المغربية، ط1، 2016، ص22.

[6] ـ الزواوي بغورة، ما بعد الحداثة والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية -دراسة نقدية-، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، 2009، ص14-15.

[7] ـ المرجع نفسه، ص37-38.

ومن أعلامها البارزين الذين تركوا بصمة فارقة في مجال دراسات المهمش، الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو" (Michel Foucault)، وهو يلتقي مع مدرسة الحوليات في جوانب عديدة من موضوعاتها التاريخية، رغم وجود ذلك الاختلاف في الأدوات المستعملة وفي طريقة قراءة التاريخ.

وقد مثلت دراساته حول موضوعات عديدة، ومبتكرة حول تاريخ الجنون وتاريخ الجنسانية، موضوعات تتقاطع في كثير من الأحيان مع أعمال مؤرخي الحوليات، أو لنكن أكثر دقة؛ لقد كان له الفضل في فتح أعين مؤرخي الحوليات على مثل هذه الموضوعات الهامشية، "وما أورثه فوكو للمؤرخين هو التاريخ متجسداً؛ إذ فتح عيوننا على الأجساد بالمستشفيات والعبادات وفي الملاجئ والسجون..، وبالنسبة لفوكو كانت هذه الأجساد التي تعتبر هامشية أو ضالة في نظر مجتمعاتها، من دلائل السلطات التي تمارس على الجميع، من خلال الخوف ومن خلال التحكم في المعرفة وتشكيلها، ومن خلال تقديم الأعراف والتقاليد على أنها الطبيعية، هذه السيطرة والتحكم تطبق على الجميع وليس على أولئك الذين كان مآلهم المشانق أو غياهب السجون"[1]، وعليه فإن المؤرخين قد استفادوا منه من خلال انفتاحهم على هذه الموضوعات التي صنفت فيما بعد في خانة تاريخ الذهنيات أو التاريخ الثقافي للمجتمعات، وهي من بين اهتمامات الجيل الثالث من أجيال مدرسة الحوليات.

ويذكر سعيد بنكراد في مقدمة ترجمته لكتاب مشيل فوكو "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"، أن الكتاب يعد بمثابة الانطلاقة الحقيقية لمشروعه، الذي ضمنه كل ما يعد خارجاً عن حدود العقل، من حيث اهتمامه بالسلوكات الشاذة والغريبة، كل ذلك من خلال دراسته للمجانين في العصر الكلاسيكي، فقد اخترق ممارسات السحر والشعوذة والطقوس الاستثنائية التي أنتجتها التجربة الإنسانية[2].

وعلى هذا فقد تتبع المستشفيات في العصر الكلاسيكي التي ظهرت سنة (1661م)، باعتبارها أداة للقمع والحجز، حيث أنشئت في "بداية الأمر في فرنسا بأمر ملكي لمحاربة العطالة والتسكع والتسول في الشوارع وأبواب الكنائس، ليصبح بعد ذلك غولا هائجا سرعان ما ابتلع في طريقه كل شيء. ابتلع كل الذين يوجدون على جنبات خط رفيع لا يرى رسمته المصالح الخاصة والعامة: مصلحة العائلة، مصلحة المجتمع، مصلحة الدولة"[3]، هذه المصالح الخاصة والعامة التي يراها فوكو ممارسات قمعية استعملت سلطة العقل كأداة تبريرية لتهميش كل ما يخالفها.

---

[1] ـ روبين ميري، ما التاريخ الثقافي الآن؟،ص153.

[2] ـ فوكو ميشيل، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص11.

[3] ـ المرجع نفسه، ص14.

يمكننا القول أنّ الموضوعات التي درسها فوكو مثلت ثورة في المنهج كما عبر عن ذلك بول فيين، "إن فوكو هو المؤرخ الكامل هو اكتمال التاريخ، إن هذا الفيلسوف واحد من أعظم مؤرخي عصرنا"[1]، وقد مثلت دراساته إضافة متميزة لدراسات المهمش، وهذا ما يؤكده لنا جاسم الديبسي، صاحب الدراسة المهمة عن ميشيل فوكو "أنه استطاع من خلال حفره الأركيولوجي في الحقبة الكلاسيكية أن يظهر لنا تاريخا مهمشاً.. فقد أبرز بالوثائق"[2]، أن العقل الغربي قد عجز عن "إدراك الجنون في العصر الكلاسيكي...، وتعبر في الوقت ذاته عن انقسام المجتمع إلى الذات والآخر، إلى السوي والمرضي، إلى المألوف والغريب، إلى العاقل والمجنون، إلى الأساسي والهامشي، ويعد تاريخ الجنون وفق هذا التصور تاريخاً للمبعد والمهمش والغريب والأجنبي"[3]، وعليه فإن مشروعه التاريخي كما عبر عنه في كتابه تاريخ الجنون هو عبارة عن "إعادة كتابة تاريخ الإقصاء"[4] في التاريخ الأوروبي.

خامسا: الأدب والدراسات ما بعد الكولونيالية:

برزت الدراسات ما بعد الكولونيالية في حقل الأدب والنقد الثقافي[5]، على يد مجموعة من المفكرين والأدباء والنقاد البارزين من أمثال ادوارد سعيد (Edward Said)[6]، وجياتاري سبيفاك (Gayatri Sbivak)، وهومي بابا (Homi Bhabha)[7]، حيث مثلت أعمالهم، الانطلاقة البارزة التي ساهمت في تبلور دراسات المهمش التاريخية، وقد أخذت موضوعات الهامش حيزاً مهماً في النظرية ما بعد الكولونيالية.

---

[1] _ بول فيين، أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار االفكر للدراسات، القاهرة، ط1، 1993، ص309.

[2] _ جاسم حيدر عبد السادة الدبيسي، التجديد في المنهج والتأريخ الجديد لدى ميشيل فوكو، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2016، ص187.

[3] _ الزواوي بغورة، ما بعد الحداثة والتنوير، ص134.

[4] _ فوكو ميشيل، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ص105.

[5] _ ما بعد الكولونيالية أو دراسات ما بعد الاستعمار، اتجاه أطلق على الدراسات التي تهتم بنقد وتفكيك الخطاب الاستعماري حول بلدان العالم الثالث. يراجع: بسمة جديلي، دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، عدد09، السنة2016، ص234.

[6] _ يعد إدوارد سعيد من مؤسسي هذا الحقل الدراسي، حيث كتب كتابين مهمين في هذا الشأن، الأول بعنوان "الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق"، والثاني بعنوان " الثقافة والإمبريالية"، يعدان مصدران أساسيان لكل من أراد الكتابة في موضوع الدراسات ما بعد الكولونيالية. يراجع: إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: مُحَّد عناني، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2006. إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 2014.

[7] _ يعد من بين أهم المنظرين لدراسات ما بعد الكولونيالية. يراجع كتابه: موقع الثقافة، ترجمة: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004.

حتى "صارت فكرة المهمش موضوعا منموضوعات نظرية ما بعد الكولونيالية عندما انتقدت "جاياترى سبيفاك فرضيات جماعة دراسات المهمشين في مقالها، هل بإمكان المهمشين أن يتحدثوا؟"[1].

وقد مثل مقالها السابق؛ الأساس المنهجي للدراسات التي تهتم بصوت المقهورين والمغلوبين من الشعوب.

ومن بين أهم الأهداف التي سعى إليها أصحاب دراسات المهمش الغربية، هو إخراج الكتابة التاريخية من صفتها الرسمية الأكاديمية التي تركز على الفعل السياسي ودور العظماء، إلى عامة القراء، والجماهير المتعطشة لمعرفة الماضي بكل تفصيلاته وتنويعاته، وكذا من دور السياسة إلى دور المجتمع، ومن دور العظماء والأبطال إلى دور الأفراد العاديين.

وقد سعت هذه الاتجاهات من منطلقات العلوم الاجتماعية المعاصرة، ومرحلة ما بعد الحداثة، ودراسات ما بعد الكولونيالية إلى تفكيك المركزية الأوروبية، وإعادة الاعتبار لعوالم أخرى[2]، "لا تاريخ لها"[3]، في ظل هذا السياق المفعم بالتجاذبات المنهجية والمعرفية برزت أشكال وممارسات ساهمت في إخراج الكتابة التاريخية من التاريخ الرسمي الأكاديمي إلى التاريخ الجماهيري الشعبي، من تاريخ السياسة إلى تاريخ المجتمع، من تاريخ الأبطال والعظماء إلى تاريخ الأفراد العاديين، وقد شهدت هذه المقاربات المبتكرة امتداداً واسعاً في أوروبا وباقي بلدان العالم.

الفرع الثاني: امتدادات دراسات المهمشين في الكتابات التاريخية الغربية

لقد شكلت التصورات الماركسية وسياقات ما بعد الحداثة، وتطورات ما بعد الكولونيالية، وممارسات مدرسة الحوليات الفرنسية، دافعاً مهماً لظهور الدراسات الهامشية في ميدان البحث التاريخ الغربي، وساعدت في امتدادها في مجالات جغرافية عديدة، مما نتج عنه مجموعة من المدارس والممارسات التاريخية.

التي أغنت المعرفة التاريخية العالمية عموما وحقل الدراسات الهامشية على وجه الخصوص، وعليه سوف نعرج على أهم هذه الممارسات والمدارس التاريخية الغربية التي اهتمت بالتأريخ للفئات المهمشة[4].

---

[1] ـ بيل اشكروفت، وآخران، دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الأساسية، ترجمة: أحمد الروبي، وآخران، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص321.

[2] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص47-48.

[3] ـ تعود هذه الصياغة لعنوان كتاب. إريك وولف، أوروبا ومن لا تاريخ لهم، ترجمة: فاضل جتكر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط01، 2004.

[4] ـ ويرجع الفضل في بيان هذه الامتدادت لما كتبه الباحثان خالد طحطح وخالد اليعقوبي، لمزيد من التفصيل حول امتدادات دراسات المهمش في الكتابات التاريخية الغربية. يراجع: خالد طحطح وخالد اليعقوبي، التأريخ من أسفل .. في تاريخ الهامش والمهمش، ص63-94.

أولا: مدرسة التاريخ من أسفل

ظهر هذا الاتجاه على يد عدد من المؤرخين الماركسيين البريطانيين في الستينات من القرن العشرين، من أمثال كريستوفل هيل (Christoffel Hill) وإريك هابسبوم (Eric Hobsbawm) وإدوارد جون ثومبسون (Edward Jhon)[1]، ويعد هذا الأخير أول من استخدم هذا المصطلح في الدراسات التاريخية من خلال مقاله المعنون بـ " History From Below"، الصادر سنة (1966م) في ملحق جريدة التايمز الأدبي، ثم انتشر بعد ذلك في دراسات المؤرخين[2].

وقد توجه هؤلاء المؤرخون إلى منظور جديد في الكتابة التاريخية ينطلق من أسفل الهرم، بدل المفاهيم القديمة التي تركز على التاريخ من قمة الهرم أو ما يطلق عليه "تاريخ الجالسين على القمة"[3]، لكن من أجل كتابة تاريخ بهذا المنظور؛ تحتم على المؤرخين في ظل هذه المدرسة إحداث مجموعة من التغيرات في الرؤية الماركسية.

ويقر هابسيوم بصعوبة البحث في مثل هذه المواضيع نظراً لغياب الوثائق والمصادر، ما يصعب على المؤرخ كتابة تاريخ هذه الفئات[4].

وهذه المدرسة نشأ كرد فعل على الحتمية الجغرافية[5] التي كرستها مدرسة الحوليات مع "فرناند بروديل"، إذ يرفض أصحاب هذه المدرسة "أن يظل عامة الناس مجرد ظلال مؤثثة تتقاذفهم الحتمية كما صورتها الأرثوذوكسية، أو الحتمية الجغرافية كما هي في التاريخ الشبه الراكد عند فرناند بروديل، ومن سار على نهجه في مدرسة الحوليات"[6].

في المقابل من ذلك فإنه يمثل اتجاهاً نقدياً لما كرسته الأدبيات الماركسية حول مفهوم الطبقة والشرائح الاجتماعية، فالتاريخ من "أسفل في هذا السياق كان في الأصل مفهوما في مصطلحات بنية الطبقة أو شكل أخر من أشكال التقسيم الطبقي الاجتماعي"[7]، لهذا لم يعد بالإمكان قبول مبدأ الحتمية الاقتصادية كما صاغه

---

[1] ـ يراجع: خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص59-65.

[2] ـ جيم شارب، التاريخ من أسفل، ص52.

[3] ـ المرجع نفسه، ص52.

[4] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص58.

[5] ـ مدرسة في علم الاجتماع تذهب إلى أن البيئة الجغرافية (المناخ، والتربة والأنهار...الخ، هي اعامل الرئيس في التطوير الاجتماعي. يراجع: روزنتال وآخرون: الموسوعة الفلسفية، ص157.

[6] ـ المرجع نفسه، ص57.

[7] ـ جيم شارب، التاريخ من أسفل، ص65.

ماركس، ونزعوا نحو الاعتراف بدور وفعالية الثقافة في التحولات الاجتماعية[1]، وهذا المبدأ الجديد قد صاغه الإيطالي "أونطونيو غرامشي" في دراساته حتى يعطي دفعة جديدة للرؤية الماركسية[2].

هذه المحاولات الإصلاحية في الرؤية الماركسية في الحقيقة، كانت غايتها استعادة الفرد كفاعل في التاريخ، الذي غيب في ظل الحتمية التي تركز على دور الطبقات والشرائح الاجتماعية في تصارعها بدل فاعلية الأفراد في التاريخ، وهكذا جذب هذا الاتجاه الجديد عدد من المؤرخين العاملين على اختصاصات مختلفة في حقل التاريخ[3]، ليتركز اهتمامهم على نماذج بعينها من أفراد المجتمع كالفلاح والطحان والراعي والاسكافي..[4]، وباقي أفراد المجتمع العاديين الذين أصبحوا في ظل هذه المدرسة صانعين للتاريخ وفاعلين فيه.

ولم تقتصر فائدة التأريخ من أسفل في ابتكار موضوعات جديدة فقط، بل تعدت ذلك نحو الكشف عن مصادر دفينة وأخرى لا تنتمي للحقل التاريخي، وهي بعيدة عن المصادر المعهودة في دراسات المؤرخين، وقد تمثلت في سجلات ووثائق مادية وأخرى شفهية "يمكن استخدامها [في] استكمال وإعادة بناء العالم الفكري والمادي الذي عاشت...، الأجيال الماضية في رحابه"[5].

لقد كان الهدف من مقاربة التأريخ من أسفل تقديم فهما آخر للتاريخ، ينطلق من وجهة نظر النفر، وقد راقت هذه المقاربة الفريدة من نوعها "لعامة القراء"[6] نظرا لما تكشفه من "تجارب أولئك الرجال والنساء العاديين"[7]، وقد تمثلت غاية مقاربة التاريخ من أسفل في نسخته البريطانية في "إنقاذ تاريخ المهزومين والضائعين من براثن الإهمال وإبرازه"[8]، وتذكير عامة الناس أن تاريخهم لا يصنعه القادة والعسكريون فقط.

ثانيا: دراسات التابع الهندية

نشأ هذا الحقل من الدراسات على يد راناجيت غوها(Ranajit Guha)، ومجموعة من الباحثين من أمثال ديبيش شاكرابارتي (Dipesh Chakrabarty)، وغاياتري سبيفاك (Gayatri Spivak)، وشهيد أمين (Chahid Amin)، وغيرهم من الذين التفوا حوله كتابة تاريخ الهند المستعمرة[9]، ويؤكد

---

[1] _ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص60.

[2] _ ياسين كريم، دراسات ما بعد الكولونيالية عند جماعة التابع الهندية، مجلة المدونة، الجزائر، المجلد06، العدد03، السنة2019، ص731.

[3] _جيم شارب، التاريخ من أسفل، ص 66.

[4] _ خالد طحطح، البيوغرافيا والتاريخ، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص50.

[5] _جيم شارب، التاريخ من أسفل، ص57.

[6] _ المرجع نفسه، ص57.

[7] _ المرجع نفسه، ص52.

[8] _ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص55.

[9] _ ديبيش شاكرابارتي، دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي، ترجمة: ثائر ديب، مجلة أُسطُور، قطر، العدد3، 2016، ص8.

"ديبيش شاكرابارتي" صاحب كتاب "مواطن الحداثة"[1]، أن لهذه الدّراسات خصائصها ومميزاتها التي تميزها عن المدارس الأخرى التي حملت لواء الدفاع عن المظلومين والمقهورين في التاريخ، منبها أنها ليست نسخة من دراسات التاريخ من أسفل البريطانية، بل هي رؤية جديدة في حقل الدراسات التاريخية[2]، وهذا ما أوضحه "غوها" من خلال تركيزه على ثلاث مستوياتت تطلبها دراسات التابع [3]:

1- تستلزم هذه الدراسات فصلا نسبيا لتاريخ السلطة عن أي تواريخ عامة لرأس المال.

2- تستلزم أيضا تقديم نقد لشكل الأمة.

3- استقصاء العلاقة بين السلطة والمعرفة والأرشيف ذاته والتاريخ كشكل من أشكال المعرفة.

وعليه فهي تتأسس على نقد النظرة الماركسية التي تركز على الطبقة البوروليتارية التي تحصرها في مفهوم الطبقة العمالية دون النفاذ إلى الشرائح المغلوبة الأخرى المكونة للمجتمع والمؤثرة فيه، وتأسيساً على هذا النقد الذي قدموه اتسعت وامتدت دائرة أبحاثهم لتشمل باقي الفئات والشرائح الاجتماعية "كالفقراء من المسلمين والعمال البدويين في المدن والدواليت [العامة] والمعانون من ويلات الانقسام الهندي"[4].

وفي ذات السياق يؤكد غوها رفضه للممارسات الأكاديمية السائدة للتاريخ، وذلك "لفشلها في الاعتراف بالتابع كصانع لمصيره"[5] ، معتبراً أن الأساس الذي يقوم عليه مشروع دراسات التابع هو إعادة الاعتبار لكل فرد من أفراد هذه الفئات المهمشة التي غيبتها النخبة الحاكمة.

كما تختلف عن مدرسة الحوليات التي تعتبر التهميش ذو بعد قيمي يرتبط بالجوانب الاجتماعية، والثقافية، "فالتهميش عند المدرسة الهندية مرتبط بالسلطة السياسية، التي أقصت شريحة كبيرة من المجتمع من المشاركة في حياتهم العامة، وغفلت عن أدوارهم في صنع التاريخ بعبارة أخرى التهميش عند شميث يصنعه المجتمع وعند غوها تصنعه النخبة الحاكمة"[6].

وتتلخص نظرتها أيضا في نقد مقاربات التأريخ من أسفل في نسخته البريطانية، التي تركز على المفهوم الماركسي للطبقات[7]، الذي طوره جرامشي في كتاباته، إذ يعتبر أن الطبقات المهمشة خاضعة بالضرورة للسلطة

---

[1] ـ ديبيش شاكرابرتي، مواطن الحداثة.. مقالات في صحوة دراسات التابع، ترجمة: مجيب الرحمان، منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011.

[2] ـ ديبيش شاكرابارتي، دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي، ص7.

[3] ـ المرجع نفسه، ص 12.

[4] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، التأريخ من أسفل، ص18-19.

[5] ـ ديبيش شاكرابارتي، دراسات التابع والتاريخ ما بعد الكولونيالي، ص12.

[6] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، التأريخ من أسفل، ص22.

[7] ـ يعتبر فيه طبقة الفلاحين غير واعية بالعامل الثوري لهذا لم تنجح توراتها وأيضا لم تستطع الاندماج في المرحلة الرأسمالية. يراجع: ديبيش شاكرابارتي، دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي، ص14-16.

الحاكمة وأنها لا تملك حق تمثيل نفسها،على العكس من ذلك يرى رواد دراسات التابع الهندية أن الفرد المهمش يتمتع بوعي مستقل وحرية في التصرف.

وهذا ما حمل غوها على تقديم نقد "للميل المعهود في التأريخ الماركسي العالمي حتى سبعينات القرن العشرين هو النظر في ثورات الفلاحين المنظّمة على محاور القرابة والدين والطائفة...الخ، على أنّها حركات تبدي وعياً متخلفاً، وكان ينظر إلى هذا الوعي أنه أنه لا يتسق تماما مع منطق الحداثة"[1]، وقد قدم غوها نقداً صريحاً لهذه النظرة، مبينا؛"أن الفلاحين ليسوا ضربا من المفارقة التاريخية في عالم كولونيالي حديث، بل معاصرون فعليون للكولونيالية وجزء جوهري من الحداثة...، ووعي الفلاحين ليس وعيا متخلفاً...، فقد قرأوا عالمهم المعاصر قراءة صائبة في الواقع..، وأن هذه التمردات تشتمل دوما على استخدام الفلاحين شيفرات خاصة باللباس والكلام والسلوك تنزع إلى قلب الشيفرات التي سيطر عليهم من خلالها أسيادهم"[2]، وعليه فإن الفرق بين دراسات التابع الهندية ودراسات التاريخ من أسفل أن الأولى تعتبر المهمش شخص واعٍ بحالته وبعصره ومصيره، بحيث يستطيع التعبير عن حالته بطريقة فعالة، على عكس ما تقول به مدرسة التاريخ من أسفل البريطانية.

وعليه فقد اتسعت وامتدت دائرة أبحاثهم لتشمل باقي الفئات والشرائح الاجتماعية، وقد كانت غايتهم من وراء هذه الدراساتهي محاولة نقد ومراجعة الكتابة التاريخية القومية الهندية والكتابة البريطانية الأكاديمية، التي تركز على النخبة وثقافتها في الآن نفسه تهمل وتهمش الفرد الهندي العادي[3]، وذلك بالاهتمام بكل الشرائح الاجتماعية وبيان مدى فاعليتها وقدرتها على صنع ثورتها وتاريخيها.

ثالثا: مدرسة التاريخ المجهري الايطالية

بالرغم من الأهمية التي جسدتها دراسات المهمش في ظل مدرسة الحوليات الفرنسية، إلا أنها لم تسلم من المراجعات التي قادها مجموعة من المؤرخين الإيطاليين في إطار مشروع تاريخي، عرف بإسم التاريخ المجهري أو الميكروسطوريا[4]، الذي يركز على التاريخ في شكله المجهري المصغر، وهو"تاريخ يهتم بمواضيع الحياة الخاصة"[5].

وقد دعوا إلى إعادة النظر في المسلمات التي وضعتها مدرسة الحوليات وطريقة دراستهم لتاريخ المهمشين، تلك الطريقة التي تقوم على دراسة الجماعات المهمشة عن طريقة بيانات واحصائيات في إطار كتل

---

[1] ـ المرجع السابق، ص13.

[2] ـ المرجع نفسه، ص13.

[3] ـ بيل اشكروفت وآخران، دراسات ما بعد الكولونيالية، ص320.

[4] ـ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، التاريخ من أسفل، ص67.

[5] ـ من مقدمة الطبعة الأولى سنة(1987)، جاك لوغوف، التاريخ الجديد على درب التقدم وهو علم في سن الطفولة، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، جاك لوغوف، ص73.

بشرية متساوية ومتناسقة من دون وعي، بينما تدعو منهجية التاريخ المجهري إلى إعادة الاعتبار لكل فرد مهمش بعينه، وعليه فهي تحاول وضع مقاربة ميكروتاريخية تهتم بالتغيرات على مستوى الأفراد، فلا يمكن أن يتشابه الأفراد فيما بينهم فلكل فرد عقليته وأهدافه ومراميه، وبالتالي فهي تدعوا إلى تغيير مقياس النظر لهذه الشرائح الاجتماعية[1].

لقد مثلت الدراسات التاريخية الغربية حول موضوعات الهامش والمهمش تجربة غنية خلفت صدى واسعا في العالم الغربي والعربي، نظراً لسعيها إلى تقديم فهم آخر للتاريخ، يهدف إلى فهمٍ أعمق للتاريخ الإنساني، حيث تتخذ هذه التجربة حياة الناس العاديين منطلقا لها[2]، بدل تلك الرؤية المتعالية التي تنظر للتاريخ من أعلى، وقد عملت هذه التجربة على "استقطاب أكبر عدد من قراء التاريخ ومحبيه"[3].

وبالتالي حق لنا أن نتساءل؛ كيف كانت مقاربات المدرسة التاريخية العربية لتاريخ المهمشين؟ وهل هي استنساخ للمقاربات الغربية؟ وما مدى إمكانية أن يطلق عليها صفة الإبداعية في الإنتاج؟ وكيف كانت علاقة أجيال هذه المدرسة بالمصادر التراثية الوسيطية المتنوعة؟ وهل تعد تجربة رائدة وناجحة على مستوى العالم العربي من خلال مقارباتها المنهجية والمعرفية؟ إن على مستوى الإشكالات المطروحة أو القضايا المعالجة أو المصادر المستعملة أوالمناهج الموظفة؟

[1] _ خليل السعداني، الهنود في اسطوغرافيا الولايات المتحدة الأمريكية، ضمن كتاب: دراسات المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، تنسيق: عبد الرحمن المودن وآخرون، منشورات المختبرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنيمسيك، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص94-95.

[2] _ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، التأريخ من أسفل، ص7-8.

[3] _ خالد طحطح وخالد اليعقوبي، صحوة دراسات المهمش، ص67.

المبحث الثاني: التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة

يشير العديد من الباحثين إلى الدعوى والإشكالية مدار الدراسة؛ على أنَّ هناك تهميشا متعمداً مارسته المدونة التراثية عموما، والمدونة الإخبارية على وجه الخصوص، اتجاه الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية، وقد رافعت عن هذه الدعوى المدرسة اليسارية عموما، ممثلة في أصحاب المشاريع الكبرى في إعادة قراءة التراث الإسلامي[1]، وقد برزت هذه الدعوى بشكل لافت في الكتابات التاريخية التي مثلتها المدرسة المحمودية وسليلتها مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

هذه المدرسة المشهود لها بالسبق المعرفي والمنهجي ورصانة الإنتاج، حيث شهد حقل التاريخ في ظل روادها نقلة نوعية وتحولا كبيراً، إن على مستوى القضايا المطروحة أو المناهج المستعملة أو المصادر الموظفة[2].

على أننا نسعى من خلال هذه العناصر إلى التعرف على بدايات دراسات المهمشين في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة، ومحاولة رصد قضاياها وتحديد منطلقاتها؛ وكيف نظر أصحابها إلى المنجز التاريخي الوسيطي عموما ؟ وما الذي حملهم على وسمه بأنه تاريخ سلطاني يهمل ويغيب ويهمش ويطمس الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية؟ وكيف كان تعاملهم ونظرتهم إلى المدونة التراثية عموما، والتاريخية على وجه الخصوص؟

وعليه سنحاول في هذا المبحث التعرف على الدراسات المعاصرة التي اعتنت بموضوع المهمشين في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وبالضبط حاملي دعوى تغييب وتهميش الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية ضمن المدونة التراثية الوسيطة، والتي مثلتها المدرسة المحمودية وسليلتها مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

المطلب الأول: التغييب والتهميش على مستوى المدرسة المحمودية

لا مجال للشك أن بداية التأريخ للفئات المهمشة والشرائح الفقيرة كتخصص مستقل بدأ في الدراسات الغربية كما أشرنا في المبحث السابق، في المقابل نجد تأخر هذه الدراسات في العالم العربي، ولعل من أبرز

---

[1] ـ يراجع: رضوان السيد وآخرون، الماركسية والتراث العربي الإسلامي: مناقشة لاعمال حسين مروة والطيب تيزيني، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1980. نبيل سليمان، الماركسية والتراث العربي الإسلامي –دراسة للنزعات المادية–، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط1، 1988. موسى برهومة، التراث العربي والعقل المادي: قراءة في فكر حسين مروة، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

[2] ـ وذلك من خلال التحول من دراسة السلطة إلى دراسة المجتمع، والانتقال من المصادر الإخبارية إلى توظيف المصادر الدفينة، والتحول من المناهج التقليدية إلى توظيف مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، هذا الإبداع في الحقيقة، يعود إلى جملة أسباب ذات الصلة إما بالمادة المصدرية أولا، أو بالمناهج المعتمدة ثانيا، أو بالإطار المعرفي للكتابة ثالثا، أو بالعلاقات الإنسانية رابعا. يراجع: محمد البركة، المعالجة التاريخية للحرف والصنائع بالغرب الإسلامي.. مقاربات منهجية ومعالم تجديدية، ضمن كتاب: الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي.. مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الإنتاج، تنسيق: سعيد بنحمادة ومحمد البركة، منشورات الزمن، المغرب، 2016، ص20.

أسباب تأخرها[1]؛ حداثة التجربة التاريخية العربية المعاصرة وذلك نظراً لما عانته هذه البلدان من استعمار قوض انطلاق تجربتها المعرفية والحضارية.

إلا أنه وجب التنبيه إلى دور التراث الإسلامي من خلال ما ورد من إشارات لهذه الفعاليات ضمن المدونات التراثية المختلفة[2] ، سواء كان ذلك بشكل صريحٍ أو مضمرٍ، وهذا ما يؤكد على أن فكرة التعرض للفئات الشعبية وتدوين أخبارها وتاريخها بشكا مستقل، ليست جديدةً في الثقافة والمعرفية الإسلامية عموماً.

لعله يمكن إرجاع بداية الدراسات التي تعنى بالمهمشين في العالم العربي المعاصر، إلى فترة الستينات والسبعينات، وخاصة مع ظهور المشاريع اليسارية الفكرية الكبرى في إعادة قراءة التراث[3]، ورواد المدرسة المادية، التي مثلها أعلام بارزين من أمثال: طيب تيزيني، وحسين مروة، ومهدي عامل...وغيرهم[4]، غير أنّ بداية هذه الدراسات في جوانبها التاريخية كانت مع رائد دراسات المهمشين المؤرخ المصري محمود إسماعيل عبد الرزاق[5]، لقد بدأت معه الانطلاقة الحقيقية للقطع مع التاريخ السلطاني[6]، تلك الانطلاقة التي أسست لظهور جيل من الباحثين ممّن يراهنون على تاريخ المهمشين والعوام، ولم تكن هذه التغيرات على مستوى القضايا فقط، بل تعدت ذلك لتشمل الرؤية والمنهج والمصادر، إنها تغيرات جذرية على مستوى تعاطي المؤرخ مع الماضي.

---

[1] ــ وقد أشرنا إلى بعض من هذه الأسباب في مقال لنا، حيث ناقشنا فيه سبب تأخر دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالجامعة الجزائرية بالمقارنة مع نظيراتها في العالم العربي والغربي. يراجع: فارس بكيس وعمر حيدوسي، البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الجامعة الجزائرية –القضايا والمناهج–، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مجلد33، العدد03، السنة2019،ص591.

[2] ــ يمكن التدليل على ذلك بكتابات كل من: الجاحظ (ت255هـ/ 868م)، في كتاب "البخلاء"، و"البيان والتبيين"، وكتاب "أخلاق الشُّطّار"، وابن مسكويه (ت421هـ/ 1030م)، في كتاب "تجارب الأمم"، والمقريزي (ت845هـ/ 1442م)، في كتاب "المواعظ والاعتبار"، وابن الجوزي (ت597هـ/ 1201م)،في كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين"، والزَّجَّالي (ت694هـ/ 1294م)، في كتاب "أمثال العوام في الأندلس"،.. وغيرهم، وإن كانوا قد تناولوا هذه القضايا بطريقتهم، إذ لم يكن الغرض منها التاريخ.

[3] ــ لم يكن ظهور المشاريع الفكرية أثر هزيمة يونيو (1967م) مصادفة، بل كانت محاولة بحث عن الذات في التاريخ والتراث، بهدف تجاوز الانتكاسة من جهة والبحث عن طريق للنهضة من جهة ثانية، ويمكن القول أن هزيمة (1967م)، شكلت صدمة للمثقفين العرب ما أحدث تغيرات جوهرية في بنية التفكير جعلهم يتجهون لمساءلة التراث، غير أن هذه التغيرات لا يمكن فصلها عن التغيرات العالمية السياسية والثقافية والمعرفية. يراجع محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير، دار مصر المحروسة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص19.

[4] ــ لخضر بولطيف، من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية.. مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي استيعاب وتجاوز وبشارة، بحث مرقون.

[5] ــ هو مؤرخ مصري رائد المدرسة المحمودية في التاريخ له تلاميذ كثر من المغرب والجزائر وتونس ومصر، عرف بانتصاره للرؤية المادية في تفسير التاريخ، وقد أشتهر بموسوعته الفكرية "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي"، تقع في عشر أجزاء.

[6] ــ وهذا ما عبر عنه بصريح العبارة في المقدمة الأولى لكتابه " الحركات السرية في الإسلام" سنة (1973م)، الذي كان بمثابة البداية الفعلية لشرارة دراسات المهمش، وقد قام في هذا الكتاب بدراسة مجموعة من الفرق الثورية المهمشة في تاريخ المسلمين. يراجع: محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، القاهرة، بيروت، ط5، 1997.

هذا ما حملنا على دراستها من ثلاثة جوانب؛ أولا: الرؤية والمنهج، ثانيا: مفهوم التاريخ ووظيفة المؤرخ، ثالثا: طرق التعاطي مع المصادر.

والغاية من ذلك كله، محاولة الوصول لفهم التغيرات التي أحدثتها هذه الكتابات على مستوى فهم التاريخ وكتابته وتمثله.

الفرع الأول: التجديد على مستوى الرؤية والمنهج

تعد الرؤية والمنهج من أهم الخلفيات التي تحدد إنتاج فكري معين، فبالرغم من إقرار محمود إسماعيل بالتراكمات الحاصلة على مستوى الكتابة التاريخية العربية وسيطها وحديثها، غير أنه يؤكد على حاجة هذه الدراسات إلى المزيد من التجديد خاصة ما تعلق بقضيتي "المنهج والرؤية"[1]، مع ضرورة الابتعاد عن مناقشة القضايا التي تستنزف البحث التاريخي دون أن تعود بالفائدة على المعرفة التاريخية.

وفي ذات السياق يؤكد على ضرورة تطبيق المنهج المادي التاريخي في الدراسات التاريخية، باعتباره خلاصة التجربة الغربية على مستوى الرؤية والمنهج، والصورة المثالية التي توصل إليها العقل البشري، وعليه فهو بهذا القول ينفي كل دعاوى الخصوصية والأصالة والانتقائية في دراسة وتناول التاريخ، معتبراً التاريخ العربي والإسلامي جزء لا يتجزأ من التاريخ البشري، وبالتالي تسري عليه المناهج ذاته التي تسري على غيره[2].

وانطلاقا من هذه الرؤية يشدد على نجاعة المادية التاريخية في رصد حركة التطور في بنية المجتمعات الإسلامية، والتي تمكن الباحثين من الكشف عن النظم الاقتصادية التي تتحكم في تطور المجتمع، ومن ثم التعرف على بنياته الفكرية والسياسية والثقافية[3]، وتكمن فعاليتها أيضا؛ في كونها مؤهلة للتنظير على غرار المناهج الأخرى التي تميل إلى العرض والسرد والوصف والتحليل.

في ضوء هذه القوانين التي يحتكم إليها محمود إسماعيل والتي تعتبر أنماط الإنتاج وحيازة الثروة الحجر الأساس في تشكل الهرم الطبقي، والتي تتحكم بدورها في تشكل المجتمع وفق بنية تحتية ممثلة في الأنماط الاقتصادية وبنية فوقية تشكل الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية.

غير أن هذا التأكيد على تطبيق الرؤية المادية في ظل قوانين الجدلية التاريخية، لم يكن استنساخا للتجربة الغربية، بل يؤكد على ضرورة مسح الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي، الذي يمكننا من رصد التحولات على مستوى بنية المجتمع، وعليه يستبعد العديد من المقولات الماركسية، في تحليل أحداث تاريخ

---

[1] ـ محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988، ص09.

[2] ـ المرجع نفسه، ص09.

[3] ـ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور التكوين، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، ط4، 2000، ص16.

المسلمين، كمقولتي: "نمط الإنتاج الإقطاعي"[1] و"نمط الإنتاج الأسيوي"، ومعولا في الآن ذاته على المعطيات التاريخية التي تقدمها الوقائع وجزئياتها[2].

وبغض النظر؛ عن مدى التزامه بهذا القول في مشروعه الفكري والتاريخي، فإن تطبيق الرؤية المادية تعتبر ميزة فارقة تطبع أعماله ودراساته، وبالتالي نحن أمام مشروع مغاير وفهم آخر للتاريخ.

الفرع الثاني: التجديد على مستوى مفهوم التاريخ ووظيفة المؤرخ

إن الاختيارات على مستوى الرؤية والمنهج تقود بالضرورة إلى تصورات مغايرة في النظر إلى الإشكاليات وحلولها، وهذا ما نلحظه عند محمود إسماعيل، فتلك الرؤية قادته بالضرورة إلى تصور مختلف للتاريخ وحركته[3]، معتبراً إياها "لا تقتصر على شعب دون شعب"[4]، بل هي عامة تشمل تاريخ المعمور وتتطور وفق خط زمني مستمر، وقد تأتت عنده هذه الرؤية في رأينا من قناعته بجيدة العلم وإنسانيته وعالميته.

وعليه فهو يدعو إلى تطبيق المادية التاريخية باعتبارها آخر ما توصلت إليه الحضارة الغربية على مستوى المنهج، ومن خلالها يؤسس لرؤية جديدة لمفهوم التاريخ تقوم على"رصد فعاليات الإنسان في المكان عبر الزمان"[5]، ويؤكد على المفهوم المادي للتاريخ، معتبراً التاريخ من صنع الإنسان وحده بحريته وإرادته، ومنتقداً في الآن ذاته المفاهيم السابقة للتاريخ، التي تقوم على التصور الديني معتبراً إياها تصورات مثالية سادت في العصور السابقة، بحيث لعبت دور الموجه في كتابة التاريخ[6]، ما جعل من المؤرخ الوسيطي مجرد سارد للأخبار دون تمحيص أو تحليل أو تنظير.

هذه الرؤية أيضا قادته إلى النظر في المصداقية العلمية، وجدوى التحقيبات الكلاسيكية للتاريخ الإسلامي القائمة على أساس الأسر الحاكمة، فأعاد النظر فيها وفق الجدلية التاريخية، ومفاهيم الصراع

---

[1] _ نمط الإنتاج الإقطاعي هو نظام اقتصادي اجتماعي ظهر إلى حيز الوجود بعد سقوط وتفكك النظم العبودية والمشاعية البدائية...، كان الملاك الاقطاعيون والفلاحون الطبقتين الرئيسيتين في المجتمع الاقطاعي. يراجع: روزنتال وآخرون، الموسوعة الفلسفية، ص43.

[2] _ للتنبيه فهو يفرق بين نمط الإنتاج الإقطاعي الذي ساد في العالم الإسلامي في بعض فتراته الزمنية، وبين نظيره الذي ساد في أوروبا زمن الفيودالية. يراجع: محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور الازدهار الخلفية السوسيو–تاريخية–، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، ط3، 2000، ص25–26.

[3] _ هذه التغيرات على مستوى الرؤية والمنهج أدت إلى إحداث نقلة على مستوى مفهوم التاريخ ووظيفة المؤرخ. يراجع: محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي محاولة للتنظير، ص15.

[4] _ محمود إسماعيل، من سمات الخطاب السلطوي إزاء قوى المعارضة في الإسلام، ضمن كتاب: مسالك الثقافة والمثقافة في تاريخ المغرب، أعمال تكريمية مهداة للأستاذ السعيد لمليح، تنسيق: أحمد الصديق وآخرون، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ط1، 2016 ، ص265.

[5] _ محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ص170.

[6] _ محمود إسماعيل، إسهامات شيعية في الحضارة الإسلامية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2017، ص164.

الطبقي[1] التي ترصد التحولات على المستوى البطيء، فهي في نظره "تتعلق بأنماط الإنتاج التي تصيغ البناء الطبقي، ومن خلال صراع الطبقات يولد التاريخ بأحداثه ووقائعه"[2].

وقد اقترح تحقيباً جديداً لتاريخ المسلمين يقوم على أنماط الإنتاج، يبتدئ؛ من عصر الإقطاعية الأولى[3]، الذي يمتد من الدولة الأموية إلى بداية الدولة العباسية، تلاها عصر البورجوازي الناشئة الذي استمر مع بدايات الدول العباسية، مع بقاء نمط الإقطاعي بشكل هامشي، ويليه عصر الإقطاعيةالمرتجعة[4]، التي تبتدئ من حوالي منتصف القرن الثالث الهجري، لتنتهي قرابة منتصف القرن الرابع الهجري، وقد ساد في هذه الفترة نمط الإنتاج الإقطاعي[5]، وتميزت بسيطرة العسكر على دواليب الحكم في العالم الإسلامي، وبعده عصر الصحوة البرجوازية الثانية، امتدت حوالي قرن من الزمان، ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري إلى قرابة منتصف القرن الخامس الهجري، وتميزت بغلبة نمط الإنتاج البرجوازي التجاري، ثم عصر الإقطاع العسكري[6]؛ الذي ساد العالم الإسلامي عن طريق القوة، والغلبة العسكرية، وقد بدأ مع منتصف القرن الخامس الهجري.

الذي نلاحظه على هذا التحقيب أنه يستند إلى الأساس الاقتصادي في تقسيم مراحل التاريخ الإسلامي، كما أنه يراعي التحولات البطيئة، وبالتالي يصعب تحديد بدايته ونهايته بالسنوات الدقيقة، فكما هو معروف فإن التغيرات على مستوى الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية هي تغيرات بطيئة، على عكس التغيرات في الأنظمة السياسية التي تتميز بالسرعة، ما يجعلها تحدث أثراً مدوياً وآنياًيمكن ملاحظته.

وكما هو معلوم في الأدبيات الماركسية أن "حيازة الثروة هي حجر الزاوية في صياغة الهرم الطبقي"[7]، وعليه "تسقط كل الدعاوى التي تعتمد الدين أو المذهب أو الإثنية أو غيرها في دراسة البناء الطبقي"[8]. وقد

---

[1] ـ هو ذلك الصراع بين الطبقات التي تكون مصالحها متعارضة أو متناقضة، وتاريخ المجتمعات كما تصوره الماركسية هو تاريخ صراع الطبقات، وأنه هو أساس تطور المجتمعات. يراجع: روزنتال وآخرون: الموسوعة الفلسفية، ص273-274.

[2] ـ إذ يعتبر أن الأحداث السياسية والوقائع العسكرية ما هي إلا مظاهر وتجل من تجليات الصراع الطبقي وفق قانون البنية التحتية التي تشكل البنية الفوقية، وبالتالي لا يمكن الاستناد إليها في تحديد الحقب التاريخية. يراجع: محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير، ص14.

[3] ـ تتلخص سمات الإقطاعية في الاعتماد على الإنتاج الفردي الموجهة للاستهلاك الفردي الخاص باعتماد وسائل إنتاج بسيطة، مع سيطرة الطبقة الحاكمة على الأرض. يراجع: محمود إسماعيل، سوسويولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار الخلفية السوسيو-تاريخية، ص25-26.

[4] ـ ويقصد بالإقطاعية المرتجعة، عودة نمط الإنتاج الإقطاعي الذي ساد في الفترة الأموية. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي -طور الازدهار الخلفية السوسيو-تاريخية-، ص10.

[5] ـ المرجع نفسه، ص10.

[6] ـ وقد شهد العالم الإسلامي حسب رأيه أصنافا شتى من الإقطاعية؛ مثل إقطاع المنفعة وإقطاع الرقبة وإقطاع أرض الموات والصوافي. محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي —طور الانهيار الخلفية السوسيو-تاريخية-، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، القاهرة، بيروت، ط1، 2000، ص13.

[7] ـ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي -طور الازدهار الخلفية السوسيو-تاريخية-، ص53.

[8] ـ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي -طور الانهيار الخلفية السوسيو - تاريخية-، ص121.

قادته هذه الرؤية والمنهج إلى رصد الطبقات التي يتشكل منها المجتمع الإسلامي برمته، وقد جاء هذا الرصد متماشيا مع أنماط الإنتاج السائدة في تلك الفترة[1]، وقد قسمها إلى ثلاث طبقات جاءت على النحو الآتي[2]:

أولا: الطبقة الأرستقراطية الحاكمة ويعني بها الطبقة الحاكمة والارستقراطية الإقطاعية التي يشكلها كل من الخلفاء والأمراء والوزراء ورجال الإدارة وقادة العسكر وأهل العلم التابعين للحاكم، وكذا كبار التجار أصحاب الأراضي، إضافة إلى الطبقة البرجو-إقطاعية والتي يحصرها في كتاب الدواوين.

ثانيا: الطبقة البرجوازية وتشكلت من كبار التجار وأصحاب الحرف أساسا وأهل الذمة المشتغلين بالمال وأصحاب المهن الحرة، فضلا عن شريحة يسيرة من الكتاب ورجال الإدارة.

ثالثا: الطبقة الكادحة وتشمل هذه الطبقة كل من العمال، والحرفيين والفلاحين والرعاة والرقيق وباقي الطبقات والشرائح المهمشة.

وكما بيَّنا سابقاً أن داخل هذه الطبقات تتداخل مجموعة من الشرائح تزيد، وتنقص بحسب حيازتها للثروة، والتي بدورها تعود إلى نمط الإنتاج السائد في تلك المرحلة.

والملاحظة المهمة التي لا ينبغي إهمالها أن النمط الإنتاجي لكل فترة هو العامل الأول لتغلب طبقة على طبقة أخرى، كما تعتبر حيازة الثروة المعيار الأساسي لتحديد الفوارق الاجتماعية بين الطبقات. وبناء على هذا التقسيم الطبقي ، يؤكد أن الطبقة البرجوازية لعبت دوراً مهماً في تحقيق التكافؤ بين الطبقة الحاكمة والطبقة الكادحة، وقد مثلت في مرات عديدة دور المعارضة التي ضمنت مطالب الطبقة العاملة والفلاحين، وساعدت في تحسين أحوالهم في الكثير من الأحيان.

وقد خلص من خلال هذا التحقيب الذي اقترحه إلى دراسة التراث الفكري الذي خلفه المسلمين دراسة سوسيو-تاريخية تجسدت في موسوعته "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي"، معتمداً على الرؤية المادية ومعولا على منهج المادية التاريخية، غير أن ما يهم في معالجة إشكالنا هي أفكاره بخصوص الفكر التاريخي في العصر الوسيط.

إن التجديد على مستوى الرؤية والمنهج وتوسيع مفهوم التاريخ، في إطار الرؤية المادية والمنهج الجدلي، قاد محمود إسماعيل إلى البحث في تاريخ الصراع الطبقي الذي مثلته في تاريخ المسلمين كل من السلطة والمعارضة، السلطة باعتبارها الطبقة الارستقراطية الحاكمة، والمعارضة باعتبارها الطبقات الهشة والمهمشة ورائدة الثورات الاجتماعية والانتفاضات ضد النظام الحاكم.

---

[1] ـ يؤكد محمود إسماعيل على أن مفتاح فهم التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي يكمن في فهم عاملين أساسيين "وضعية الأرض" و"تجارة العبور"، من خلال الجدل بينهما تخلقت أنماط الإنتاج، فالأرض تولد إقطاعا بينما تخلق تجارة العبور شكلا من أشكال البرجوازية. يراجع : محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي -محاولة للتنظير-، ص47.

[2] ـ يراجع: محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي -طور التكوين-، ص93-98.

ما يمكننا قوله أن الرؤية المادية وقانون صراع الطبقات هو الذي قاد محمود إسماعيل للبحث في تاريخ المهمشين وحركات المعارضة في التاريخ الإسلامي، باعتبارها قوى مضادة للسلطة، فالتاريخ في نظره هو تاريخ صراع والمحرك الأساسي فيه هي الحركات الثورية.

ومن خلال ما سبق يمكننا التساؤل؛كيف نظر محمود إسماعيل إلى تراث المؤرخين المسلمين في العصر الوسيط؟ وكيف حكم على مدونته التاريخية؟

الفرع الثالث: التجديد في طريقة التعاطي مع المصادر التاريخية

تعد قضية المصادر من بين المحاور المهمة التي يوليها الباحث في الميدان التاريخي أولوية قصوى، نظرا لما تفتحه من نقاشات معرفية وأفاق بحثية جديدة، إضافة لما تقدمه للباحثين من إمكانية إعادة تنقيح ومناقشة ونقد الكتابات والدراسات السابقة، لهذا حاولنا التساؤل عن مدى حضور المعالجة المنهجية للمصادر في خضم المشروع التاريخي المحمودي[1].

رغم إقرار محمود إسماعيل بالوفرة المعلوماتية و"الكنوز التراثية المتعددة والمتنوعة"[2]، التي خلفها الأوائل في جميع المجالات المعرفية، وخصوصا ما تعلق بالجوانب التاريخية، إذ يعتبرها كفيلة بتغطية ومعالجة كافة الجوانب والقضايا التاريخية المطروحة للدراسة، إلا أنه ينبه إلى مجموعة من الصعوبات والإشكالات التي تواجه الباحث عموما والباحث في مجال التاريخ خصوصا، ويلخصها في ثلاث نقاط أساسية[3]:

- الكثير من مصادر هذه المدونة الإخبارية لا يزال مفقوداً، بسبب الصراع السياسي والمذهبي الذي طبع بلاد الغرب الإسلامي.
- التحيزات المذهبية والسياسية التي صبغت بها المدونة الإخبارية في العصر الوسيط.
- المفهوم السائد حول التاريخ حيثَ غلب عليه التأريخ للحكومات والسلطات العسكرية، وبطولات الأفراد.

بالتأسيس على ما سبق يدّعي محمود إسماعيل أن المدونة التاريخيةالإسلامية قَصرت مفهوم التاريخ في التأريخ للسلطة وتدوين أخبار الحاكم وحاشيته، وبالتالي أهملت وهمشت تاريخ العوام وتاريخ المعارضة باعتبارهم يمثلون الشرائح الاجتماعية الدنيا في المجتمع.

هذه التغيرات على مستوى مفهوم التاريخأدت بهم إلى التركيز على الفئات المهمشة والشرائح الاجتماعية؛ ما حمل رائدها المؤرخ محمود إسماعيل على وصم التاريخ الإسلامي بأنه "تاريخ حكومات

---

[1] _ لا يبادرنا شك حول جدية الأعمال التي أنتجت في ظل المدرسة المحمودية فحضور الرصانة المنهجية والبعد المعرفي والتمرس المصدري علامة فارقة تميز المنتمين إليها.

[2] _ محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ص11.

[3] _ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير، ص37-38.

وسلطات عسكرية"[1]، بينما يؤكد من ناحية أخرى على أن المدونة التراثية عموما والتاريخية خصوصا، مارست تهميشا وطمسا متعمدا للفئات والشرائح الاجتماعية الممثلة في حركات المعارضة، وغيبتهم عن ومن عملية التدوين التاريخي.

وحتى تتضح الرؤية أكثر نؤكد أن محمود إسماعيل ينطلق من نقد الكتابات التاريخية السابقة، القائمة على "المناهج والرؤى التقليدية التي حولت التاريخ إلى أساطير وغيبيات وكرامات ومعجزات ومآثر ومناقب"[2]، هذه المناهج والرؤى التي ساهمت في تكريس تاريخ السلطتين السياسية والعلمية[3]، عن طريق ما يسميهم فقهاء السلطان ومؤرخي البلاط، عبر شحذ مختلف الوسائل والأساليب من افتراء وتشكيك وتشويه واختلاق شخصيات، ما يؤكد زيفوفساد الخطاب التاريخي التراثي.

وقد شملت حملة التشويه هذه؛ كل حركات المعارضة وزعمائها، وذلكبالتشكيك في نسبهم وأهدافهم[4]، بيد أن محاولات التشكيك والتشويه لم تتوقف عند زعماء الثورات والحركات المعارضة للسلطة الحاكمة، بل شملت كل من غضبت عليهم السلطةمن العامة وغيرهم.

مؤكداً على أن هذه الأساليب التي اعتمدتها السلطة، والمؤرخون الرسميون (مؤرخ البلاط والمؤرخ الفقيه)، أنتجت لنا تاريخا مشوهاً ومن ثم برزت الحاجة لإعادة دراسة تاريخ المعارضة وإعادة الاعتبار "لقوى الظل"[5]، بما يتوافق مع قانون "صراع الطبقات الذي يولد التاريخ بأحداثه ووقائعه"[6]، وقد كانت الغاية من وراء كل هذا الوصول إلى تنظير شامل لتاريخ المسلمين.

إنطلاقا من مقولة لا "وجود لهامش دون مركز يهمشه"[7]، فمحمود إسماعيل يعتبر أن التاريخ الرسمي يمثل المركز بنظره، والذي تمثله كل من السلطة ومن تبعها من مؤرخي البلاط والمؤرخين الفقهاء، بينما تمثل قوى المعارضة الهامش، هذا المركز الذي عمل بكل ثقله على ممارسة الإقصاء والتخوين والتهميش، والتشكيك لكل ما هو خارج عن حدود سلطته وشرعيته "فكتابات السلف في الغالب الأعم تتواتر على تبرير النظام الملكي

---

[1] ـ محمود إسماعيل، من سمات الخطاب السلطوي إزاء قوى المعارضة في الإسلام، ص265.

[2] ـ محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص8.

[3] ـ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، -طور الازدهار- الفكر التاريخي، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، ط1، 2000، ص21.

[4] ـ من أمثلة ذلك التشكيك في نسب مؤسس الدولة الفاطمية، وكذا مؤسس دولة الأدارسة، وبعض من مؤسسي دول الخوارج، يراجع: محمود إسماعيل، من سمات الخطاب السلطوي إزاء قوى المعارضة في الإسلام، ص268.

[5] ـ "قوى الظل" مصطلح يطلقه محمود إسماعيل على قوى المعارضة أو حركات المعارضة، التي كانت في رأيه أكثر التزاما بتعاليم الإسلام وأشد حرصا على تطبيقها، بالرغم من ذلك لم تنل حظها من الكتابة والتأريخ لها. محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص13-14.

[6] ـ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير، ص14.

[7] ـ هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015، ص29.

الهرقلي الأموي والحكومة الكسروية العباسية، وتحمل بلا هوادة على الحركات والثورات الاجتماعية المعارضة كافة، وتصورها سياسيا على أنها تطاول وتمرد وفتنة ضد أولي الأمر، واجتماعيا على أنها هبات العوام والأسافل، كما أنها مروق وكفر وزندقة من الناحية الدينية، وتقليد ومحاكاة للفكر الوثني في جوانبه الإيديولوجية"[1].

بالتالي فإن مسار محمود إسماعيل الفكري الذي تشكل في خضم أجواء ثورية نضالية مشحونة بهموم السياسة[2]، ما لبث أن تحول إلى رؤية معرفية ومنهجية جسدتها كتاباته التاريخية والفكرية. لتأذن بميلاد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، التي حملت على عاتقها تصحيح الكتابات التاريخية الوسيطية وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وإخراجه من إسار التاريخ الرسمي السلطاني، المحتكم إلى الايدولوجيا والمناهج والرؤى التقليدية التي كرستها السلطة والحكومات المتعاقبة على تاريخ المسلمين، إلى تاريخ المعارضة وقوى الظل، الذي يخضع لرؤية منهجية ومعرفية صارمة تنشد العلمية والعقلانية في الطرح والمعالجة.

هذا ما دعاه إلى المراهنة على ثلة من الباحثين "المغاربة" المنتمين إلى حقل التاريخ الاقتصادي الاجتماعي، الذين حملوا على عاتقهم هم إخراج هذه الفئات المغيبة من طي النسيان والكتمان إلى السطح.

المطلب الثاني: التغييب والتهميش على مستوى مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

سعى رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من تلاميذ محمود إسماعيل، إلى التجديد في الكتابة التاريخية وتنقيتها وتصفيتها من مثالب الكتابة التاريخية التقليدية، في خضم هذه الممارسة التجديدية التي يسعون إليها، تكونت مسلمة لديهم ما فتئ أصحاب هذا الاتجاه يذكروننا بها، وكأنهم يعقدون اتفاقا مع قرائهمبضرورة وجود مؤامرة طالت الفئات والشرائح الاجتماعية، وأسدل نوع من الستر والكتمان على المعطيات الاقتصادية والاجتماعية من لدن المؤرخين في العصر الوسيط.

وقد تلقف هذه المسلمة غالبية الباحثين ممّن جاؤوا بعدهم، فلا نكاد نعثر على دراسة في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي تخرج عن هذه المسلمة، حيث أضحت موجهة لغالبية الأبحاث في التاريخ الوسيط.

لا يتوانى محمود إسماعيل في غير فرصة بالإشادة بالباحثين المغاربة الذين تتلمذوا على شخصه، ومثلوا الدعامة الأساسية لمدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، متبنين رؤيته ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي، وعلى هذا سوف نهتم بأعمال كل من إبراهيم القادري بوتشيش وأحمد الطاهري وعبد الإله بنمليح وأحمد المحمودي الذين مثلت أعمالهم العلامة الفارقة، إيذانا بميلاد مدرسة في تاريخ المهمشين والتاريخ من أسفل.

[1] ــ يراجع: مقدمة الطبعة الأولى لكتاب الحركات السرية في الإسلام، محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام، ص12.

[2] ــ وهذا ما عبر عنه بصراحة في مقدمة كتابه "الحركات السرية في الاسلام". المرجع نفسه، ص07.

ولبيان ملابسات تشكل هذه المسلمة حري بنا ذكر المرتكزات التي شكّلت هذه الدعوى، وكذا أدلتهم حول هذه القضية وأهدافهم من كتابة تاريخ المهمشين، أو بعبارة أدق؛ كيف كتب المؤرخون التاريخ الإسلامي، وكيف يجب أن يكتب؟

لذلك فإنهم يطرحون سؤالا غاية في الأهمية يمثل لب مشروعهم التاريخي النظري والتطبيقي[1]: هل ثمة مشروعية لتغييب تاريخ الفئات الشعبية من طرف مؤرخي العصور الوسطى؟

وقبل الإجابة عنه من الضروري أن نطرح سؤالاً يسبقه هو: هل يمكن القول أن هناك تغييباً وتهمشاً مارسه المؤرخ على مجموع المعطيات الحضارية خلال العصر الوسيط؟ أم الأمر ماهو إلا تباين في الاهتمامات بين عصر وعصر وبين معرفة وأخرى؟

الفرع الأول: التاريخ الإسلامي في ظل رؤية رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

لعل من بين أهم المؤرخين الذين اهتموا بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، نخبة ممّن تتلمذوا على يد المؤرخ المصري محمود إسماعيل عبد الرزاق رائد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ومن أبرزهم من المغرب إبراهيم القادري بوتشيش وأحمد الطاهري وعبد الإله بنمليح وأحمد المحمودي، ومن الجزائر بوبة مجاني وفاطمة بلهواري، ومن مصر حسين خالد... وغيرهم.

وقد أبرزوا من خلال أعمالهم الجامعية التي قدموها المعضلات التي طبعت الكتابة التاريخية عند المسلمين، والتي تصب معظمها في معالجة قضايا المهمشين في التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى بيان الصعوبات والإشكالات التي اعترضتهم في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

وفي صدد التذكير بريادية المدرسة المحمودية من لدن الشيخ إثراء لطلبته ومريديه، يذكر محمود إسماعيل أن الدراسة الجادة التي قدمها أحمد الطاهري حول عامة قرطبة في عصر الخلافة تعد الأولى في ميدانها[2]، وانطلاقا من الرؤية المادية والمنهج الجدلي قدم الباحث بناء متكاملاً لعامة قرطبة"إذ تعرض لخطط قرطبة وحدد مضارب ومواطن العامة بها تحديداً دقيقاً، كما نجح في تحديد شرائح هذه الطبقة، فضلا عن تبيان وضعيتها بين سائر الطبقات الأخرى، مصححاً بذلك أخطاء الدارسين الذين يفهمون البناء الطبقي من خلال عمل العصبية العنصرية أو الطائفية المذهبية، لقد اعتمد الباحث في تحديد البناء على مسح اقتصادي شامل لأنماط الإنتاج السائدة والهامشية، وعرض لقوى الإنتاج في ضوء ما توصل إليه دون إعتساف"[3].

---

[1]_ وقد أفصح إبراهيم القادري بوتشيش عن الأدوات النظرية والمنهجية لهذا المشروع من خلال بعديه النظري والتطبيقي في كتابه **"المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي.. إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل"**.

[2]_ أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة.. دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989، ص04.

[3]_ المرجع نفسه، ص04.

وخير دليل على هذه المنهجية والرؤية التي تؤطر دراسته، ذلك التقسيم الذي سار عليه في دراسته حول العامة في قرطبة إبان عصر الخلافة، حيث بدأ بدراسة الجانب الاقتصادي ثم الاجتماعي وأخيراً الجانب السياسي، وهذا ما يوضحه في مقدمة دراسته حيث خصص الفصل الأول لتتبع "دور عامة قرطبة الاقتصادي وعلاقات الإنتاج والقوى المنتجةونشاط العامة في الميدان الفلاحي والصناعي والتجاري" بينما ينتقل في الفصل الثاني من أطروحته لمعالجة "البنية الاجتماعية لطبقات العامة من حيث تركيبها الإثني-الطائفي وبنائها الطبقي ومظاهر حياتها الاجتماعية"[1]، وفي ضوء الفصلين السابقين؛ انتقل في الفصل الثالث لتتبع دور العامة في النشاط السياسي.

وهذا ما يقرره أحمد الطاهري إذ يعتبر أن من ضروريات البحث التاريخي في المصادر الوسيطة التحرر "من نظرة الاحتقار واللامبالاة تجاه طبقات العامة، ينكشف له التأثير البالغ الذي مارسته على التطور التاريخي للمجتمعات الإسلامية بالمشرق والمغرب على السواء"[2]، مع ضرورة "الانطلاق من دراسة وضعية الأرض للوقوف على جذور الانحلال الذي أصاب البنيات والعلاقات القديمة، ومن ثم رصد العوامل التي أثرت في كثافةوطبيعة ودور الطبقات المنتجة بداخل العاصمة، وذلك في ضوء معاينة العديد من المظاهر الدالة على عمق التحولات الطارئة على أندلس الخلافة. بناء على ذلك؛ يمكن تناول ما استجد من ازدهار في القطاعات الاقتصادية المدينية من تجارة، وصناعة مع ما لذلك من تأثير على العامة، تمكن هذه الخطوة المنهجية من حصر العناصر الأساسية التي بدونها يتعذر فهم التحولات التي طرأت على التركيب الاثني- الطائفي والطبقي للعامة، وبالمثل فدراسة هذه الجوانب الاجتماعية كخطوة ثانية، هي التي توفر الأساس الموضوعي لمعاينة نشاط العامة السياسي إن الربط جدليا بين الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من شأنه إغناء هذه الجوانب جميعا وتقديم عامة قرطبة في صورة واضحة متكاملة"[3].

ونلاحظ من خلال هذه المقدمة أن الطاهري يوظف المنهج المادي في رصد البناء التحتي والمتمثل في الوضع الاقتصادي للعامة وتأثيره في البناء الاجتماعي، وكيف يؤثران معا على البنية الفوقية والمتمثلة في الجوانب السياسية والثقافية، وهو بهذه الخطوات يستعمل الجدلية التاريخية، والتي تقوم على مفهومين أساسيين هما البنية التحتية والبنية الفوقية.

ونفس المنهج يكرسه إبراهيم القادري بوتشيش في كتابه مباحث في التاريخ الاجتماعي، وذلك من خلال رصد الظاهرة الاجتماعية وأنماط الإنتاج السائدة وربطهما بالبناء السياسي[4].

---

[1] _ المرجع السابق، ص18.

[2] _ المرجع نفسه، ص21.

[3] _المرجع نفسه، ص10.

[4] _ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، 1997، ص05.

ويشدد أحمد المحمودي أيضا على أن البحث في الجوانب التاريخية عموماً، والبحث في فترات تاريخية بعينها "لا يكتمل إلا بالاهتمام بأوضاع العامة"[1]، وبيان دورها في ا لتطور العام لمسار التاريخ، ولعل دليلهم على دور هذه الطبقة في التاريخ، أنها تشكل المحور الأساسي في عمليات الإنتاج، والعصب الاقتصادي لكل مجتمع من المجتمعات، ولأي دولة من الدول التي مرت على تاريخ المسليمن.

ومن زاوية أخرى يذهب ذات الباحث إلى اعتبار الأساس الاقتصادي المحدد الأهم في التراتبية الاجتماعية وعلى إثره تتحدد باقي العوامل، كالجاه والسلطة والدخل والثروة، فبالضرورة يؤدي ازدياد الثروة إلى التقرب من السلطة، وكذا من كانت له قرابة من السلطة بالضرورة فهي مفضية إلى زيادة الثروة بفعل التسهيلات من طرف السلطة[2]، وعليه فهناك ترابط جدلي بين التراتبية الاجتماعية وامتلاك الثروة[3].

وهذا ما أكده محمود إسماعيل عند تقديمه لأطروحة المحمودي، ودروها في الكشف "عن كثير من المسكوت عنه في الثقافة الشعبية الموازية للثقافة الرسمية، والمعبرة في ذات الوقت عن صراع فكري سوسيو سياسي"[4].

في ظل هذا التركيز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، والتأريخ للفئات الهشة من خلال المنهج المادي والرؤية الجدلية لحركة التاريخ، اعترضتهم مجموعة من الصعوبات والإشكالات، ومن بين هذه الإشكالات؛ غياب المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة المصدرية التاريخية، بل أكثر من ذلك فقد عمل المؤرخ في العصر الوسيط على طمس، وتشويه تاريخ العوام بما يخدم مصالح السلطان، وجاء ذكرهم في المصادر التاريخية بأبشع الصفات "واستنزلت عليهم اللعنات ووصفتهم بالأنذال والسفهاء والأوباش والرعاع

---

[1]_ أحمد المحمودي، عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، سلسلة دراسات وأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 2001،ص15.

[2]_ المرجع نفسه، ص20.

[3]_ لا نسلم بهذا الرأي باعتبار أن القرابة قد تفضي إلى مكانة اجتماعية مرموقة مع غياب الثروة، بالإضافة إلى الجاه فقد يعطي للإنسان مكانة دون أن يكون له ثروة بل قد تفوق في كثير من الأحيان مكانته مكانة صاحب المال. لمزيد من التفصيل حول الموضوع، يراجع: مُحَمَّد ياسر الهلالي، مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع هـ/ XV-XIV م، مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتب الاجتماعي: (العامة، الخاصة، الطبقة، المرتبة)، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، وحدة التكوين والبحث: العالم المتوسطي في العصر الوسيط، قضايا ومناهج، تخصص: التاريخ الوسيط، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، السنة الجامعية: 2000/1999م. مُحَمَّد رضى بودشار، التصوف والتهميش بالمغرب الوسيط، ضمن أوراق الندوة الدولية: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس: قضايا وإشكالات، الجزء الثاني: قضايا في التاريخ الاجتماعي، الأعمال التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش، المنعقدة بتطوان: بتاريخ: 18-20/ 2018/04، تنسيق: مُحَمَّد الشريف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، المغرب، ط1، 2020.

[4]_أحمد المحمود، عامة المغرب الأقصى، ص11.

والهمج إلى غير ذلك من عبارات الذم الأخلاقي، وتكتمت عن إبراز أدوارهم الطلائعية في بناء المجتمع وتطوير الاقتصاد، وعلى عكس ذلك وصفتهم بالتسرع في إثارة الشغب والقلاقل والفتنة والقتل"[1].

إنّهذه المصطلحات التي تدل على العداء، والحقد ضد هذه الفئة من المجتمع[2]، تفسر سبب "إقصاء هذا القطاع الاجتماعي العريض الذي يشكله البؤساء، وعامة الناس من الكتابة التاريخية"[3].

وحتى الذين أَفلتوا من رقابة المؤرخ، لم تأت في حقهم إلا تلميحات اقترنت في غالب الأحيان بفترات "الفتن والهبات القحط أو حدوث انتفاضة ظلم أو طغيان"[4]، بل في الغالب الأعم تجدهم على "هامش المجتمع والتاريخ"[5].

هذا الحكم الذي يقدمه رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي إزاء المؤرخين في العصر الوسيط والمدونة المصدرية التاريخية أصبح في نظرهم مسلمة تؤطر جميع أعمالهم ودراساتهم، وميزة تطبع مقدمات ابحاثهم، بل أكثر من ذلك أصبحت رؤية موجهة لباقي الباحثين في حقل التاريخ الاقتصادي الاجتماعي، فلا تكاد تخلو مقدمة من ذكر هذه المسلمة.

لهذا فإنهم تساءلوا؛ عن العوامل التي شكلت نظرة المؤرخ ورؤيته للتاريخ خلال العصر الوسيط، وأثرها في تغييب الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية من المدونة التاريخية.

الفرع الثاني: الكتابات التاريخية الإسلامية في نظر رواد دراسات التغييب والتهميش

يذهب رواد هذه المدرسة أن التغييب والتهميش الذي طال الفئات الاجتماعية مرتبط أشد الارتباط "بالمؤرخين ومنهجيتهم ورؤيتهم للتاريخ"[6]، ودائما ما يتساءل المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش "هل ثمة مشروعية لتغييب تاريخ الفئات الشعبية من طرف مؤرخي العصور الوسطى؟"[7]، وعليه فإنه من الواجب في نظرهم مراجعة الكتابات التاريخية الوسيطية، وذلك من أجل الكشف عن مكمن الخلل في هذا الخطاب التاريخي، إضافة إلى اقتراح أسس نظرية وطرق منهجية لتجاوز أزمة الكتابات التاريخية الوسيطية.

ويضرب مثالا بابن خلدون يوم تساءل عن مكانة صانعي المعاش في التاريخ[8]، إذ يؤكد على أن تاريخنا "يسير في طريق مسدود ويقرأ قراءة فوقية تعمل على تغييب الآلية الحقيقية لسيرورته، فعوض أن يهتم المؤرخون

---

[1] ـ يراجع: إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص169. أحمد المحمودي، عامة المغرب الأقصى، ص16.

[2] ـ أحمد المحمودي، عامة المغرب الأقصى، ص16.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق5-6هـ/ 12-13م)، مجلة التاريخ العربي، الرباط، المغرب،عدد22، السنة 2002، ص249-250.

[4] ـ أحمد المحمودي، عامة المغرب الأقصى، ص15.

[5] ـ المرجع نفسه، ص15.

[6] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص265.

[7] ـ المرجع نفسه، ص260.

[8] ـ المرجع نفسه، ص258.

القدامى بالفئات الشعبية بوصفها الطاقة المحركة للتاريخ وتطور المجتمعات، آثروا حفاظا على مصالحهم الطبقية؛ الارتماء في أحضان أولياء نعمتهم، ومن ثم أحجموا عن التعرض لأخبار المسحوقين من جماهير الفقراء والفلاحين والحرفين البسطاء والعوام العاطلين وغيرهم من المستضعفين"[1].

ولتوضيح ذلك يسرد نصا تاريخيا جاء في وصف الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن (ت 580هـ/ 1184م)، حيث يسهب صاحبه في وصف الخليفة "من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه"[2]، بينما يسدل ستاراً من الصمت على عامة الناس، وعلى حد قوله فإن هذه المفارقة في تتبع جزئيات الخلفاء والسلاطين، ما هي إلا إحدى تجليات "ومعضلات التاريخ الإسلامي"[3]، التي أنتجت لنا تاريخاً سلطانياً نخبوياً، يمشي على رأسه بدل أن يمشي على قدميه.

وعلى حد قول بوتشيش فإنه "من العبث أن نبحث عن مؤرخ عايش هموم الفئات الشعبية في المغرب عامة، والمغرب الشرقي خاصة، وسجل أحداثها بأمانة"[4]، فأغلب المؤرخين حتى وإن لم يصرحوا ويستخدموا مصطلح التهميش إلا أنهم مارسوه في كتاباتهم[5]، والتهميش الذي مارسه المؤرخون في الغالب لم يقتصر على المؤرخين المسلمين فقط، بل تعداهم ليشمل التاريخ البشري عموما، وخير مثال على ذلك شعوب أثينا وروما، وكذا نفس الأمر ينطبق على أوروبا في عصرها الوسيط، بينما انتقل التهميش في العصر المعاصر إلى أشكال جديدة مع الحركة الإمبريالية[6].

يقر أصحاب هذا الاتجاه أن السكوت والصمت اتجاه هذه الفئات الاجتماعية، كان من طرف مؤرخي البلاط، وكذا من طرف مؤرخي المعارضة على حد سواء، يقول بوتشيش في ذلك: "ومن الغريب أن الإحجام نفسه والصمت نجده حتى لدى من يمكن أن نسميهم بمؤرخي المعارضة اليسارية إذا جاز هذا التعبير، إذ على الرغم من وجود مؤرخين بين صفوف المذاهب المعارضة فإن أي واحد منهم لم يكتب ولو قليلا عن الفئات الاجتماعية الدنيا، لا في المغرب الشرقي فحسب، بل في كافة مناطق المغرب، فالباحث لا يلمس أي فرق جوهري بين شيعي أو سني أو خوارجي أو زيدي، وحسبنا أن بقايا النصوص التي نقلها بعض المؤرخين من مصنفات مؤرخي المعارضة لا تغدو مجرد ترجمة لأعلام مذاهبهم، أو مجادلات كلامية بوليمكية بين هذه

---

[1] ـ المرجع السابق، ص258-259.

[2] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب، ص250.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص250.

[4] ـ المرجع نفسه، ص267.

[5] ـ المرجع نفسه، ص22-23

[6] ـ المرجع نفسه، ص22

الفرقة أو تلك، دون التعرض للمشكلات الحقيقية التي كان يعيشها من انخرطوا في حركتهم"[1]، في إطار ما يسمى "بالمصادرات المعرفية"[2] لتاريخ المخالف.

نفس التهمة يوجهها بوتشش إلى الإسطوغرافياالوسيطية، أثناء عمله على التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال الفترة المرابطية، كون المصادر تتكتم عن ذكر الكثير من القضايا الاجتماعية[3].

بينمايوجه أحمد الطاهري هذه التهمة أيضا إلى المؤرخين المعاصرين باعتبارهم مساهمين في تهميش هذه الفئة رغم الأدوار الريادية التي لعبتها في التاريخ، مما يوجب عليهم الاهتمام "بدراسة الكادحين من صناع التاريخ الحقيقيين الذين أغفلهم القدامى وتجاهلهم المحدثون"[4].

والخلاصة التي يصلون إليها، هي أن المؤرخ كان يفرض نوعا من الحصار المعرفي على العامة وحركات المعارضة، من خلال تشويه وتحريف تاريخها.

هذا التهميش الذي طال هده الفئات يعود بالدرجة الأولى إلى مجموعة من العوامل والأسباب[5]، تتعلق بمستويين أساسيين، المؤرخ من جهة أولى والفئات المهمشة من جهة ثانية.

أولا: عوامل تتعلق بالمؤرخ

وقد جعلها المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش في عاملين أثنين، عامل متعلق بموقع المؤرخ من السلطة وعامل ثاني متعلق بالمكونات الثقافية للمؤرخ.

1- موقع المؤرخ من السلطة

من بين العوامل المفسرة لهذا التهميش هو موقف المؤرخ من علاقة السلطة بالمحكومين[6]، إذ شكل انحيازه للسلطة السبب الرئيسي في تهميش هذه الفئات الدنيا وتشويه تاريخها، فعوض أن يهتم المؤرخ بالفئات الشعبيةباعتبارها المحرك الأساسي للتاريخ لم يلق لهم بالاً، بل على العكس من ذلك اهتم بالجوانب السياسية والعسكرية المتعلقة بالحكام والسلاطين، حيث آثر المؤرخون"حفاظاً على مصالحهم الطبقية الارتماء في أحضان أولياء نعمتهم، ومن ثم أحجموا عن التعرض لأخبار المسحوقين من جماهير الفقراء والفلاحين والحرفين البسطاء والعوام العاطلين، وغيرهم من المستضعفين"[7]، الذين شكلوا خطرا على السلطة بتمرداتهم وثوراتهم، وعليه فإنهم

---

[1] ـ المرجع السابق، ص266.

[2] ـ إسماعيل محمود، الأدارسة (176-375هـ) حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991م، ص10.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص6.

[4] ـ أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة، ص05.

[5] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص26-34.

[6] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، تجديد التاريخ الإسلامي.. كيف ومن أين نبدأ، مجلة الاجتهاد، بيروت، عدد 22، السنة 1999، ص134.

[7] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص259.

في نظر المؤرخ السلطاني خارجون عن سلطة الحاكم وطاعته ومخلّون بمبدأ "وحدة الأمة"[1] والجماعة، والمعروف أن السلطة السياسية في الإسلام في بدايات تشكلهاكان همها الحفاظ على الوحدة التي تصب في مصلحة الحاكم، حيث شكل هذا المبدأ الخلفية الفكرية والناظم المعرفي المتحكم في كتابات المؤرخين ورؤيتهم[2]، وبالتالي حقَّ للمؤرخ أن يمارس نوعاً من التهميش والتغييب والتشويه لهذه الفئات الخارجة عن وحدة الأمة وشرعية السلطة، وقد أتبع في ذلك آليتين[3]:

- الطمس والتعتيم على أغلب هذه الفئات والشرائح الاجتماعية وتزوير تاريخها.
- الرقابة والاستيعاب التي كانت تفرضها السلطة على هذه الفئات الشعبية.

2- المكونات الثقافية للمؤرخ

لا يقف تهميش المؤرخين للفئات الاجتماعية عند الأسباب السياسية وعلاقة المؤرخ بالسلطة فقط، بل لعب وعي المؤرخ ونظرته القاصرة للتاريخ دوراً مهماً في تهميش هذه الفئات، حيث ظل عاجزاً عن إدراك العوامل الأساسية المتحكمة في حركة التاريخ وسيرورته، ما جعل اهتمامه ينحصر في الجوانب السياسية والعسكرية، التي تضخم دور الحاكم في التاريخ باعتباره شخصية كارزمية قادرة على صناعة التاريخ.

وعلى ما يبدو فإن هذا الموقف المسبق للمؤرخين من طبقة العوام لا يستند إلى علاقتهم بالحاكم أو علاقتهم بالمحكومين فقط، بل يتعدى ذلك إلى المخيلة الاجتماعية التي يرسمه المؤرخ عنهم،فالعوام في مخياله"هم سواد الناس الذين لا يملكون السلطة ويعيشون في عالم له أبعاده الفكرية والدينية التي تتدنس عن مستوى عالم الخاصة"[4]، وبالتالي يتم تناسيهم والإعراض عن ذكرهم.

وهذا ما يتضح من خلال كتابات السلف فهي "في الغالب الأعم تحمل بلا هوادة على العامة، ولا تتورع عن سبهم والتغليظ لهم، وإذا كانت نظرة الاحتقار واللامبالاة قد أثرت على كمية المادة التاريخية، فمن شأن هذا الحقد الطبقي تقديم العامة في صورة شوهاء زائفة"[5].

وربما ما يزيد من طغيان هذه النظرة وتجذرها في الدراسات التاريخية المعاصرة، ذلك التقديس الذي تحضبه كتابات السلف، ففي الغالب الأعم يؤخذ كلامهم، وأقوالهم على أنها حقائق مسلمة دون النظر في مدى صحتها ومصداقيتها.

---

[1] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب، ص251.

[2] ـ وفي الغالب فإن هذه النظرة الضيقة للتاريخ تشكلت في ظل بدايات تدوين الحديث النبوي، وغلبة الصنعة الحديثية على المشتغلين بالحديث، مما جعلهم يعتمدون في قبولهم للآراء والروايات على من عرف عنهم الاعتدال وعدم معارضتهم للسلطة الحاكمة.المرجع نفسه، ص251.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص27-31.

[4] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1995، ص176-177.

[5] ـ أحمد الطاهري، عامة قرطبة، ص09.

بالاضافة إلى طغيان التاريخ السياسي والعسكري على كتابات السلف[1]، دون غيره من المواضيع التاريخية المبتكرة التي تدرس التاريخ من جميع جوانبه، مما يساهمفي رسوخ صورة مشوهة عن العامة.

ثانيا: عوامل تتعلق بالفئات المهمشة

وعلى الرغم من الأسباب السابقة فإنّ هذه الفئات المهمشة، والمغيبة في المدونة التاريخية "تتحمل مسؤولية تحجيم دورها، إذ لم تخلف أثراً أو كتابةً.. وهو أمر يعزى إلى تدني مستواها الثقافي، لأنها لم تحظ بنصيبها في عالم الثقافة والمعرفة.. في الوقت نفسه الذي تعرضت وثائقها غير المكتوبة للطمس والإتلاف من جانب الطرف الحاكم"[2].

هذه الأرضية التي تتألف من ثقافة المؤرخ وبيئته وعلاقته بالسلطة، تضاف إليها مجموعة من العوامل الأخرى، كعقد الاستعلاء العرقي والغلبة والقوة، بالإضافة إلى المركزية والتفوق الحضاري[3]، هذه العومال مجتمعة تساعد في تكريس التهميش على أبعاد ومستويات متفاوتة، ليأخذ في الأخير بعدا مركباً بحيث يشمل جميع مناحي الحياة.وعلى هذا فإن التهميش "في جوهره عملية إقصائية تستهدف إقصاء طرف لطرف آخر، وعدم إدماجه في المجتمع، ثم حرمانه من كافة حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وطمس ثقافته وتراثه تمهيداً لمحو هويته أو إذابتها في هوية الذات المهمشة"[4].

هذه الرؤية التي سيطرت على وعي المؤرخين في العصر الوسيط قادتهم في الغالب إلى تغييب وتهمييش العديد من المعطيات الفاعلة في حركة التاريخ، فشمل هذا الإقصاء جانبين مهمين:

الجوانب التي تخص حركات المعارضة والانتفاضات والثورات والتمردات، وعليه "فإن التاريخ العربي – وضمنه تاريخ الغرب الإسلامي في العصور الوسطى كما أصطلح على تسميته تجاوزا- يحفل بثورات وانتفاضات وحركات احتجاج خلفت دوياً كبيراً في حينه، بيد أنها لا تظهر اليوم في ثنايا الأسطوغرافيا إلا بشكل باهت، بل نكاد نجهل كل شيء عن أهدافها ومراميها التي تم طمسها أو تشويهها حين صور زعماءها كشرذمة من السفلة والأوباش والعصاة والمارقين والخارجين عن الجماعة"[5].

إلى جانب غياب الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فلم يأت المؤرخون على ذكر شريحة الفلاحين والمزارعين رغم دورها الطلائعي في التاريخ، بل اعتبروها من فئة "البؤساء" التي لا يجب ذكرها، والقول نفسه ينطبق على باقي شرائح المجتمع، كالنساء والأيتام والفقراء والمتسولون والعامة الذين لم تذكرهم المصادر إلا

---

[1] ـ المرجع السابق، ص09.

[2] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب، ص252-253.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص21.

[4] ـ المرجع نفسه، ص20.

[5] - المرجع نفسه، ص10.

"بنصف الكلمات"[1]، بينما استبعدت الأقليات من المدونة التاريخية، على غرار العبيد الذين طالتهم في الغالب نظرة من الاحتقار والدونية في كتابات المؤرخين[2].

وأما السحرة والمتنبئين والعرافين والمنجمين فقد اعتبروا في خانة المغضوب عليهم من قبل المؤرخين، والمجتمع على حد سواء.

وكذا لم يأت ذكر لأرباب الصناعات كالحرفيين والتجار والباعة والعطارين والنخاسين، وهذا ما يؤكده الدارسون[3] للجوانب الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط "على صعوبة تتبع المسار التاريخي لتطور الصناعة في المغرب خلال العصر الوسيط، وذلك بسبب شحة الوثائق وورود بعض النصوص على شكل شذرات متفرقة لا تشفي غليل الباحث"[4]، بل يجد الدارس نفسه في غالب الأحيان "أمام صمت المصادر أو ضياعها"[5]، وقد كان من نتائج هذه الندرة في المادة العلمية تعذر البحث في الدراسات المونوغرافية لبعض مدن الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط[6].

الفرع الثالث: كتابة تاريخ المهمشين على مستوى مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

أولا: أهداف كتابة تاريخ المهمشين

على غرار ما قامت به المدارس التاريخية الغربية، فإن كتابة تاريخ المهمشين في سياق مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي العربية، كانت له أهدافه ومراميه، وذلك من خلال السعي نحو هيكلة مدرسة تاريخية ترد الاعتبار للفئات المهمشة، وهذا ما يؤكده بوتشيش فتاريخ المهمشين يعد في نظره "مشروعا علمياً"[7]، يحتل مكانة مهمة في الكتابة التاريخية العربية، بيد أنه ليس ابتكارا جديداً، بقدر ما هو استعادة لدعوى أطلقها ابن خلدون في مقدمته، في إطار تساؤله عن مكانة صانعي المعاش في التاريخ[8]، وعليه فالواجب الآن هو كتابة

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص10.

[2] ـ على الرغم من ورود لوائح من أسماء الرقيق في المدونة الوسيط، غير أن بنمليح يؤكد أن الأمر لا يمكن أن يحجب تلك النظرة الدونية التي طبعت كتابات المؤرخين. يراجع: عبد الإله بنمليح، تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط، ضمن كتاب: دراسات المجالات الاجتماعية المهمشة، ص108.

[3] ـ يراجع: حسن بن يحي الشوكاني، التجارة ونظم التسويق دراسة حضارية في التاريخ الأندلسي (138-422هـ/ 755-1030م)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2019، ص08. إبراهيم القادري بوتشيش، إسهامات في التاريخ الإقتصادي- الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مطبعة فضالة، المغرب، 1998، ص53.

[4] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، إسهامات في التاريخ الإقتصادي- الاجتماعي لمدينة مكناس، ص53.

[5] ـ المرجع نفسه، ص53.

[6] ـ المرجع نفسه، ص13.

[7] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص15.

[8] ـ المرجع نفسه، ص258.

"تاريخ المهمشين"[1]، وذلك "بهيكلة مدرسة تسعى إلى تصحيح مسار التاريخ العربي، وإنصاف الحركات المظلومة من قبل مؤرخي البلاط"[2]، وذلك بإعادة النظر فيما كتب من طرف مؤرخ السلطة، والنفاذ إلى العوامل الخفية التي أثرت في وعي المؤرخ وشكلت خطابه التاريخي.

وهذا ما يراهن عليه بوتشيش في مقدمة كتابه "المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي"، من أن غايته من كتابة تاريخ المهمشين هو "الدفاع عن هذه الحركات المظلومة.. وإزالة ما لفَّها من غموض، وما شابها من دسائس المؤرخ الرسمي.. وفك الحصار عن فئة اجتماعية لم ينصفها المؤرخون، ولم يسمحوا لها بالظهور على واجهة التاريخ"[3].

وهذا ما يؤكده عبد الإله بنمليح في كلامه عن تعدد مسؤوليات المؤرخ اليوم، إذ على المؤرخ أن يتجاوز رهان الكتابات التاريخية الوسيطة في ظل المناهج، والرؤى الجديدة التي تراهن على كتابة تاريخ المهمشين، بل تملي على المؤرخ اليوم أن يصبح "دليلا للغائبين والمنسيين"[4] في التاريخ.

ويراهن بوتشيش على الرؤية التي يطرحها التاريخ من أسفل وأنها كفيلة بتصحيح مسار الكتابة التاريخية "لذلك فإن ما يعرف بالتاريخ المنظور إليه من الأسفل (Histoire vue d'en bas)، لا يزال يشكل حاجة ملحة لتصحيح مسار الكتابة التاريخية وإعادة الاعتبار لمن كان لهم دور في تحريك مجرى التاريخ من صناع وحرفيين ومزارعين وعامة المدن والبوادي"[5].

ونفس الأمر ينبه إليه أحمد الطاهري في دراسته "لعامة قرطبة في عصر الخلافة"[6]، إذ يراهن على تاريخ العامة، ويعتبرهم المفتاح الأساسي لفهم التاريخ الأندلسي وتاريخ المسلمين عموماً.

وهذا ما نبه إليه أحمد المحمود في دراسته أيضا عن "عامة المغرب الأقصى خلال العصر الموحدي"، فإنه وصل إلى قناعة غاية في الأهمية وهي "أن البحث في ثنايا التاريخ الموحدي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي والعسكري، لا يكتمل إلا بالاهتمام بأوضاع العامة"[7].

لهذا فإنهم يراهنون على تاريخ المهمشين لتصحيح مسار الكتابة التاريخية العربية، ويشمل هذا التصحيح فئتين من المجتمع تعرضتا للطمس المتعمد من لدن المؤرخ، الأمر هنا يتعلق بكل من المستضعفين

---

[1] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، التاريخ المبتور والمصادر الدفينة من تاريخ السلطة إلى تاريخ المهمشين، ندوة: إعادة كتابة التاريخ في الإشكالات والمعوقات، مجلة المنطلق، عدد 120، السنة1998م، ص88.

[2] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص9.

[3] ـ المرجع نفسه، ص11.

[4] ـ عبد الإله بنمليح، التاريخ الاجتماعي للمغرب الوسيط أنموذج المهمشين ملاحظات وتساؤلات، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط ،عدد7-8، السنة2009-2010، ص83.

[5] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص16.

[6] ـ يراجع مقدمة أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة، ص05.

[7] ـ أحمد المحمودي، عامة المغرب الأقصى، ص15.

الذين لا صوت لهم في التاريخ، وحركات المعارضة المظلومة والانتفاضات التي تعرضت لكل أشكال الدس والتشويه، هذا التصحيح والتقييم الذي ينطلق فيه المؤرخ من رؤية شمولية للتاريخ، تستدعي رؤية وإشكالات جديدة، وآليات ومناهج مبتكرة، ومصادر ومظان بديلة، لذا فإنهم يقترحون رؤية منهجية تعيد الاعتبار للفاعلين الحقيقيين في التاريخ وحركته.

ثانيا: منهجية وآليات كتابة تاريخ المهمشين

يؤكد بوتشيش في مقاله المعنون بـ"من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين..نظرات في تجديد الأدوات المنهجية للمؤرخ"[1]، أن الانتقال من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين، يستلزم على المؤرخ مجموعة من التغيرات، التي تتألف وفق ثلاث مستويات: التحول على مستوى القضايا، التكثيف في المناهج، التجديد في المصادر.

إذ يتحتم على المؤرخ الانتقال على مستوى القضايا من دراسة السلطة وحاشيتها، إلى دراسة الفرد ومختلف الشرائح الاجتماعية كالعوام والمتسولين والعبيد، ومن التأريخ للبلاطات والقصور، إلى التأريخ للأرياف والبوادي والجبال والأماكن المنعزلة.

كما يتحول المؤرخ من دراسة مجتمع ذكوري مهيمن على صنع القرار، مشبع بقيم الرجولة والبطولة إلى مجتمع أنثوي مشبع بقيم الأنوثة والجمال والحب،وكذا الانتقال من المجال الشرعي إلى الخوض في الطابوهات والفضاء المحظور؛ كالسحر والشعودة والدعارة والبغاء، كما يرتحل المؤرخ من المستوى الثقافي والحضاري للنخب العالمة إلى تاريخ الأميين، ومن تاريخ الأكثرية إلى تاريخ الأقليات الإثنيةوالطوائف الدينية، ومن التاريخ الواقعي إلى التاريخ المتخيل، بعبارة أخرى "الانتقال من دراسة الظروف المحيطة بالإنسان إلى دراسة الإنسان في ظل تلك الظروف"[2]، بغية الغوص في تفصيلات الحياة اليومية ومحاولة فهم دورها وفعاليتها في حركة التاريخ.

أما على مستوى المناهج؛ فكان لزاماً على المؤرخ الانفتاح على مناهج جديدة واستغلالها في البحث التاريخي، وذلك من خلال الانفتاح على المناهج التي نشأت في ظل الدرس الاجتماعي والفلسفي والأدبي، ومن أبرزها[3]:

المنهج الإحصائي الذي يعنى باستقصاء القضايا والمواضيع المرتبطة بالتغذية والإنتاج الزراعي والأمراض والمجاعات، وذلك باستخراج جداول ومنحنيات بيانية تعتمد لغة الأرقام، ما يخول للمؤرخ بناء نسق متكامل عن حياة الأفراد وذهنياتهم ومشاعرهم، ويعتبر المنهج الإحصائي من أنجع المناهج في الدراسات الهامشية.

---

[1] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين.. نظرات في تجديد الأدوات المنهجية للمؤرخ، ضمن كتاب: دراسات المجالات الاجتماعية المهمشة، ص 49-74.

[2] ـ المرجع نفسه، ص66.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص46-50.

بالإضافة إلى المنهج السيميائي المستعمل في اللسانيّات الحديثة، وهو منهج يعتمد على دراسة الشارات والعلامات وإدراك أبعادها الدلالية والرمزية، والكشف عن خبايا الخطابات وموقع الجماعات المهمشة منها، خاصة ما تعلق بالروايات المناقبية ونصوص الكرامات الصوفية.

هذا مع الاستعانة بالمنهج الأنثروبولوجي الذي يهتم بالعادات، والتقاليد التي تميز بعض الجماعات والشعوب؛ كالملبس والمأكل والمسكن..الخ، والتي يفصح المجتمع من خلالها عن هويته وكينونته.

وكذا المنهج البنيوي الذي يعد أداة مهمة للتحليل، إذيقوم على فكرة الكلية والذي يكشف عن وحدة العناصر وترابطها، وهو منهج كلي يعالج كافّة الفاعلين في التاريخ، ما يمكّن من قراءة التاريخ قراءة بنيوية متكاملة.

لاشك أن توسيع مجال القضايا وتكثيف المناهج يفضي بالضرورة إلى تنويع المصادر المستعملة،ما يحتم الانتقال من الوثيقة السياسية إلى الوثيقة العفوية[1]، لذلك فإنه أصبح المؤرخ الهامشي اليوم بحاجة "لإجراء قراءة واسعة في مختلف المصادر: تاريخية، فقهية، جغرافية، أدبية.."[2]، إذ لم تعد كتب الحوليات وكتب التراجم المورد الوحيد للكتابة التاريخية، فالتنوع في مستوى الطرح الإشكالي يقود بالضرورة إلى تغير النظرة نحو المصادر والوثائق، بل وجب توسيع مفهوم الوثيقة لتشمل كل ما له علاقة بالإنسان، كالغناء والشعر والزجل العامي، حيث تعد مادة مهمة لمؤرخ الهامش.

ولهذا فإنهم من خلال هذه الرؤية المعرفية، والآليات المنهجية حملوا على عاتقهم إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، من خلال طرق مواضيع جديدة تخص الحركات المعارضة، والطبقات المستضعفة في العصر الإسلامي الوسيط، بالإضافة إلى معالجة الرؤى والتصورات التي تساهم في تأطير المؤرخ وتوجيهه لمعالجة مثل هذه المواضيع والقضايا؛ فوقفنا على عناوين غاية في الأهمية، أنجزت خلال عقدين من الزمن، فمنها من اتخذت أطاريح دكتوراه وأخرى عناوين مقالات ودراسات، تخص جانبين أساسيين في حقل المعرفة التاريخية، جانب منهجي نظري، وآخر معرفي تطبيقي:

الجانب المنهجي النظري: المداخل المنهجية لقراءة التاريخ الإسلامي، وإعادة كتابته[3]، النص التاريخي وآليات

---

[1] ـ رغم تنبيه رواد التاريخ الهامشي بوجود مصادر ومدونات بديلة غير أنهم يتعاملون معها من منطق المدونات الاضطرارية التي يلجأ إليها المؤرخ حال لم يجد المعلومات في المصادر التاريخية، وهذا التصنيف غير الدقيق، من أسباب حكمهم على المؤرخين بأنهم غيبوا وهمشوا الفئات الاجتماعية.

[2] ـ أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة، ص9-10.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، تجديد التاريخ الإسلامي..كيف ومن أين يبدأ، ص 131-145. محمود إسماعيل، فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988، ص9-58. إسماعيل محمود، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي.. محاولة للتنظير، مجلد10.

القراءة[1]، التاريخ والعلوم المعاصرة[2]، التحقيب التاريخي[3]، الهامشي والمهمش[4]، تاريخ الذهنيات والأفكار[5]، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.. رؤية نقدية[6]، المصادر الدفينة[7] والمخطوطات[8]، الرواية الشفوية[9]، التاريخ والزمن الراهن[10].

[1]_ مُحَمَّد تضغوت، النصوص والتأويل التاريخي، ضمن كتاب: نحو تحديث التاريخ الإسلامي.. مقاربات منهجية، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص61-75. إبراهيم القادري بوتشيش، النص التاريخي بين القراءة التأويلية والهرمنيطيقا، دورية كان التاريخية، العدد 36، سنة 2017، ص70-77.

[2]_ إبراهيم القادري بوتشيش، البحث التاريخي والأنترنات، مجلة أمل، مجلة أمل، عدد21، السنة 2000، ص56-66.

[3]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الربيع العربي حلقة جديدة في التحقيب التاريخي.. الإرهاصات التأسيسية لكتابة تاريخ غير مدون، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي الثالث: التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كتب وكيف يكتب؟، ص101-145.

[4]_ إبراهيم القادري بوتشيش، من التاريخ السلطاني إلى تاريخ المهمشين.. نظرات في تجديد الأدوات المنهجية للمؤرخ، ضمن كتاب: دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة، ص49-74. عبد الإله بنمليح، هل تعتبر الكتابة في الرق في العالم الإسلامي طابوها؟، ضمن كتاب: ممارسة العلوم الاجتماعية في البلدان المغاربية: نصوص مهداة إلى إدريس المنصوري، إشراف: مُحَمَّد المبكر وفرانسوا بويون، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، 2014، ص72-76.

[5]_ محمود إسماعيل، ذهنيات العوام بين المسكوت عنه واللامفكر فيه، ضمن كتاب: في تأويل التاريخ والتراث دراسات نظرية وتطبيقية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2007، ص 13-25.

[6]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الحاجة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي للغرب الإسلامي، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002، ص60-76. إبراهيم القادري بوتشيش، موقع التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناسة في المصادر الوسيطة -رؤية نقدية-، ضمن كتاب: إسهامات في التاريخ الاقتصادي، ص13-30.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، دور المصادر الدفينة في كشف الجوانب الحضارية المنسية للمدينة المغربية.. دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس إلى أواخر عصر الموحدين، ضمن أعمال ندوة: المدينة في تاريخ المغرب العربي، بتاريخ: 24-1988/11/26، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إبن مسيك، الدار البيضاء، 1990، ص26-48. إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية في الأطروحات الجامعية.. التوجهات، الإضافات المعرفية والإشكالات المنهجية، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد16-17، السنة، 2014-2015، ص45-62.

[8]_ إبراهيم القادري بوتشيش، حول مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية، مجلة المناهل، المغرب، عدد 39، السنة1990، ص114-129.

[9]_ إبراهيم القادري بوتشيش، مواطن القوة والضعف في الشهادات الشفوية.. دراسة تطبيقية في تاريخ المغرب الراهن (1973-2005)، ضمن كتاب: التاريخ الشفوي.. مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، إعداد وتنسيق: وجيه كوثراني ومارلين نصر، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، بيروت، ط1، 2015، ص163-200.

[10]- إبراهيم القادري بوتشيش، رؤية مستقبلية لكتابة التاريخ الإسلامي في ضوء العولمة، مجلة عصور، الجزائر، عدد 22-23، السنة 2014، ص11-32.

الجانب المعرفي التطبيقي: حركات المعارضة[1]، الثورات[2]، العامة[3]، المجتمع[4]، الطبقات[5]، الفئات[6]، المرتبة[7]، الرقيق[8]،

[1]_ محمود إسماعيل، حركة الصقورة في المغرب، ضمن كتاب: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2004.

[2]_ محمود إسماعيل، ثورة الحدادين بالأندلس، ضمن كتاب: المهمشون في التاريخ الإسلامي، ص51-60. إبراهيم القادري بوتشيش، الحركة الحفصونية.. مقاربة على ضوء النمط الإقطاعي، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص143-179.

[3]_أحمد الطاهري، طبقة العامة في المجتمع الإسلامي.. إمكانية البحث من خلال النموذج الأندلسي، ضمن أعمال ندوة: جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1991، ص 61-72. إبراهيم القادري بوتشيش، عوام مكناسة في العصر الوسيط.. قراءة تحليلية في أوضاعهم ومحنهم، ضمن كتاب: إسهامات في التاريخ الاقتصادي، ص103-121. إبراهيم القادري بوتشيش، العوام في مراكش خلال عصري المرابطين والموحدين، ضمن أعمال ندوة: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، التي انعقدت في مراكش، جامعة القاضي عياض، سنة: 1988، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، ط1، 1989، ص117-133. أحمد المحمودي، المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي، ضمن أعمال ملتقى: التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبد العصور، المنعقد بتاريخ: 23-2001/04/24، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، [2002]، ص119-138. إبراهيم القادري بوتشيش، دور العامة في التاريخ الاجتماعي للأندلس خلال عصر الخلافة، مجلة دراسات مغاربية، الدار البيضاء، عدد1-2، السنة 1996، 14-17.

[4]_ أحمد الطاهري، المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة.. انحلال الروابط القبلية والطائفية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، عدد 01، السنة 1988، ص129-165. إبراهيم القادري بوتشيش، ملامح من المجتمع المكناسي في العصر الموحدي من خلال تراجم أعلام مدينة مكناس، ضمن كتاب: إسهامات في التاريخ الاقتصادي، ص89-102. إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة استبداد الدولة في العصر المرابطي.. مساهمة في استحضار أسباب تراجع الغرب الإسلامي، مجلة أمل، عدد21، السنة 2000، ص124-137.

[5]_ إسماعيل محمود، دور الطبقة الوسطى في التاريخ الإسلامي، ضمن كتاب: دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994، ص 11-35. إبراهيم القادري بوتشيش، الطبقة في الغرب الإسلامي بين المفهوم العام وخصوصية الواقع التاريخي، ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي.. قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994، ص7-19.

[6]_ إبراهيم القادري بوتشيش، أوضاع الفئات المستضعفة في العصر الإسلامي الوسيط.. نموذج من الأندلس، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ع1، سنة1986، ص37-59.

[7]_ إبراهيم القادري بوتشيش، البنية القبلية بالمغرب ومسألة المساواة والتراتب الاجتماعي، مجلة دراسات عربية، بيروت، عدد 5-6، السنة 1993، ص81-87.

[8]- عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004. عبد الإله بنمليح، الرقيق في الغرب الإسلامي بين ثنائية الخطاب الشرعي والواقع التاريخي، ضمن أعمال ندوة: التاريخ والقانون.. التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل أيام 3-2009/11/5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2009، ج2، ص329-359. عبد الإله بنمليح، تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط .. الفعل ورد الفعل، ضمن كتاب: دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، ص 97-120.

العبيد[1]، الإماء[2]، الموالي[3]، السحرة والعرافة[4]، الكهانة والتنجيم[5]،المتنبئين[6]، الأيتام[7]، المتسولين[8]، الأقليات[9]، الجاليات[10]، الفلاحين[11]،

[1]_عبد الإله بنمليح، لماذا لم يعرف الغرب الإسلامي الوسيط ثورة للعبيد؟، ضمن الكتاب التكريمي: متنوعات حليمة فرحات، منشورات الجمعية المغربية والبحث التاريخي ومعهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2005، ص77-91. إبراهيم القادري بوتشيش، مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، مجلة دراسات، أكادير، عدد 7، السنة 1995، ص27-41.

[2]_ عبد الإله بنمليح، أسماء الإماء في الغرب الإسلامي الوسيط.. محاولة أنثروبونيمية، ضمن أعمال ندوة: الرق في تاريخ المغرب، المنعقدة بالمغرب، بتاريخ: 15-12-2009، تنسيق: عبد العزيز عينوز وآخران، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2010، ص35-44.

[3]_ عبد الإله بنمليح، حضور الموالي في المشهد الثقافي الأندلسي.. نماذج من القرنين 5-6هـ/ 11-12م، مجلة كراسات أندلسية، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط، عدد3، السنة 2008، ص61-96.

[4]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الفكر السحري والعرافة بالمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي، ضمن أعمال ملتقى: الدراسات المغربية والأندلسية..الروافد والمعطيات، المنعقد بتاريخ: 26-28/04/1993، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1995، ،ص 345-355.

[5]_ إبراهيم القادري بوتشيش، علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين (القرن 6-7هـ/ 12-13م)، ضمن الكتاب التكريمي: متنوعات حليمة فرحات، ص93-107.

[6]_ إبراهيم القادري بوتشيش، حركة المتنبئين والسحرة في الغرب الإسلامي.. إعادة تقويم لحركة حاميم خلال القرن (4هـ)، مجلة الحداثة، بيروت، عدد21-22، السنة1994، ص136-150.

[7]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الأيتام في الأندلس من وثيقة تعود للعصر المرابطي، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص201-209.

[8]_ إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين والموحدين، مجلة مكناسة، المغرب، عدد6، السنة 1992، ص115-124.

[9]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الأقلية الإسلامية في صقلية بين الاندماج والصدام وصراع الهوية (484 – 591هـ / 1091 – 1194م)-مساهمة في دراسة تاريخ الأقليات-، سلسلة دراسات وأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، ط1، 2016. إبراهيم القادري بوتشيش، التعايش الإسلامي المسيحي في قرطبة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، دورية كان التاريخية، عدد32، السنة/ يونيو 2016، ص34-38. إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس.. نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد11، السنة، 1994، ص22-34.

[10]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين.. صفحة مبكرة من صفحات التعايش والتسامح بين الإسلام والمسيحية، ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي، ص87-105.

[11]_ أحمد الطاهري، تقنيات الفلاحة الأندلسية بين التراث العلمي المحفوظ والدراسات التاريخية، ضمن كتاب: الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: حسن حافظي علوي، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص179-214. إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض، التربة آفاته تقنيات علاجها وتدبير استغلالها في ضوء الأدبيات الفلاحية الأندلسية (القرن 5هـ/ 11م)، المرجع نفسه، ص215-241. إبراهيم القادري بوتشيش، تطور الفلاحة في مكناس من عصر المرابطين إلى أواخر العصر المريني، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، عدد 38، السنة 1989، ص204-227.

المزارعين[1]، الإقطاع[2]، الأرض[3]، العقارات[4]، الأبنية[5]، المناجم، الصناعات[6]، الحرف[7]، الأسواق[8]، التجار[9]، البضائع[10]، الطب والتطبيب[11]، العادات والتقاليد[12]، الحب[13]، الزواج والأسرة[14]،

---

[1]_ إبراهيم القادري بوتشيش، العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي بالمغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجري (ق12م)، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ص77-83.

[2]_ إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ-316م)، منشورات عكاظ، الرباط، 1992.

[3]_ إبراهيم القادري بوتشيش، ملكية الأرض في الأندلس خلال عصر الإمارة، مجلة المناهل، المغرب، عدد 37، السنة 1989، ص167-193.

[4]_ إبراهيم القادري بوتشيش، المشكل القانوني للملكية العقارية في الأندلس.. من الفتح الإسلامي حتى مطلع القرن الرابع الهجري، دورية كان التاريخية، عدد 25، السنة 2014، ص09-15.

[5]_ إبراهيم القادري بوتشيش، مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين.. من منتصف القرن 11 إلى القرن 12م، ضمن أعمال ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، المنعقدة بالرباط، بتاريخ: 2-1994/11/4، تنسيق: محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 1995، ص93-100.

[6]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الإنتاج الصناعي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص84-97. إبراهيم القادري بوتشيش، والمجال الصناعي بمكناسة.. محاولة رسم الخطوط العريضة من عصر المرابطين إلى أواخر عصر المرينيين، ضمن كتاب: إسهامات في التاريخ الاقتصادي، ص51-64.

[7]_ إبراهيم القادري بوتشيش، المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، عدد3، السنة 2014، ص119-132.

[8]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.. تنظيماتها ومعطياتها الإحصائية، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، ص 98-113.

[9]_ أحمد الطاهري، الرحلة التجارية الأندلسية من خلال كتب التراجم والطبقات، ضمن أعمال ندوة: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، المنعقدة بمكناس، بتاريخ: 21-1991/04/23، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 1993، ص109-127. إبراهيم القادري بوتشيش، مساهمة في دراسة تطور تجارة مكناسة في العصر الوسيط، مجلة مكناسة، المغرب، عدد3، السنة 1989، ص19-33.

[10]_ أحمد الطاهري، التجار والباعة ونظم التسفير والتبضيع، ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس.. ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، (Graficas Moreno, S.L. Bormujos (sevilla، 2015، ص39-61.

[11]_ أحمد الطاهري، الطب بالأندلس بين الحكمة والتجريب، أعمال ملتقى: الدراسات المغربية الأندلسية، ص 367-407.

[12]_ إبراهيم القادري بوتشيش، المجتمع العماني.. عاداته وتقاليده من خلال رحلة ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري 14م) –عرض ومناقشة–، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 28، عدد 01، السنة 1999، ص99-148. إبراهيم القادري بوتشيش، العادات والتقاليد العمانية- المغربية.. المرجعية التاريخية والإطار المشترك، مجلة نزوى، مسقط، عدد 12، السنة 1997، ص243-246.

[13]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط.. مساهمة في دراسة تاريخ المشاعر الإنسانية (ق5-6هـ / 11-12م)، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد5، السنة 2012، ص28-41.

[14]_ إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة، ضمن أعمال حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 16-1992/04/18، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، [1993]، ص157-173.

الطعام والتغذية[1]، الانتحار[2]، الأزمات[3]، الدَّين والسلفة[4]، التطور الديمغرافي[5]، الضرائب[6]، الأسعار[7]، النقود[8]، الطرق[9]،المواصلات[10]، الجرائم والعقوبات[11]..الخ، وغيرها من الموضوعات الكثير التي تخص الجوانب والاجتماعية لمجتمع الغرب الإسلامي في عصره الوسيط.

وما يميز هذه الدراسات أنها انتقلت من التأريخ للطبقات، وحركات المعارضة مثلما كان عليه الحال بالنسبة للمؤرخ محمود إسماعيل، إلى التركيز على تاريخ العوام والفرد المهمش[12]، مع الدقة في الطرح والاستعمال المكثف للمصادر والتنقيب الواسع في المدونات التراثية.

وقد أضحت هذه المواضيع المدروسة والمناهج الموظفة الموجه الأساسي لما أتى بعدها من بحوث ودراسات، إذ اعتبرت فتحاً كبيراً في ميدان البحث التاريخي لما تتميز به من رصانة علمية ومتانة معرفية وجدة منهجية.

هذه المدرسة التي فرخت هي الأخرى العديد من المشاريع البحثية الجادة في حقل التاريخ العربي المعاصر ، على غرار ما أُنتج من "دراسات وبحوث" في ظل، "وحدة التكوين والبحث في التاريخ الاقتصادي

---

[1]_ إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض، ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات.. المغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ/ 12-13م نموذجا، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد 7-8، السنة 2012-2013، ص31-49.

[2]_ عبد الإله بنمليح، الانتحار في تاريخ المغرب الوسيط، ضمن كتاب: الوفيات والموت مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية، تنسيق محمد استيتو وآخران، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2017، ص 49-66.

[3]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الأزمة الأخلاقية وأثرها في سقوط الأندلس، ضمن كتاب، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص148-162. إبراهيم القادري بوتشيش، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، عدد32، السنة 1985، ص231-250.

[4]_ إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة الدَّين والسلَف في المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط.. أساليب التعامل والإشكاليات المطروحة، ضمن كتاب: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، ص31-55.

[5]_ إبراهيم القادري بوتشيش، أثر قيام الدول وسقوطها في التطور الديمغرافي بالمغرب في العصر الوسيط (دراسة حالة)، ضمن أعمال ندوة: الديموغرافيا في تاريخ المغرب، المنعقد بوجدة، بتاريخ: 23-1999/10/25، نشرت بمجلة كنانيش، منشورات كلية الآداب، وجدة، عدد1، السنة1999، ص40-52.

[6]_ إبراهيم القادري بوتشيش، أثر الحروب في المجال الضريبي، مجلة الاجتهاد، بيروت، عدد 34-35، السنة1997، ص79-92.

[7]_ أحمد الطاهري، الأسعار والموازين واللأكيال، ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس، ص107-126.

[8]_ أحمد الطاهري، السكة والنظام النقدي، ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس، ص127-147.

[9]_ أحمد الطاهري، انقطاع الطرق وانعزال الأندلس، ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس، ص175-189.

[10]_ أحمد الطاهري، شبكة المواصلات الأندلسية، ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس، ص149-174.

[11]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الجرائم وعقوباتها في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط (القرن 4-8هـ/ 1014م)، ضمن كتاب: التاريخ والقانون.. التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2009، ج1، ص321-364.

[12]_ عبد الإله بنمليح، التاريخ الاجتماعي للمغرب الوسيط، ص87.

والاجتماعي للغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط"[1]، التي ترأسها المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش وأشرف عليها.

[1]_ وقد أنجز تحت إشراف إبراهيم القادري بوتشيش أربعة أطاريح دكتوراه مهمة لكل من:

- سعيد بنحمادة، الماء والإنسان بالأندلس خلال القرنين (7و8هـ/ 13و14م) .. مساهمة في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، سنة2006.
- عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في أنماط سلوك الإنسان بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط (القرن: 6-8هـ/ 12-14م).. مساهمة في دراسة أثر التغيرات المناخية على الذهنيات، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، سنة2007.
- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني (609-869هـ/ 1212-1465م).. إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، سنة2008.
- حميد الجميلي، المسألة الديموغرافية بالمغرب الأقصى (من ق 6هـ إلى نهاية ق 8هـ).. مساهمة في دراسة التاريخ الديموغرافي والكمي للغرب الإسلامي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، سنة2011.

إلى جانب باحثين آخرين لم يشرف عليهم لكنه أسهم في تكوينهم منهجياً ومعرفياً، ضمن وحدة البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وهم: محماد لطيف ومغار حسن ومعيط نور الدين وأحمد صديقي.

نتائج الفصل:

وعلى العموم فإن رواد هذه المدرسة التاريخية قد ساهموا في إثراء الكتابة التاريخية العربية، من خلال ثلاث جوانب أساسية ومهمة لكل معرفة تتوخى العلمية والموضوعية:

1- نقد الكتابات التاريخية الإسلامية الوسيطة وتبيين المفارقات والمعضلات الموجودة داخل هذا النسق من الكتابة، وكيف أثرت ثقافة المؤرخ وبيئته في رؤيته للتاريخ وتدوينه للأحداث التاريخية.

2- مناقشة الأسس والبدائل النظرية والمنهجية التي تخول للبحث التاريخي أن يكون موضوعيا وعلميا.

3- اقتراح ومعالجة مواضيع وقضايا جديدة تتميز بالجدة والدقة والطرافة أحيانا أخرى، غير أن لها ما يبررها كمواضيع علمية تستحق الدراسة والتعمق.

بالرغم مما حققته مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بأجيالها وإنجازاتها المعرفية، إلا أنها تحتاج من الباحثين في ميدان التاريخ إلى النقد والتصويب والتثمين أيضا، فمن وجهة نظرنا هي تفتقر إلى تلك الدراسات المنهجية التي تعنى بالمصادر والمدونات التراثية على اختلاف مضامينها ومقاصد تأليفها، كالمدونة الفقيهة والصوفية والمدونة الجغرافية بأقسامها، وكذا مدونات الأدب، وذلك من خلال معالجتها كوحدة واحدة لا تتجزأ في إطار تكامل المعرفة والثقافة الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى غياب الدراسات النقدية التي تحاول مساءلة إنجازات المدرسة من الداخل بغية تصويب أخطائها ومنزلقاتها وتثمين الجيد منها، وهذا من نسعى إليه من خلال؛ مساءلة مدى علمية الدعوى التي رافعت عليها المدرسة إزاء المدونة التراثية وتحميل المؤرخين مسؤولية تهميش الفئات الشعبية وطمس حقيقتها وتاريخها.

أم أن الأمر لا يعدوا سوى إسقاط لمفاهيم معاصرة وقوالب جاهزة، على إنتاج معرفي في حقبة زمنية معينة يرتبط بشرطية تاريخية ونسق معرفي محدد.

وفي الأخير حق لنا أن نتساءل كما تساءل غيرنا[1]؛ عن جدوى محاكمة منظومة معرفية لها سياقها التاريخ والمعرفي، إلى منظومة معرفية معاصرة لها مفاهيمها الخاصة وسياقها الذي تبلورت فيه؟

وللإجابة على هذه الدعوى، عرجنا في الفصلين الثاني والثالث، وفق رؤية نقديةعلى دراسة وتتبع بعض المدونات التراثية، للكشف عن مدى حضور هذه الفعاليات -الاقتصادية والاجتماعية- في ثناياها.

[1]_ تساءل محمد فتحة هل من الواجب على المؤرخ اليوم أن يقحم لغة العصر وألفاظه ومصطلحاته في معالجة القضايا التاريخية، أم أنها يجب أن تبقى حبيسة ذلك العصر. يراجع: محمد فتحة، قراءة في كتاب د. إبراهيم القادري بوتشيش تاريخ المستضعفين: نماذج من الغرب الإسلامي أو الإسلام السري بالمغرب العربي، مجلة أمل، المغرب، عدد21، السنة2000، ص163-164.

الفصل الثاني:

المعطيات الحضارية في المدونة الجغرافية والأدبية

المبحث الأول:المعطيات الحضارية في المدونة الجغرافية

المطلب الأول:المعطيات الحضارية في مدونة البلدان

المطلب الثاني:المعطيات الحضارية في مدونة الرحلة

المبحث الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة الأدبية

المطلب الأول: علاقة الأدب بالتاريخ

المطلب الثاني: المدونة الأدبية مصدر من مصادر المعطيات الاقتصادية والاجتماعية

إن الاهتمام بمدونتي الجغرافية والأدب ووضعهما محل البحث والتقصي، ليس من باب الترف الفكري بل هو مطلب مشروع من جانبين أثنين، منهجي وآخر معرفي.

فالمنهجي يتجلى في ضرورة رصد هذه التآليف وتصنيفها بغية الاستفادة منها، بينما يظهر جانبها المعرفي في معرفة أسلوب الكتابة ووطريقة التأليف في تلك المرحلة المتقدمة، وهذا ما يعود بالفائدة على المعرفة عموماً، والتراث الإسلامي على وجه الخصوص.

كما يتيح لنا مناقشة وتصحيح المسلمات التي ما لبث يرددها الباحثون المعاصرون حول المدونة التراثية وقدرتها على إعادة بناء الماضي.

ومن زاوية آخرى فإن هذا التقصي يفيدنا في معرفة مدى حضور المعطيات الحضارية، أو بالأحرى الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية -المتعلقة بدعوى تغييب وتهميش المعطيات القتصادية والاجتماعية- بين ثنايا هذه المدونة، والتي من خلالها يمكننا مناقشة وتصحيح بعض الرؤى والأحكام المعاصرة، التي أطلقها أصحاب المدرسة المادية وسليلتها مدرسة التاريخ الاقتصادي، والاجتماعي.

وعليه فإننا في هذا الفصل سنركز اهتمامنا بالأساس على الاجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما مدى حضور الفعاليات الحضارية –الاقتصادية والاجتماعية- ضمن مدونتي الجغرافية والأدب.
- كيف يمكن للمؤرخ الاستفادة منهما في كتاب التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمعات الغرب الإسلامي؟
- هل من الممكن عدها مصادر أساسية لمعالجة مثل هذه القضايا والجوانب؟

المبحث الأول: المعطيات الحضارية في المدونة الجغرافية

بالرغم من إقرار أحد الباحثين بضآلة المدونة الجغرافية في التراث المعرفي الإسلامي خلال العصر الوسيط[1]، إذا ما قورنت بغيرها من المدونات التراثية الأخرى، وتأرجحِ أراء الباحثين حولها بين التقليد والتأثر والتجديد والإبداع[2]، غير أن ما اتفق حوله ذات الباحثين هو كون هذه المدونة قد مرت بمراحل وأطوار متعددة[3] ، ما جعلها تتميز عن غيرها منهجاً ومضموناً ، حتى اعتبرت مورداً مهماً لحقول معرفية شتى.

إلا أن هدفنا من الوقوف على مدونة الرحلة والبلدان، اعتقادنا بورود معلومات، ومعطيات تيسر للباحث في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؛ الحصول على الكثير من الحقائق التي لم ترد في المدونة الإخبارية، باعتبار هذه الأخيرة تهتم بالشأن السياسي والعسكري والأخبار ذات الصدى الواسع، بينما نقف في مدونة الرحلة والجغرافية بمختلف أصنافها "الإدارية والإقليمية والوصفية"[4]، على معطيات تخص المجتمع بشتى تجلياته.

بالإضافة إلى كون الباحثين القدماء لا يكادون يميزون بين التاريخ والجغرافيا، نظراً لمنهج – التوثيق الذي يعتمد على– المشاهدة والمعاينة الذي كتبت به[5]، ما يكسبها أهمية بالغة في رصد لأحداث الرتيبة التي تخص الناس العاديين، وهذا يُمكّن الباحثين من بناء متكامل للماضي وأحداثه.

ومن ناحية أخرى فهي محاولة لمساءلةَ الإشكالية الأساسية حول "دعوى تغييب وتهميش المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة التراثية"، وذلك من خلال الوقوف على مدونة الرحلة والبلدان، ومحاولة رصد هذه المعلومات التي تخص الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

غير أن كثرة المادة العلمية وتشتتها يحتم الاقتصار على ذكر بعض النصوص، والإشارات الكفيلة بالحكم على ثراء هذه المدونة وقدرتها على تغطية جوانب عديدة في الأبحاث التاريخية، ولا

---

[1] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري في الثقافة الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين المسالكيين والرحالين العرب والمسلمين، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010، ص09.

[2] ـ يذهب بعض المستشرقين ومن وافقهم من الباحثين العرب إلى القول بأن المدونة الجغرافية عند المسلمين لم تأتي بالجديد، بقدر ما كانت تقليد واستنساخ لنظيرتها اليونانية. يراجع: مُحَمَّد تضغوت، صورة المغرب من خلال ابن حوقل، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 1993، ص76-77.

[3] ـ عبد الرزاق ناصر الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1995، ص21.

[4] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري في الثقافة الإسلامية، ص04.

[5] ـ مُحَمَّد حناوي، كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، ص57.

سيما ما تعلق منها بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ما يخول للباحثين بناء تصور متكامل عن المجتمع بجميع جوانبه وتجلياته.

ونؤكد أن رصد هذه المدونات وتصنيفها، وتحقيق ما هو مخطوط منها، واستخراج ما تحويه من معلومات اقتصادية واجتماعية كفيل بدحض الدعوى من جهة، وتعميق نتائج الدراسات التاريخية من جهة ثانية.

وقد اقتصرنا على ذكر الاتجاه الوصفي في التصنيف، لما له من علاقة مباشرة مع الأحداث التاريخية، لعدة اعتبارات سنبينها في عنصر الأهمية العلمية لكتب الرحلة والبلدان،وعملنا هنا لا ينصب على كتب الرحلة والبلدان في ذاته، بل في ما تقدمه من معلومات تفيد المؤرخ في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

المطلب الأول: المعطيات الحضارية في مدونة البلدان

ونحن نعالج هذا العنصر، سنمر بمحطات تعكسها تساؤلات، نسعى بطرحها للكشف عن مدى قوة وصحة رأينا عن أهمية هذه المدونة وكمية المعطيات الحضارية التي تحويها ومدى أهميتها في البحث التاريخي.

فما فائدتها المعرفية؟ وما طبيعة المعطيات والمعلومات الحضارية التي تقدمها للمؤرخ؟ وكيف تسهم في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمعات الغرب الإسلامي؟

الفرع الأول: دلالات كتب البلدان وأصنافها.

عرف التأليف في صنف الجغرافيا عند المسلمين انتشاراً واسعاً في المشرق والمغرب على حد السواء، حيث شهد تطوراً و"انتعاشاً من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري في المشرق الإسلامي، ومن القرن السادس إلى القرن الثامن في المغرب الإسلامي"[1]، فنلاحظ تعددت تسميات واتجاهات التصنيف في الجغرافية الإسلامية عموما، لذلكانقسمالباحثون العربوالغربيون في تصنيفها إلى اتجاهات[2]:

---

[1] _ لطفي ديبش، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية، ص12.

[2] _ يمكن الاستناد في هذا الأمر إلى مجموعة من الدراسات المهمة الغربية والعربية التي تختلف في تصنيفها للمدونة الجغرافية سواء على مستوى التسمية أو الخصائص والمميزات. يراجع: اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات الإدارة الثقافة بجامعة الدول العربية، القاهرة، 1963، القسم الأول والثاني. صالح المغيربي، الجغرافيا البشرية اتجاهاتها وأعلامها، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد34، السنة1993، ص13-21. لطفي ديبش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية.. قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، السلسلة 8، الجمهورية التونسية، 2011، ص27-33. لطفي ديبش، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية، ص11-18.

أولا: الجغرافيا الإدارية أو الجغرافيا التقنية[1]؛ وقد اهتمت بتقسيم الولايات والأماكن المأهولة والمحاصيل الزراعية والصناعة ومقدار الخراج والضرائب، كما اهتمت بالمسالك البرية ومراحلها والطرق النهرية والبحرية وموانيها والثغور ومواقعها[2].

ثانيا: جغرافيا الرحلات[3]؛ ويعد هذا الصنف صنفاً جغرافياً غير أن أصحابه لم يكتفوا بوصف أقطار العالم الإسلامي فقط، بل تجاوزوه لغيره من الأقطار الأعجمية[4].

ثالثا: الجغرافية الإقليمية؛ تهتم بإقليم بعينه دون غيره، فركزت على ذكر الجزئيات، ودقائق الأشياء، وخصائص كل إقليم وميزاته[5].

رابعا: جغرافية المسالك والممالك[6]؛ وقد اهتمت كتب المسالك والممالك بوصف عموم العالم الإسلام وأقاليمه العربية والأعجمية، ويطلق على هذا الصنف تسميات أخرى؛ كالجغرافية الوصفية[7] وكتب البلدان[8].

وهناك من الباحثين من يلحق الرحلات بكتب الجغرافية، ضمن صنف يطلق عليه "الجغرافيا الأدبية"[9]، غير أننا نميل إلى تصنيفها ضمن جنس مستقل عن كتب الجغرافيا لمميزاتها الخاصة ومنهجها وخطابها المتفرد.

---

[1] _ من أعلام الجغرافية الإدارية: ابن خرداذبة (ت نحو 280هـ/ 893م)، صاحب كتاب "المسالك والممالك"، واليعقوبي (ت276هـ/ 889م)، صاحب كتاب "البلدان"، والجيهاني (ت375هـ/ 985م)، صاحب كتاب "المسالك والممالك"، قدامة بن جعفر، (ت337هـ/ 948م)، صاحب كتاب "الخراج وصناعة الكتابة". صالح المغيربي، الجغرافية البشرية، ص17.

[2] _ صالح المغيربي، الجغرافيا البشرية، ص33-34.

[3] _ من أعلام هذا الصنف: بن فضلان، صاحب كتاب "رسالة ابن فضلان" ، وأبو مدلف مسعر، صاحب "الرسالة الثانية"، وضعها بعد (341هـ/ 952م)، أثناء رحلته إلى إيران وأرمينية. صالح المغيربي، الجغرافيا البشرية،ص17-18.

[4] _ يراجع: لطفي ديبش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية، ص127-143.

[5] _ من أعلام الجغرافية الإقليمية: الحسن بن أحمد الهمداني (ت334هـ/ 945م)، صاحب كتاب "صفة جزية العرب"، وأحمد الرازي (ت344هـ/ 945م)، صاحب كتاب "في طرق الأندلس وموانيها ومدنها الكبرى وتقسيمها الإداري"، ومُحَمَّد بن يوسف الوراق (ت364هـ/ 975م)، صاحب كتاب "المسالك والممالك"، والكتاب الأخير لم يصلنا؛ غير أن البكري نقل منه مقتطفات عديدة. يراجع: صالح المغيربي، الجغرافيا البشرية، ص18.

[6] _ من أعلام هذا الصنف: الاصطخري (ت340هـ/ 951م)، صاحب كتاب "المسالك والممالك"، وابن حوقل (ت367هـ/ 977م)، صاحب كتاب "صورة الأرض"، والمقدسي (ت380هـ/ 990م)، صاحب كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، والبكري (ت487هـ/ 1094م)، صاحب كتاب "المسالك والممالك". يراجع: لطفي ديبش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية، ص29.

[7] _ المرجع نفسه، ص15-16.

[8] _ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ط02، 1986، ص08.

[9] _ صالح المغيربي، الجغرافيا البشرية، ص16.

وعلى كلٍ فإن كتب المسالك والممالك تختلف عن كتب الرحلات في كون الأولى تقتصر على وصف العالم الإسلامي وأقاليمه[1]، دون الخوض في وصف البلدان التي لا تنتمي إلى العالم الإسلامي، وهذا ما أقره المقدسي (ت380هـ/ 991م)، في مصنفه "ولم نذكر إلا مملكة الإسلام فحسب ولم نتكلف ممالك الكفار..ولم نر فائدة في ذكرها، بلى قد ذكرنا مواضع المسلمين منها"[2]، بينما نقف في كتب الرحلة على وصف العديد من الأقاليم التي لا تنتمي بالضرورة إلى العالم الإسلامي.

أيضا من الفروق المهمة أن خط السير في كتب الرحلة هو الذي يفرض نفسه على كتابات الرحالة، على عكس كتب المسالك والممالك التي تأتي مبوبة وفق تنظيم محكم ورؤية مسبقة من صاحبها.

وقد اقتصرنا في هذا المطلب على صنف المسالك والممالك أو كتب البلدان، لما لها من أهمية في ميدان التاريخ، وخاصة ما تعلق بقضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط.

الفرع الثاني: أهميةكتب البلدان في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

يشير العديد من الباحثين إلى أن دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعات العصر الوسيط؛ لا تنفك عن المدونة الجغرافية[3] ، فهي تعد مصدراً مهماً للباحثين في بيان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات والتعرف على عادات الناس وتقاليدهم، وكيفية عيشهم وأنشطتهم الحرفية والصناعية.

وعلى العموم فقد تفوقت الجغرافية الإسلامية على نظيرتها الفارسية واليونانية، في اعتمادها على الاستقراء الذي يستند إلى المعاينة والنظر المباشر[4]، حيث أخضع "المكان للدرس العلمي المضبوط موضوعاً ومنهجاً، بعد أن كان علماً صورياً يعتمد الحسابات الفلكية والفرضيات الرياضية"[5] ، إذ غدا معهم علماً يحتفي بالنشاط الإنساني وعلاقته بالطبيعة، وخاصة مع ظهور نمط المسالك والممالك في القرن الرابع للهجرة، ويبدو أن التطور الحاصل على مستوى هذا الصنف يرجع

[1] ـ عبد الرزاق ناصر الموافي، الرحلة في الأدب العربي، ص115.

[2] ـ مُحَمَّد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، منشورات دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ط1، 2003، ص42.

[3] ـ مُحَمَّد حناوي، كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ، ص57.

[4] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري في الثقافة الإسلامية، ص05.

[5] ـ المرجع نفسه، ص06.

بالأساس إلى انقطاعهم عن المنهج الفلكي الرياضي اليوناني[1]، واستبداله بمنهج المعاينة والنظر المباشر والمقارنة ونقد آراء السابقين في هذا العلم.

إن هذا التطور الحاصل على مستوى نمط الكتابة الجغرافية يعد نقطة مهمة انعكست ايجابياً على قيمتها المعرفية في صنف المعارف والعلوم،لا سيما ما تخلل هذا التطور من تأطير منهجي وبعد معرفي.

أولا: التأطير المنهجي لمدونة البلدان

قد مثل هذا النمط من الكتابة مجموعة من الأعلام، وقد اعتبرت مصنفاتهم علامة فارقة في المعرفة الإسلامية، وتحول بارز في ميدان الجغرافيا الإسلامية العربية، وأداة مهمة للمؤرخ في ميدان التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، لما توفره من معلومات مستفيضة عن مجتمعات المسلمين وظروف عيشهم.

ومما يزيد من أهمية مدونة البلدان، المناهج التي توسل بها أصحابها في استقاء الأخبار. بالإضافة إلى التحولات على مستوى غايات التأليف، فلم تعد مجرد حوافز تحركها الأغراض السياسية والإدارية والدينية فقط[2]، بل تحولت إلى دوافع معرفية وعلمية بحتة، وهذا ما نقف عليه عند ابن حوقل (ت367هـ/ 977م)، إذ يصرح عن سبب تأليف كتابه صورة الأرض، "وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة،والتواليف الشريفة الموصوفة، فلم أقرأ في المسالك كتابا مقنعاً، وما رأيت فيها رسما متبعاً، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب، واستنطاقي فيه وجوها من القول والخطاب"[3].

هذه المنهجية والطريقة المتبعة في التأليف، قد نبه إليها المقدسي (ت380هـ/ 991م)، أحد أعمدة هذا الفن في مقدمة "كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، حيث أفصح عن المنهج العلمي المتبع في تدوين كتابه "اعلم أني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة وأسندته بدعائم قوية وتحريت جهدي الصواب، واستعنت بفهم أولي الألباب، وسألت الله عز اسمه أن يجنبني الخطأ والزلل، ويبلغني الرجاء والأمل. فأعلي قواعده وأرصف بنيانه ما شاهدتهوعقلته وعرفته وعلقته. وعليه رفعت البنيان وعملت الدعائم والأركان، ومن قواعده أيضاً وأركانه. وما استعنت به على بيانه سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس عن الكور والأعمال في الأطراف التي بعدت عنها ولم يقتدر لي الوصول إليها. فما وقع عليه اتفاقهم أثبته وما اختلفوا فيه نبذته. وما لم

[1] _ لطفي ديبش، الإنسان والمكان، ص151.

[2] _ المرجع نفسه، ص147-151.

[3] _ ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صور الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996، ص10.

يكن لي بد من الوصول إليهوالوقوف عليه قصدته. وما لم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي أسندته إلى الذي ذكره أو قلت زعموا. وشحنته بفصول وجدتها في خزائن الملوك"[1].

يتلخص هذا النص منهج المقدسي والقواعد والأسس التي بنا عليها كتابه، فمن الاعتماد على المعاينة والمشاهدة، إلى الاستناد على العقل في تمحيص الأخبار والمرويات، بالإضافة إلى سؤال ذوي الخبرة، بالاضافة إلى الاحتكام إلى الأخبار المنقولة سماعا، مع الإفادة ممن سبقه والمقارنة والنقد لهذا كله.

ويبدو أن حضور المنهج ووضوح الرؤية والهدف، وبيان الدوافع والغايات جعل من هذه المدونة مورداً مهماً للباحثين من مختلف التخصصات.

بالإضافة إلى التراكمات المعرفية الحاصلة في الكتابة الجغرافية التي أسهمت في إنضاج الرؤية والمنهج على حد السواء، وهذا مما لا شك فيه فالنضج المعرفي؛ مرتبط أشد الارتباط بالتراكمات المعرفية الحاصلة في ذلك الفن.

فكتاب المسعودي (ت355هـ/ 956م)، مـ ثلا ما يزيد من أهميته هو؛ وعيه واعتنائه بحدي الزمان والمكان، فلا يكاد يذكر مكانا إلا ويربطه بإطاره الزماني، ولا يذكر حادثة تاريخية إلا مشفوعة بموقعها العياني[2]، فاجتمع في مؤلفه الوصف المكاني مع التوثيق الزماني، وهذان الحدان مهمان للباحث في حقل التاريخ، ويبدو أن استحضاره لعنصري الزمان والمكان في كتاباته، يعد خاصية تنسحب على بقية التآليف الجغرافية.

وهذا ما وقف عليه أيضا مُحَمَّد تضغوت في كتاب صورة الأرض لإبن حوقل (ت367هـ/ 977م) ، حيث "انفرد بتأطير منهجي متميز، فكثيراً ما نجده يربط بين موقع البلد الجغرافي والإداري ومؤهلاته الاقتصادية وطبائع سكانه وحياتهم المعاشية وانتمائهم الإثني ومذهبهم السائد"[3].

فعدم إغفالهم لحدي الزمان والمكان، وذكرهم "للسياق التاريخي والظروف السياسية"[4]، للوقائع والأحداث، من الضوابط المهمة التي تضاعف من أهمية المعلومات الواردة في كتب البلدان، ومدى نجاعتها في الكتابة التاريخية، ولا مجال للشك في أن الواقع التاريخي للمجتمعات يخضع في كثير من جوانبه للأنشطة الاقتصادية والاجتماعية السائدة في ذلك الوقت، تأثيراً وتأثراً، فالربط بين الواقع الاقتصادي والاجتماعي والظروف السياسية مفيد في بيان تطور المجتمعات.

---

[1] ـ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص37.

[2] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص101.

[3] ـ مُحَمَّد تضغوت، صورة المغرب، ص83

[4] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص92.

وفي ذات السياق من حيث الاعتناء بالمنهج فإنه من بين الخصائص المهمة التي تميز بها مؤلفو كتب المسالك والممالك، "انقاطعهم عن المنهج الفلكي الرياضي"[1] اليوناني، وترجيحهم لمنهج النظر والمعاينة والمشاهدة، فلم يكتفوا بالسماع والنقل، بل اتخذوا من الرحلة والسفر بوابة للكتابة والتدوين، وتحروا نقد الآراء السابقة ومقارنتها بغيرها، وهذا ما نلمسه من مقدمة المقدسي (ت380هـ/ 991م)، "فما وقع عليه اتفاقهم أثبته، وما اختلفوا فيه نبذته. وما لم يكن لي بد من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته"[2].

ومن المميزات المنهجية أيضا، التي تنفرد بها كتب المسالك والممالك تبويب المصنفات وتقسيمها وفق رؤية واضحة وممنهجة، حيث تبنى النصوص وفق تصور متكامل للعالم الإسلامي ورقعته الجغرافية، والغاية من رواء هذا كله تقريب صورة واضحة للقارئ عن جغرافية الأقاليم الإسلامية[3].

ومهما يكن من تباين آراء الباحثين حول حوافز الجغرافيين المسلمين للكتابة والتصنيف، بين الدوافع المعرفية والأغراض الايديولوجية، يبقى الحكم على هذه المدونة منوطاً باستخراج منهجها وتحليل مضمونها وبيان فائدتها.

ثانيا: البعد المعرفي لكتب البلدان

إلى جانب ذلك التأطير المنهجي لكتب البلدان، لا ينبغي الذهول عن بعدها المعرفي، فقد عمل الجغرافيون المسلمون في دراستهم للعالم الإسلامي على تقسيم الأقاليم، وذكر شؤون كل إقليم وما تعلق به من عناصر الطبيعة؛ كالهواء والماء والأنشطة الاقتصادية من أصناف المنتجات وأنواع المهن والعملات المتداولة وأصناف التجارة وما تعلق بها من طرق المواصلات[4]، إلى جانب ذكرهم للأنشطة الاجتماعية وما يتبعها من عادات الناس وتقاليدهم وطريقة عيشهم.

فمثلا تكمن أهمية مدونة ابن حوقل (ت367هـ/ 977م)، في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في "كونه أول رحالة مشرقي زار المغرب وعايش أحداثه في فترة تاريخية دقيقة كان يعيشها العالم الإسلامي، كما أنه أول رحالة قدم وصفا شاملا للحياة والبيئة المغربية، إذ عرف بمسالكه وممالكه ومذاهبه، وأحاط بمختلف ظواهره السياسية والاقتصادية والاجتماعية"[5]، وقد

[1] _ لطفي ديبش، الإنسان والمكان، ص151.
[2] _ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص37.
[3] _ لطفي ديبش، الإنسان والمكان، ص149.
[4] _ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص91-92.
[5] _ محمد تضغوت، صورة المغرب من خلال ابن حوقل، ص73.

خصص جزء من كتابه لوصف بلاد المغرب "وصفا دقيقا، ينقل إلينا فيه البلدة التي يصفها بكل ما فيها من أبنية وأسواق وحمامات ومساجد ومطاعم وملابس"[1].

بالإضافة إلى انعكاس بعده المنهجي على قيمته المعرفية إذ "كثيراً ما نجده يربط بين موقع البلد الجغرافي والإداري ومؤهلاته الاقتصادية وطبائع سكانه وحياتهم المعاشية وانتمائهم الإثني ومذهبهم السائد، وهذه التركيبة ما كانت لتغيب على وصفه للأقاليم المغربية إلا نادراً، وهو ما جعل لهذا المصدر قيمة معرفية يمكن استغلاله في إعادة كتابة تاريخ المغرب الوسيط، وملء الفراغ الذي وسم بعض فتراته التاريخية"[2]، إضافة إلى تدعيمه لهذه المعلومات بخرائط هامة تصور المناطق التي زارها ووقف عليها[3].

ومما يزيد من دقة معلوماته الاقتصادية أيضا، كونه التاجر المتمرس "فهو التاجر العارف المجرب، إذ كان على وعي وتبصر بما نجم عن تحرشات النصارى على الحدود وتهديدهم لخطوط التجارة الدولية من أخطار على العالم الإسلامي برمته، سواء تعلق الأمر بمجاله السياسي أو الاقتصادي"[4].

وهذا ما يعبر عنه في مقدمة كتابه "صورة الأرض"، إذ يأتي على وصف الإقليم فيذكر كل: "وجوه الأموال والجبايات والأعشار والخراجات والمسافات في الطرقات وما فيه من المجالب والتجارات"[5]، وهذا دليل على الأهمية التي يوليها المسالكيون للأمور الاقتصادية والاجتماعية للدول والمجتمعات.

كما لا يغفل الجوانب الاجتماعية فيأتي على ذكر المجتمعات الإسلامية وما مر عليهم "من الجوائح والنوائب وتعاقب الكلف والمصائب واختلال النعم وقحط الديم"[6]، وكل هذا دليل على الأهمية التي يوليها مصنفو كتب البلدان للقضايا الاقتصادية والاجتماعية.

وهذا ما نجده أيضا عند المقدسي (ت380هـ/ 991م)، الذي تتلخص منهجيته في وصف المناطق وفق ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى التي يذكر فيها أجزاء المنطقة ومدنهاوالمواضع العامرة منها، ثم في المرحلة الثانية يأتي على ذكر؛ المناخ والزرع والطوائف واللغة والتجارة والأوزان والنقود والعادات

---

[1] ـ شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، [1989]، ص14.

[2] ـ لمزيد منالأمثلة عن هذه القضايا. يراجع: محمد تضغوت، صورة المغرب من خلال ابن حوقل، ص83.

[3] ـ المرجع نفسه، ص74.

[4] ـ المرجع نفسه، ص77.

[5] ـ بن حوقل، صور الأرض، ص10.

[6] ـ المرجع نفسه، ص10.

والمياه والمعادن والأماكن المقدسة وأخلاق السكان والتبعية السياسية للقطر والخراج، بينما يتناول في المرحلة الثالثة المسافاتوطرق المواصلات[1].

والمنهجية التي يتبعها المقدسي في دراسة الأقاليم تفيد بما لا يدع مجالا للشك أنه يعطي أولية خاصة للجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ما يجعل من هذين الحقلين جزء من المعرفة الجغرافية في ذلك العصر وليس المعرفة التاريخية[2].

بالمثل نقف عند البكري (ت487هـ/ 1094م) على معلومات غاية في الأهمية، حيث "امتزجت عنده المعطيات الجغرافية بالتاريخية"[3]، فمقدمة الكتاب التي يصدرها بمدخل تاريخي مطول، يسرد فيه قصة الخلق وعمارة الأرض وتاريخ الأنبياء[4] ، وهذا ما أكسب كتابه بعداً تاريخياً متميزاً عن غيره.

أيضا مما يزيد من قيمته التاريخية والمعرفية تركيزه على ذكر عادات الشعوب وغرائبهم وعجائبهم[5]، ويبدو البكري (ت487هـ/ 1094م) في سرد الأخبار متأثراً بالمسعودي (ت355هـ/ 956م)، "خاصة في المزج بين المعطيات التاريخية والمعطيات الجغرافية"[6]، غير أنه اختلف عنه في اعتماده على النقل والسماع بدل المشاهدة والتنقل.

بينما نحا العذري(ت478هـ/ 1085م)، في تقسيم كتابه وذكر مادته منحا آخر، بخلاف من سبقه من المسالكيين، وكتابه أيضا كسابقه مزيج بين المعطيات الجغرافية والتاريخية، مع تغليبه للمعلومات الجغرافية[7]، بالإضافة إلى ذلك يعد من أهم المصادر الجغرافية التي تخص إقليم الأندلس[8].

---

[1] _ اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات الإدارة الثقافة بجامعة الدول العربية، القاهرة، 1963، القسم الأول، ص213-214.

[2] _ سوف نخصص جزءاً من الفصل الرابع من الرسالة للحديث عن تصنيف العلوم وحدودها خلال تلك المرحلة التاريخية وتأثير ذلك على تدوين المعرفة.

[3] _ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص92.

[4] _ يراجع: عبد الله أبي عبيد بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ج1، ص3-96.

[5] _ يراجع مقدمة المحقق المرجع نفسه.

[6] _ لطفي ديبش، الإنسان والمكان، ص170-171.

[7] _ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص74.

[8] _ المرجع نفسه، 90-91.

وهذا ما نقف عليه أيضا عند الإدريسي (ت560هـ/ 1166م)، في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"[1] ، الذي أتى على وصف الأقاليم السبعة، مركزاً على عادات الناس وأزيائهم وطبائعهم وأنشطتهم الاقتصادية.

يذكر كراتشكوفسكي أن أهم أقسام الكتاب "تلك التي أفردها لأفريقيا الشمالية وأسبانيا وصقلية ونواحي إيطاليا الأخرى لأنها تعتمد قبل كل شيء، وذلك خلاف للأقسام الأخرى، على الملاحظة الشخصية للمؤلف"[2].

وقد اعتبر كتاب الإدريسي "نادرة من نوادر الزمان"[3]، وفاتحة لميلاد العلم الجغرافي الغربي[4]، ليس هذا فقط، بل اعتبر "أصح كتاب ألفه العرب في وصف بلاد أوربة وإيطالية"[5].

ويمكننا القول أن المدونة البلدانية زودتنا بمعارف ومعلومات عن أوضاع المدن الاقتصادية والاجتماعية؛ كالنشاطات التجارية والصناعية وطرق الكسب وعادات الناس وتقاليدهم، فنقلت لنا صورة واضحة عن حياة الشعوب والمجتمعات الإسلامية.

وتتميز أيضا كتب الجغرافيا بالتشابه والتقاطع فيما بينها، وربما هذا راجع إلى التشابه بين مؤلفات المجال الواحد، غير أن هذا لا يقلل من قيمتها وأهميتها[6]، نظراً لما يتميز به كل كاتب عن غيره؛ فلكل طابعه وأسلوبه ودقة ملاحظته وحدقته في تصوير المشاهد والتعبير عنها.

ويبدو أن غاية هؤلاء من التأليف في هذا الصنف من المعرفة هو تقريب "الوصف إلى الإفهام"[7]، وأن تغدو مصنفاتهم مرجعا "يقف عليه الخاص والعام"[8].

إلى جانب هذه الأدوات المنهجية، والأبعاد المعرفية التي تجعلها تتبوؤ مكانة رفيعة في سلم تصنيف العلوم والمعارف، ننوه إلى أمر غاية في الأهمية يضفي على هذه المدونة مزيد من القيمة المصدرية بالنسبة للتاريخ، وهي "أنّ الباحثين القدامى لا يكادون يميزون بين التاريخ والجغرافيا"[9]، باعتبارهما "فرعين متلازمين من شجرة المعرف العامة..، فمن العسير أن تفصل بين المؤرخ والجغرافي

---

[1] _ وقد وضعه لصاحب صقلية روجار الثاني (Roger 2)، أكمله سنة (548هـ)، خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج7، ص24.

[2] _ كراتشكوفسكي اغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ص285.

[3] _ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص279.

[4] _ المرجع نفسه، ص279.

[5] _ الزركلي، الأعلام، ج7، ص24.

[6] _ محمد تضغوت، صورة المغرب، ص74.

[7] _ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص42.

[8] _ المرجع نفسه، ص42.

[9] _ محمد حناوي، نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ، ص57.

والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي، ولو أننا تناولنا كتاباً أدبياً صرفاً كالبيان والتبيين للجاحظ، ودرسناه دراسة تدقيق لاستخرجنا منه من المعلومات التاريخية الصرفة، والملاحظات الجغرافية الخالصة ما يضع أبا عثمان عمرو بن بحر في صفوف المؤرخين والجغرافيين"[1].

الفرع الثالث: الدراسات التاريخية المعاصرة والمعطيات الاقتصادية والاجتماعية في مدونة البلدان.

تؤكد العديد من الدراسات التاريخية المعاصرة على ورود الفعاليات الاقتصادية، والاجتماعية في مدونة البلدان، حيث انصب اهتمام الجغرافيين على وصف أحوال المجتمعات الإسلامية، وتدوين الأنشطة الاقتصادية والمنتجات التجارية، والمهن والحرف المنتشرة داخل أسواقها ومدنها، وكذا الأحوال الاجتماعية وما تعلق بها، وهذا دائما ما يأتي في إطار وصفهم للمدن والحواضر والصحاري.

أولا: الجوانب الاقتصادية

ولم يكن اهتمام أصحاب كتب البلدان "بالعناصر الطبيعية من مناخ وتضاريس وبحار وأنهار في ذاتها، بل في علاقتها بالبشر وتأثيرها في أنشطتهم"[2]، وهذا ما حمل رونيه ميكيل، على نعت هذه المدونة "بالجغرافية البشرية"[3] ، فمدونة البلدان تكتسب أهميتها من كونها موضوعاً لوصف الإنسان ونشاطاته في الطبيعة.

وفي الغالب ينطلق هذا الوصف من المدينة كمركز للنشاطات الاقتصادية والاجتماعية، وما تعلق بها من أحوال العمران والطبيعة في كل إقليم من أقاليم العالم الإسلامي[4].

وحتى وظيفة الأمطار واختلاف درجات الحرارة أتوا على ذكرها، باعتبارها تؤثر في النشاط الاقتصادي والعمراني "فالأمطار والحرارة والبرودة عناصر مؤثرة في الزرع والفلح والأنشطة الاقتصادية وشتى مظاهر العمران "[5].

وكذا الجبال ووظائفها، فهي في كتب البلدان لا تقتصر على الأبعاد الجيولوجية، بل تتعدى ذلك إلى الوظيفة الاقتصادية المتعلقة بالأنشطة الزراعية، وتأثيره في المناخ والزرع والمعاش[6].

---

[1] _ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص 1-2.

[2] _ لطفي ديبش، التواص الحضاري، ص73.

[3] _ وهذا ما حمله علىأن يعنون كتابه بـ"جغرافية دار الإسلام البشرية".

[4] _ لطفي ديبش، الإنسان والمكان، ص152.

[5] _ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص73.

[6] _ المرجع نفسه، ص73.

بينما نجد المعلومات الاقتصادية التي يوردها ابن حوقل تكتسب أهمية بالغة، قلما نعثر عليها في مصنفات مماثلة؛ نظرا لعنايته الكبيرة بالجوانب الاقتصادية في مقابل الجوانب السياسية التي يوردها عرضا[1]، وقد نبهنا لهذه الملاحظة سابقا، إذ أن ما يميز أغلب كتب الجغرافيا أن الأحداث السياسية لم تكن مدار اهتمام الرحالة والمسالكيين.

وهذا ما حمل الإدريسي في وصفه للأقاليم إلى التركيز على "المراكز الأساسية والمسافات التي ترتبط فيما بينها ليركز بعد ذلك على إنتاجها الفلاحي والصناعي ودورها التجاري"[2].

وعليه تجدر الإشارة أن المعلومات المتعلقة بالأنشطة الزراعية، والثروة الحيوانية لبلدان الغرب إسلامي، تأخذ مكانة متفردة في المدونة البلدانية، وهذا ما يؤكده أحد الباحثين من مقدرت هذه المدونة على "النفاذ إلى عمق الواقع المعيش... وكشف النقاب عن العديد من الجوانب المتعلق بالنشاط الزراعي"[3].

وفي ذات السياق تأتي الدراسات المعاصرة مؤكدة لهذه الملاحظة[4]، فالمحاصيل الزراعية التي تذكرها المدونة الجغرافيةحسب هذه الدراسات المعاصرة، تتوزع على القمح والشعير والبقول والزيتون والفواكه مثل: الكروم، التمور، التين، الجوز، الخوخ، التفاح، المشمش، التوت، الخروب، الكرز، الأجاص، الزبيب، اللوز والبطيخ[5].

كما تذكر هذه الدراسات العديد من الزراعات التي تستعمل في الصناعات والحرف؛ كالقطن والكتان والنيلة، وكلها مواد أولية تذكرها المصادر الجغرافية، وتخصص لها حيزا مهما نظراً لأهميتها الاقتصادية[6].

أما الثروة الحيوانية فهي وفيرة ومتنوعة، فتشمل الأبقار والأغنام والخيول والإبل والنحل والأسماك والطيور بأنواعها، بالاضافة إلى أنواع أخرى مذكورة؛ كالحمير والسباع والسلاحف والغزلان

---

[1] ـ محمد تضغوت، صورة المغرب من خلال ابن حوقل، ص84.

[2] ـ محمد حناوي، نزهة المشتاق، ص60.

[3] ـ عمر بلبشير، بعض المعطيات عن المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في بلاد المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، الجزائر، عدد9، ديسمبر2014، ص334.

[4] ـ يراجع: عمر بلبشير، بعض المعطيات عن المحاصيل الزراعية، ص326-336. محمد بن عربة وأحلام بوسالم، ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية خلال العصر الوسيط من خلال مصنفات الرحلة والجغرافيا، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، عدد22، السنة2019، ص317-355. أسامة الطيب جعيل ونبيلة عبد الشكور، الزراعة في إقليم الزاب في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد11، عدد2، سبتمبر2020، ص114-127.

[5] ـ يراجع: محمد بن عربة وأحلام بوسالم، ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية، ص318-325. أسامة الطيب ونبيلة عبد الشكور، الزراعة في إقليم الزاب، ص121-122.

[6] ـ محمد بن عربة وأحلام بوسالم، ثروات المغرب الأوسط، ص325-327.

والوعول والنعام والقرود والفهود والذئاب وغيرها، وهي في الغالب تتوزع على مناطق جغرافية عديدة[1]، وقد أنجر عن هذا التوزع والتنوع في الثروة الحيوانية أنشطة تجارية متنوعة وحرف متعددة.

وأما عن الصناعات والأنشطة الحرفية المنتشرة في الغرب الإسلامي، فهي عديدة ومتنوعة بحسب المناطق والمجتمعات، وقد استفادت الدراسات التاريخية المعاصرة من المدونة البلدانية[2]، في تحديد العديد من الصناعات المنتشرة؛ كالصناعات النسيجية[3]، والصناعات النحاسية، وصناعة السفن وغيرها[4].

بالاضافة إلى الأنشطة الحرفية مثل؛ الفخارونحت الرخام ونقش الخشب والمجوهرات وحرفة الخياطة والطرز وغزل الصوف وغيرها من الأنشطة المنتشرة[5].

ونفس الأمر نجده فيما يخص المعاملات التجارية والسلع الرائجة، خصوصاً ما تعلق بالأسواق وأنواعها وتنظيماتها[6]،كما تذكر هذه الدراسات أنه خصص في كل سوق جناح خاص لكل سلعة أو حرفة معينة[7].

ومما ينبئ عن دقة المعلومات التي توردها المدونة البلدانية، أننا نقف في كتاب "أحسن التقاسيم" على ذكر أسماء الحرف والصناعات واختلاف أسمائها من منطقة لأخرى، وهذا مما ينفرد به المقدسي عن غيره من البلدانيين[8].

وكلها معطيات ترد في المدونة البلدانية، حيث تنبئ عن حجم ودقة المعلومات التي توردها هذه المدونة، وفائدتها في معالجة الإشكالات المطروحة، وبناء الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية خلال هذه الفترة.

---

[1] ـ مُحَمَّد بن عربة وأحلام بوسالم، ثروات المغرب الأوسط، ص329-336.

[2] ـ يراجع: مُحَمَّد حناوي، كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ، ص57-71. علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين 7 و 9 الهجريين/ 13 و 15 الميلاديين، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، عدد2، مارس2016، ص11-25.

[3] ـ مُحَمَّد بن عربة وأحلام بوسالم، ثروات المغرب الأوسط، ص325-326.

[4] ـ مُحَمَّد حناوي، كتاب نزهة المشتاق، ص66.

[5] ـ علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط، ص15.

[6] ـ يراجع: عبد الحق بالنور، نظم الأسواق من خلال الرحالة والجغرافيين قصري ورجلان وتقرت نموذجا، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، عدد17، السنة2018، ص402-416.

[7] ـ تذكر المصادر الجغرافية أن الأسواق تتقسم إلى محلية وأسبوعية وموسمية، ويقسم كل سوق إلى أجنحة وكل جناح يبيع سلعة معينة. يراجع: عبد الحق بالنور، نظم الأسواق، ص409-410. علوي مصطفى، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط، ص16.

[8] ـ يراجع: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص57.

ثانيا: الجوانب الاجتماعية

بالرغم من تنوع مستويات الحياة الاجتماعية، وتعدد مجالاتها لدى المجتمعات[1]، وبالخصوص المجتمع الإسلامي خلال هذه الفترة من تاريخ المسلمين، إلا أن المدونة الجغرافية لها القدرة على رصد هذه التغيرات المجتمعية البطيئة.

وهذا ما يؤكده الباحث مُحَّد الحناوي في دراسته حول كتاب "نزهة المشتاق للإدريسي"، على الأهمية المصدرية التي تلعبها مدونة البلدان في معالجة القضايا الاجتماعية، بالرغم من تنبيهه على التشتت الذي يطبع هذه المعطيات[2].

وتحيل هذه الدراسات التاريخية المعاصرة على العديد من المواضيع التي يمكن الاستناد في معالجتها على المدونة البلدانية ، كمواضيع المرأة[3]، وغيرها من الموضوعات الاجتماعية.

ومن الموضوعات المهمة أيضا، التي عالجها الباحثون من خلال مدونة البلدان "العوائد الغذائية المغاربية سواء أكانت في الأوساط الحضرية أو البدوية المحلية والجبلية، أو حسب الانتماء الاجتماعي، أي وصف النظام الغذائي عند الأعيان وعند عامة الناس"[4].

وكذلك اللباس واختلافاته بين الأعيان والعامة وبين اللباس الحضري والبدوي[5]، وأدوات الزينة النسائية وأصنافها من الحلي والعطور والمساحيق[6]، بالإضافة إلى الأفرشة والأغطية والأدوات المستعملة في الطبخ، وتنوعها حسب المستوى الاجتماعي[7]، وكلها ترد في المدونة الجغرافية بوصف دقيق قل نظيره في المدونات التراث الأخرى.

---

[1] _ وذلك من خلال تعدد عناصر السكان (المسلمين، أهل الذمة) واختلاف طبقاتهم وشرائحهم (الخاصة والعامة، العلماء والحكام)، وانتماءاتهم (الأمازيغ والعرب) وتنوع عاداتهم وتقاليدهم.

[2] _ مُحَّد حناوي، كتاب نزهة المشتاق، ص67.

[3] _ يراجع:اهلال بوشعيب، المرأة من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان، مجلة أمل، المغرب، عدد 13-14، السنة 1998، ص 165-170.

[4] _ يراجع: عادل النفاتي، المجتمع و الجغرافية الثقافية لبلاد المغارب.. حفريات في أدب الرحلة القرن 16 -في الهوية والتدين والثقافة-، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص85-98.

[5] _ المرجع نفسه، ص98-106.

[6] _ المرجع نفسه، ص106-108.

[7] _ المرجع نفسه، ص118-121.

وقد وقفنا أيضا على دراسة مهمة لأحد الباحثين تناول فيها قضايا الجرائم والعقوبات والانحرافات والجنس[1] في مجتمعات المغرب الإسلامي من خلال احدى المدونة البلدانية، وهي موضوعات وقضايا غاية في الأهمية تندرج ضمن الطبوهات والمحظورات والمسكوت عنه.

ويبدو أن أغلب البلدانيين جعلوا من وصف المدن والحواضر والبوادي ببلاد الغرب الإسلامي[2]، مدخلاً لوصف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وحياة الناس ولباسهم ومأكلهم وعاداتهم وطريقة عيشهم.

المطلب الثاني: المعطيات الحضارية في مدونة الرحلة

نسعى من خلال هذا العنصر إلى التعرف على حجم المعلومات والمعطيات الاقتصادية والاجتماعيةالتي تقدمها مدونة الرحلة، ومدى أهميتها في البحث التاريخي.

فما فائدتها المعرفية؟ وما المعطيات والمعلومات التاريخية التي تقدمها للمؤرخ؟ وكيف تسهم في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمعات الغرب الإسلامي؟

الفرع الأول: مدونة الرحلة بين التاريخ والأدب

الرحلة من حيث تعريفها هي مطلق السفر، والسير، والانتقال، فقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ/ 1004م): " رحل: الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضي في سفر، يقال: رحل يرحل رِحلة. وجمل رحيل: ذو رِحلة، إذا كان قوياًّ على الرِحلة. والرِحلة: الارتحال"[3].

وأما عند ابن منظور (ت711هـ/ 1311م)، فهي تعني "التَّرحُّلُ والارْتحالُ: الانْتقالُ. والرِحلَةُ: اسم للارتحال للمسير"[4].

---

[1] ـ كمال بركات وعبد القادر بوعقادة، جرائم الانحراف الجنسي في مجتمع المغرب الإسلامي من خلال وصف إفريقيا للوزان (10هـ/ 16م).. قراءة في البواعث والإجراءات، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، مجلد10، عدد2، جوان2020، ص31-51.

[2] ـ يراجع: دولورس برامون، المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمد الزهري، تعريب: فرحات الدشراوي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 3، السنة 1989، ص41-52. التالية سعدو، مدينة وهران من خلال المصادر الجغرافية، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد5، ربيع2012، ص131-140. عبد القادر بوباية، مدينة قسنطينة من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة العرب (ق5-10هـ)، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد5، ربيع2012، ص141-151. خديجة بورملة، مدينة مليانة خلال العصر الوسيط.. دراسة تاريخية من خلال كتب الجغرافيا والرحلة، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد8، عدد1، جوان2017، ص223-241.

[3] ـ أحمد أبي زكريا بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، 1979، ج02، ص497.

[4] ـ ابن منظور، لسان العرب، ص1610-1611.

وجاءت بنفس المعنى عند الفيروز آبادي(ت817هـ/ 1414م): "ارتَحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انْتَقَلوا، كترحَّلوا، والاسم: الرُّحلة، بالضم والكسر، أو بالكسر: الارْتحال، وبالضم: الوجه الذي تَقْصده، والسَّفْرَةُ الواحدةُ"[1].

وعليه فإن المعاني اللغويَة للرحلة، تدور حول معنى الانتقال من مكان إلى مكان، والسفر من مكان إلى آخر، ولهذا اعتبر "السفر والترحال من خصائص المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط، فقد أعتبره أندريه ميكيل، ضرورة وكرامة"[2]، في نفس الوقت.

وأما الرحلة من حيث الاصطلاح فإننا نقف على تعريفات مختلفة ومتباينة، والسبب في ذلك أنها تتجاذبها عدة تخصصات معرفية.

يذكر شوقي ضيف في مقدمة كتابه أنّ الرحلة هي ما يقيده الرحالة من "مشاهداتهم وما يقع تحت أبصارهم، فأصبحت كتاباتهم الجغرافية في كثير من صورها رحلات بالمعنى الدقيق، تصور أحوال الناس والعمران بالعين الباصرة اللاقطة"[3]، وعلى ما يبدومن تعريفع فهو يلحق كتب الرحلة بصنفالمدونات الجغرافية.

وكذلك هي عند "اغناطيوس كراتشكوفسكي"، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصنف الجغرافيا الوصفية[4]، بينما نجدها عند صالح المغيربي تمثل "شهادة عن قطعة من الزمان والمكان من تاريخ البشرية"[5].

أما الرحلة عند فؤاد قنديل هي: "تدوين الرحالة لمشاهداتهم وذكر المواقف المتباينة والمعاناة التي لاقوها، بينما هم يجولون في البلاد ويجوبون الأقطار"[6]، مع أن تعريفه لا يوحي بأنه يصنفها ضمن جنس الأدب، غير أن عنوان الكتاب ومقدمته يوحيان للقارئ بأنه يعتبرها من أنماط "الجنس الأدبي"[7].

ومرد هذه التعريفات المتباينة أن كل باحث ينظر إلى الرحلة من وجهة نظر التخصص الذي ينتمي إليه.

---

[1] ـ مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص1005.

[2] ـ صالح المغيربي، أدب الرحلة في الغرب الإسلامي من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة: مُحَمَّد طرشونة، منشورات المركز الوطني للترجمة ودار سيناترا، تونس، 2013، ص17.

[3] ـ شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، [1987]، ص05.

[4] ـ اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ص18.

[5] ـ صالح المغيربي، أدب الرحلة، ص24.

[6] ـ فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص68.

[7] ـ المرجع نفسه، ص07.

وما يمكننا الجزم به أن مدونة الرحلة تجمع بين عدة أنماط ومعارف شتى: فني أدبي؛ يغلب عليها في بعض الأحيان طابع السرد والتخييل، ووثائقي تاريخي؛ يغلب عليها البعد التوثيقي للأحداث والوقائع، وعياني جغرافي؛ يندرج في خانة المشاهدة، وعليه من الطبيعي أن تتجاذبها حقول معرفية متباينة، بيد أن هذه الميزة تجعلها ذات أهمية بالغة لشتى المعارف والعلوم، ولاسيما حقل التاريخ، فالرحلة في غالبها "أرضية خصبة لاستنبات التاريخ"[1].

ولعل هذا ما جعلها محل نزاع في مجال تصنيفها[2]، بدءاً بالتسمية وانتهاء عند التصنيف والتجنيس، فهي إما من صنف الجغرافيا لغلبة المشاهدة ووصف الأماكن[3]، وإما في خانة الأدب لغلبة السرد والتخيل، وإما هي صنف مستقل بذاته له منهجه، وخصائصه التي تميزه عن غيره.

ومما يقره عدد من الباحثين أن "النص الرحلي خطاب مفتوح"[4]، ما يزيد من صعوبة تصنيفه، وهذا يرجع بالأساس؛ إلى الأساليب المتعددة في العملية السردية التي يمارسها الرحالة، وقد أجاد أحد الباحثين بوصفه أنه خطاب "حربائي زئبقي مخاتل..عصي عن التصنيف"[5]، فمن أسلوب السرد القصصي المشوق، إلى المعاينة والمشاهدة والوصف، مع عدم الاستغناء عن التوثيق التاريخي باعتبارها "تحكي أحداثا مستمدة من الواقع وبشخصيات حقيقية"[6] وليست افتراضية، إن حضور هذه الصبغة الأدبية وتوظيف الآليات الجغرافية، واستحضار البعد التاريخي جعل منها مدونة جامعة لمعارف عديدة وشاملة لمعطيات شتى.

---

[1]- يراجع:عبد النبي ذاكر، أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، تنسيق: البشير أبرزاق وآخران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020، ج01، ص27.

[2]_ فمثلا هناك من يطلق عليها اسم "الرحلة"، باعتبارها جنس مستقل له خصائصه ومنهجه وخطابه الخاص، بينما يطلق عليها آخرون "أدب الرحلة" وهو مصطلح متأخر الظهور، من باب اعتبارها كتابة أدبية، بينما يذهب آخرون إلى اعتبارها من جنس "الأدب الجغرافي"، لأنها تشكلت في خضمه وتناسلت من رحمه. يراجع: شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي: -التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل-، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2002، ص38.

[3]_ ويمكن أن ندرج ضمن هذا الصنف كتابات كل من: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، القسم الأول، ص18. صالح المغيربي، الجغرافيا البشرية، ص13-21. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص9.

[4]_سعيد جبار، خطاب الرحلة-الذاكرة وآليات إنتاج الدلالة-، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2017، ص29.

[5]_ عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ في محكيات الرحلة، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، ج01، ص43.

[6]_ عواطف بنت محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين -دراسة تحليلية نقدية مقارنة-، منشورات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429هـ/ 2008، ص20.

وعلى كل فإنه ينبغي أن نقر أن أغلب من يدرس كتب الرحلات، إما يجعلها جنسا أدبيا أو صنفا جغرافيا أو صنفاً جديداً، متناسين بعدها التاريخي[1]، ولعل ذلك يرجع إلى طغيان الدلالات الجغرافية والجمالية السردية، وحضور القصص العجائبية[2]، إلا أن حضور البعد الزماني والمكاني يجعلها مصدراً تاريخياً بامتياز، وهذا مع يغيب في أغلب التعريفات التي اهتمت بالرحلة.

ويبدو أن هذا التخبط في تصنيفها يرجع بالدرجة الأولى إلى عاملين:

العامل الأول يتمثل في الثقافة الموسوعية التي كان يكتب بها أصحاب هذه الرحلات فقد كانوا شعراء، ومؤرخين، وساسة وإداريين، فتجدهم يضفون على رحلاتهم مسحتهم وشخصيتهم الخاصة، فالرحالة شخص يتأرجح في كتابة نصه بين الذات والموضوع[3]، فنقف مثلا: على رحلات تميلإلى النصوص الجغرافية كرحلة ابن حوقل(ت367هـ/ 977م)، وأخرى يغلب عليها الطابع الأدبي كرحلة العبدري(ت نحو 700هـ/ 1300م)، بينما نقف على مدونات أخرى تميل إلى التاريخ ككتاب "الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية" لمؤلفها "شكيب أرسلان"، ويبدو أن الكتابة في هذا الصنف من المعارف هي "سليل ملابسات سياقية معينية"[4]، تؤثر في المؤلف كما تؤثر في المؤلَف.

وهذا ما نبه إليه الباحث عبد النبي ذاكر في معرض حديثه عن كتاب "شكيب أرسلان" والملابسات التي رافقت جنوح المؤلف عن العنوان المتخلى عنه (الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية)، -الذي يحمل سمة وروح الرحلة-، إلى العنوان الذي يغلب عليه الطابع التاريخي (الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية)[5]، إذ يرجع سبب ذلك لكون الرحالة المذكور، يميل إلى التاريخ بدل الرحلة، مما جعله يجنح من العنوان ذو البعد الرحلي إلى العنوان ذو الطابع التاريخي.

العامل الثاني الذي يحول دون تصنيفها هو غياب التنظير في بدايات تشكل المعرفة لدا المسلمين، ونقصد أن العلوم تشكلت وكتبت، ووضعت فيها التصانيف، ثم وضع لها منهج خاص، وهذا ما يجعل منها خليط بين عدة أساليب وأنماط مختلفة ومتشعبة، هذه الملاحظة المهمة قد ذكرها

---

[1] ـ ويبدو أن عدد الباحثين الذين أدرجوا الرحلة ضمن صنف الكتب التاريخية قليلا، إذ لا نكد نعثر على باحث يصنفها ضمن جنس التاريخ، وذل يرجع إلى عدم اهتمام الباحثين في مجال التاريخ بالرحلة من حيث محاولة تصنيفها وتجنيسها، بل اهتموا بمضمونها، لهذا لم يدرجوها ضمن صنف التاريخ.

[2] ـ علي بن عبد الله، الرحلة ذريعة للتاريخ.. رحلة التجاني نموذجا، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، ج01، ص95.

[3] ـ سعيد جبار، خطاب الرحلة -الذاكرة وآليات إنتاج الدلالة-، ص29. عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ج01، ص39.

[4] ـ عبد النبي ذاكر، أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ، ج01، ص19.

[5] ـ المرجع نفسه، ص19.

الباحث هشام عبيد في معرض حديثه عن كتب المناقب[1]، إلا أنه يمكننا سحبها على التراث الرحلي، لتشابه سياقات التأليف، فالأول نشأ في ظل كتب التراجم بينما تشكل الثاني في ظل صنف الجغرافيا.

وقد نبه إلى هذه الملاحظة أيضا الباحث عيسى بخيتي في معرض حديثه عن تحولات النص الرحلي إلى نصوص قارة لها منهجها وأسلوبها الذي يميزها عن غيرها من الخطابات والأجناس التراثية، "فبينما كانت الرحلة تشكل مسارات تتقاطع فيها مقصديات معينة بأفعال بريئة، تحولت مع الزمن آثاراً ثقافية مائزة قفزت إلى مستوى النصوص التي يتوقف بناؤها على عمق التحويل والتفاعل والتخصيب والتكيف والحيوية"[2]، وقد "عرف فعل الرحلة تحولا كبيراً بإيجاد مسوغات ثقافية مكنته من احتلال رتبة أخرى في سلم الأدب، صارت من خلاله نشاطاً تفاعلياً، ولم تلبث مقتصرة على حمل الأخبار، أو خادمة للجغرافية، أو محافظة على إرث المرويات الأدبية والتاريخية، والدينية، بل أستفحل أمرها إلى صناعة مجدها، وخادمة نفسها بنفسها"، بالرغم من استقرار كتب الرحلة على منهج مغاير وأسلوب خاص، غير أنها تتقاطع مع غيرها من المعارف سواء من حيث المنهج أو المضمون.

هذا ما دعانا إلى اعتبارها نصوصا تنتمي إلى النص الثقافي العام من حيث التوجه العامة المؤطر للمعرفة، ضمن الحدود الزمنية والمكانية لتلك الفترة، غير أن التراكم والتداخل في نصوصها[3]، بالإضافة إلى كمية الإبداع الذي أحدثه الرحالة في تصانيفهم، جعل منها نصوص لها ميزتها وأسلوبها الخاص، ما خول لها أن تحجز مقعدها في كتب الفهارس وتصنيف العلوم والمعارف.

وتختلف الرحلة عن الأجناس الأدبية الأخرى في كون نصوصها تعطي أهمية بالغة لعنصر المكان[4]، بالإضافة لخاصية المشاهدة والمعاينة مع حضور التوثيق التاريخي، هذا ما يجعلها نصوصا مائزة عن الخطاب الأدبي، وعلى كل فإن "الرحلة باعتبارها نصاً تصلح للأدب كما تصلح للتاريخ في الآن نفسه"[5].

ومما يميزها أيضا عن كتب الجغرافيا -الإدارية والإقليمية- كون الرحالة يعطي رأيه في الحالات التي يصفها، فيثني على العادات الحسنة للمجتمعات ويستقبح الغريب والشاذ منها[6]، وفي

---

[1] _ هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006،ص54.

[2] _ عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ج01، ص35.

[3] _ المرجع نفسه، ج01، ص38.

[4] _ المرجع نفسه، ج01، ص43.

[5] _ المرجع نفسه، ج1، ص45.

[6] _ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص23.

بعض الأحيان يذهب أكثر من ذلك محاولاً تغيير تلك العادات إذ هي كانت مخالفة للدين الإسلامي، وهذا من بين الفروق بين كتب الرحلة وكتب الممالك والمسالك، وعلى كل فإن حضور هذا "الغنى والتنوع في المضامين والأشكال يسمح بتشبيه الرحلة، بفناء بيت تنفتح فيه أبواب حجرات متعددة، وكل باب يجد فيه مبتغاه"[1].

ويمكننا القول أن التاريخ بمفهومه الحديث يلتقي مع الرحلة في كون كليهما يحكي "تجربة إنسانية"[2]، تدور حول زمان محدد ومكان معين.

الفرع الثاني: الرحلة أغراضها ودوافعها

تعلقت الرحلة في بداية نشأتها عند المسلمين بأسباب إدارية وعسكرية وأمنية[3]، وبعضها الآخر عفوية لم يكن مخططاً لها، بيد أن توسع المعارف وتشعبها في الثقافة الإسلامية جعل دوافعها تتعدد مابين الدينية والعلمية والسياحية والاقتصادية والصحية[4]، حتى تشكلت وفق منهج وأسلوب محدد، وأخذت طابعاً علمياً، حرص من ورائه الرحالة على تدوين التصانيف للتعريف بالعالم الإسلامي.

وقد حمل بعضهم التأليف في صنف الرحلة على شعور الرحالة بضرورة أن يبينوا لخلفهم خير الطرق وأفضلها للوصول إلى الأماكن المقدسة[5]، فمع أن من غايات تدوين العلم عند المسلين أن يرجع بالفائدة على عموم الأمة، غير أن هذه الفكرة لا تنطبق على أغلب كتب الرحلة، وغرض الرحالة من تدوين رحلاتهم، ولعل مما نستدل به استبعاد أن يعتمد أدلاء القوافل بهذه الكتب، بل العكس من ذلك ففي الغالب كان الرحالة أفراداً من القافلة يتبعون أوامر الأدلاء وينزلون عندها[6].

---

[1] ـ جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014-2015، ص12.

[2] ـ عبد النبي ذاكر، أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ، ج01، ص17.

[3] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص04.

[4] ـ ولا تنحصر الدوافع فيما ذكر بل توجد دوافع أخرى؛ كالهروب وضيق العيش والسخط على الأحوال وغيرها. يراجع: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص19-20.

[5] ـ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص22.

[6] ـ حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص02.

لذا فإن الرحلة في عمومها كانت "من أجل الكشف عن المجهول أو طلباً للعلم أو رغبة في التكسب من التجارة أو طمعا في أداء فريضة الحج"[1]، غير أن مُحَمَّد المغيربي يحصرها في ثلاثة دوافع[2]:

- القيام بمهمة
- البحث عن المعرفة
- الفضول الشخصي

وقد مثلت هذه الحوافز في الغالب أهم الأسباب التي اتبعها الرحالة من أجل التعرف على العالم الإسلامي واكتشافه.

وأما من ناحية فائدتهافقد مثلت الرحلة على مر العصور معيناً للمعرفة ومورداً لها وأداة لاستقاء المعلومات والأخبار لمختلف العلوم[3]، غير أن نصوصها ليستبنفس الأهمية، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى ثقافة الرحالة وشخصيته ومهنته وبيئته وعصره[4]، بالإضافة إلى تنوع أغراض الرحلة ودوافعها من جهة ثانية، فبعض هذه الرحلات يضمنها أصحابها كل عجيب وغريب، وقد وصفهم أندريه ميكيل أنهم يخضعون كتاباتهم "لمعيار التميز"[5] والاختلاف، لهذا نجد ذلك التباين في مقدار المعطيات التي توفرها هذه المدونات والمصادر.

لا نشك أن هذه المصنفات "مجتمعة تقدم لنا صورة حية"[6]، عن المجتمعات الإسلامية ما يمكننا من لملمة الماضي بكل فعالياته وتجلياته.

الفرع الثالث: مدونة الرحلة و كتابة التاريخ

لا مجال للشك أن علاقة التاريخ بالرحلة "معقدة ومتشابكة وشائكة"[7]، وهذا ما حدا بمؤرخ كابن خلدون أن ينكر على ابن بطوطة ما أورده في رحلته من غرائب وعجائب، غير أنّابن جزي كاتب السلطان أبي عنان(ت759هـ/ 1358م)،وهو أديبمعاصر لابن بطوطة، لم يتوانى عن

---

[1] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص 45.

[2] ـ ويذكر المؤلف أنه استبعد دافع أداء فريضة الحج لأنه في رأيه يعد تبسيطا وتقزيما للدوافع الأساسية للرحالة. يراجع: مُحَمَّد المغيربي، رحالة الغرب الإسلامي، ترجمة: عبد النبي ذاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2013، ص39.

[3] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص44.

[4] ـ بخصوص هذه العوامل المؤثرة في طريقة تدوين الرحلات وأسلوب كتابتها، بالإضافة إلى حجم المعلومات الواردة فيها. يراجع: مُحَمَّد المغيربي، رحالة الغرب الإسلامي، ص 25-37.

[5] ـ المرجع نفسه، ص49.

[6] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص11.

[7] ـ عبد النبي ذاكر، أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ، ج01، ص11.

الإقرار أن قصص الغرائب الواردة في رحلة ابن بطوطة هي عصب صناعة الرحلة وأُس تخلقها[1]،ولعلنا نعذر ابن خلدون في حكمه، إذا ما علمنا أنه نظر بعين المؤرخ المدقق في حقيقة الأحداثوواقعيتها، لا بعين الرحالة الأديب المرهف الحس، هذا ما حمل الباحث عبد النبي ذاكر إلى القول بأنه من غير المستساغ علمياً أن تحاكم نصوص الرحلة وفق منطق التاريخ وآلياته[2].

غير أن المفهوم الحديث للتاريخ الذي انجر عنه توسيع مفهوم الوثيقة، بالإضافة إلى انفتاح المؤرخ على مناهج جديدة في قراءة النصوص سمح له بالانفلات من إصر الوثيقة بمفهومه التقليدي التي تنحصر في المعاهدات والكتب التاريخية، إلى الوثائق الدفينة التي تشمل كل ما خلفه الإنسان على مر الأزمان، ومنها مدونات الرحلة.

هذا التغير في مفاهيم الوثيقة ودور المصادر الدفينة في الكتابة التاريخية، جعل المؤرخين يهتمون بها[3]، وذلك يرجع بالأساس لنوع المادة العلمية التي توفرها كتب الرحلات، حيث تعد مصدراً مهما للدراسات التاريخية[4]، نظراً لما تقدمه من صورة حقيقة للأحداث والوقائع، وهذا ما يغيب في كثير من الكتب التاريخية المشبعة بالأحداث السياسية والهموم الإيديولوجية[5].

على أن أهميتها المعرفية تتجلى في اهتمامها بثقافات الشعوب، وحرصها على الوصف الدقيق لحياة المجتمعات والمقارنة بينها فهي بمثابة "مصادر شاملة"[6]، حتى عدها المستشرق أندريه ميكيل (MiquelAndré) جغرافية بشرية، لأنها لا تهتم بالمواقع في ذاتها بل تهتم بها في علاقتها

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص13-15.

[2] ـ المرجع نفسه، ص14-15.

[3] ـ يذكر عبد النبي ذاكر أن شعبة التاريخ بالجامعة المغربية تستبد بحصة الأسد من مجموع الأطاريح المنجزة حول الرحلات والرحالين توثيقاً وتحقيقاً ودراسة، يراجع: عبد النبي ذاكر، أرخنة التاريخ ورحلنة التاريخ، ج01، ص16.

[4] ـ وقد أنجزت العديد من الدراسات التي تنبه على القيمة المصدرية لكتب الرحلات بالنسبة للمؤرخ. يراجع: فتيحة حاج بن فطيمة، القيمة التاريخية لكتب الرحلات.. رحلة ابن جبير والطهطاوي أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد02، عدد01، يناير2019، ص310-323. سامية بوصيقع، أهمية الرحلات في الكتابة التاريخية، مجلة تاريخ العلوم، الجزائر، مجلد05، عدد13، جوان2020، ص424-436. فؤاد عزوز، دور أدب الرحلات في الكتابة التاريخية، ، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020، ص196-211. 184. محمد الصافي، أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ.. رحلة ابن بطوطة نموذجا، مجلة أفاق للعلوم، الجزائر، مجلد05، عدد04، السنة2020، ص300-315. عمر بوخاري، القيمة الوثائقية للنص الرحلي من خلال كتاب رحلة العبدري، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، ص161-

[5] ـ عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ج01، ص40-41.

[6] ـ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص20.

بالإنسان، فترصد علاقته بالطبيعة وتضبط أنشطته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[1]، فالرحلة في عمومها ترسم صورة شاملة عن العوالم التي زارها الرحالة.

على أن ما يعزز من مصداقيتها أنها نصوص متوازنة معرفيا ومنهجيا، بحيث "لم يعكر الإيديولوجي فيها صفو المعرفي، ولم يغبط الذاتي حق الموضوعي"[2]، فهي مدونة أقرب إلى "الموضوعية منها إلى الذاتية"[3]، بل هي في كثير من جوانبها تعد سجلاً يومياً وعفوياً لتحركات الرحالة ومغامراتهم.

وما يزيد أيضا من قيمة وتميز كتب الرحلات عن غيرها، أنها تمدنا بمعلومات وثيقة الصلة بالأحداث، لما يتخلل عملية التدوين من مشاهدة ومعاينة، يجعلها أقرب إلى التصديق من تلك الأخبار والمعلومات المنقولة عن طريق السماع، وعليه فهي تمدنا بمادة معرفية تنطلق من الواقع وتعود إليه، ما يمكننا من رصد حلقات تطور المجتمعات الإسلامية، على مستوياتها المتعددة؛ الاقتصادية والاجتماعية، الفكرية والسياسية، أو لنقل على المستوى الحضاري عموما.

إن المطلع على مضامين هذه المدونة بمختلف أصنافها واتجاهاتها، ليجدها حبلى بالمعطيات الطبيعية،والمسالكية والعمرانية، بالإضافة إلى الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية، والمعلومات السياسية والعلمية[4]. بينما تزداد أهميتها في كونها تحمل اهتمامات العصر وشواغل المجتمع بكل أطيافه وشرائحه[5]، ما جعل منها مرآة عاكسة نستطيع من خلالها رصد تغيرات المجتمع وتحولاته.

ففي الجوانب الطبيعية مثلا: نقف على أحوال الطقس والمناخ والبحار والأودية والبحيرات والأنهار والجبال وتضاريسها، والنباتات وأصنافها والزراعات وأنواعها. وأما فيما يخص الجوانب المسالكية فنعثر على وصف "الطرق ومعالمها والمسالك ومخاطرها"[6]، بالإضافة إلى ضبط المسافات بين المدن والبلدان وتحديد خطوط سير القوافل والتجار، بينما تزودنا نصوصها في المجال العمراني بوصف الأمصار والمدن، من خلال تتبع أبنيتها ومساجدها ومدارسها..الخ.

بينما في المجال الاقتصادي نعثر على معطيات ونصوص هامة من قبيل؛ الأنشطة الاقتصادية من فلاحة وصناعة وتجارة وما تعلق بهذه الأنشطة من شرائح كالفلاحين والرعاة والحرفيين والصناع والتجار والباعة، بالإضافة إلى ذكر الأسواق والمحلات، وأما في المجال الاجتماعي

---

[1] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية، ص47.

[2] ـالمرجع نفسه، ص68.

[3] ـالمرجع نفسه، ص67.

[4] ـ المرجع نفسه، ص10.

[5] ـ المرجع نفسه، ص69.

[6] ـ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص23.

فاهتمت بذكر ظروف المعيشة لمختلف الشرائح المجتمعية من الفقراء والمتسولين والأسرى والرقيق والأقليات والإثنيات والمرأة والعامة، وما تعلق بعاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم وممارساتهم الحياتية.

بينما تكشف نصوصها عن جوانب تاريخية متعلقة بالأحداث السياسية والشخصيات العلمية والأدبية، حتى جعل منها بعض المؤرخين مورداً هاماً لكتب التراجم والأعلام[1]. بل عدها بعضهم من أقدم الوثائق المكتوبة التي وصلتنا[2].

وعليه فإننا نعثر في هذه المدونة على معلومات هامة، وخاصة إذا سيقت في إطارها الزماني والمكاني، نظراً لمنهجها التوثيقي ولمادتها المعرفية الأقرب إلى قاعدة المجتمع منها إلى موائد السلطان وحاشيته.

كل هذه المعطيات والمعلومات البالغة الأهمية التي تحتويها كتب الرحلة، يجعلها مصدراً مهماً للكثير من العلوم والمعارف، كالجغرافيا والتاريخ والأدب والاقتصاد والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا[3]، فهي تعد بحق "وثيقة أساسية لا يمكن للباحث في مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية أن يتجاهلها أو يستغني عنها"[4].

بل تفوق قيمتها في كثير من الأحيان قيمة الكتب التاريخية، التي في الغالب ما انصب اهتمامها على القضايا السياسية والعلمية[5] والعسكرية، فيمكننا أن نسمها بالمدونة الجامعة، التي حملت خلاصة ما يراه الرحالة من نشاط بشري ومادي في بلاد المسلمين وغيرهم، ما جعل منها "أداة ثقافية وحضارية"[6] بامتياز.

ومما سبق؛ يتضح أن كتب الرحلة تقدم إسهامات وخدمات جليلة للعديد من المعارف والعلوم، ولاسيما المعرفة التاريخية، نظراً لما تقدمه من معلومات تخص جوانب مجتمعية خفية لم ترد في المدونة التاريخية.

وأيا يكن فإن التغاضي عن هذا الخطاب الثري، -"الذي عرف انتعاشا من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجريين في المشرق الإسلامي، ومن القرن السادس إلى القرن الثامن في المغرب

---

[1]-المرجع نفسه، ص28.

[2]_عمر علوي عمراني، الرحلة كوثيقة من بين أقدم الوثائق المكتوبة في تاريخ المغرب القديم، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، ص13.

[3]_ الاثنولوجيا (Ethnoloige)، علم الأجناس، علم يدرس خصائص الأجناس دراسة تسمح بتصنيفها والتفرقة بينها. يراجع: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون الطابع الآميرية، القاهرة، مصر، 1403هـ/ 1983م، ص03.

[4]_يراجع مقدمة كتاب: الرحلة والتاريخ، تنسيق: البشير أبرزاق وآخران، ص07.

[5]_ عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ص41.

[6]_ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص21.

الإسلامي"[1]، مغطياً مساحة زمنية كبيرة من تاريخ المعرفة العلمية والثقافة الإسلامية التي امتدت حوالي خمسة قرون-، يضر ببناء المعرفة العامة، وبتصحيح الحقائق التاريخية، ما يعيق الوصول لنظرة شاملة لتاريخ المسلمين وتراثهم المصدري والمعرفي، ويؤدي في كثير من الأحيان إلى أحكام جزئية تقع رهينة الإسقاط والتنميط.

ومع ما لكتب الرحلة من أهمية في مجال البحث التاريخي، إلا أنها لا تخلو من عوائق ينبغي للمشتغل بالتاريخ أن ينتبه لها، وهذا راجع بالأساس إلى أساليب الرحالة، فهم في الغالب ما يعممون الخاص على العام، والحالات الشاذة على أنها تقليد وقانون[2] عام يسري على كل الحوادث والوقائع، فيقع من يأخذ بهذه الروايات في التعميم والإسقاط دون التمحيص والتدقيق والاستقراء، لهذا وجب "دراسة الرحلات وحدة واحدة متسلسلة و[متكاملة] حتى نستطيع الخروج بالنتيجة الصحيحة المرجوة"[3].

ويمكن تجنب هذه الأحكام العامة من خلال تتبع مسار الرحالة في رحلته ومدى تفاعله مع الأحداث، فإن كان تدوينه للأحداث وحكمه على الظواهر التي شاهدها في مكان من الأمكنة، من باب المعاينة والألفة والمكوث، فإن حكمه وسرده أقرب إلى الصواب، وأما إن كان من قبيل التعريج على الأمكنة غير ماكث بها فإن حكمه يبقى نسبيا يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ[4].

ومما يزيد من صعوبة استغلال مدونة الرحلة؛ طغيان العنصر الذاتي على بعضها، فتتأثر بخيال الرحالة وعاطفته وثقافته الشخصية، لذلك وجب على المؤرخ أن يميز بين آراء الرحالة وملاحظاته وأحكامه الشخصية[5]، وبين وصفه وتقريره فيما يشاهده ويعاينه من أحداث ووقائع، ومما يساعد أيضا على فك الارتباط بين ذاتية الرحالة والحقائق المدونة، أن يكون الباحث على دراية بحياة الرحالة ومدى ثقافتهوميولاتهوإيديولوجيته.

---

[1] ـ لطفي ديبش، التواصل الحضاري، ص12.

[2] ـ عبد النبي ذاكر: أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ، ج01، ص12. عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ج01، ص51.

[3] ـ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص25.

[4] ـ عيسي بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ج01، ص52.

[5] ـ حبيب وداعة الحسناوي، كتب الرحلات المغربية كمصدر لدراسة المجتمع الليبي ملاحظات أولية حول بعض إشكالات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي (1500-1911)، ضمن أعمال الندوة العلمية الثامنة: المجتمع الليبي (1835-1950)، المنعقدة بتاريخ: 26-2000/09/27، تحرير: محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، 2005، ص290.

ومن العوائق أيضا التي تفطن إليها بعض الباحثين هو؛ طغيان الغرائب والعجائب على مدونات الرحالة المتأخرين[1]، مما يتنافى مع الموضوعية التاريخية التي تستند في غالب الأحيان إلى واقعية الأحداثوالظواهر، لهذا وجب التفريق بين أقسام الغرائب والعجاب التي تحويها مدونة الرحلة، بما يسهل على الباحث استغلالها والاستفادة منها.

أيضا لا يجب أن نغفل ما "يتسبب فيه السهو والنسيان وصعوبة الاستعادة وخذلان الذاكرة وغواية الاستطراد"[2]، بالنسبة لكاتب الرحلة وخاصة إذا كان صاحب الرحلة لم يدونها حال سفره.

ولهذا ينبغي النظر لكتب الرحلة بالموازاة مع ما تورده مختلف المدونات التراثية ومقارنتها بعضها ببعض، بدءا بكتب الحوليات التاريخية -ككتب التاريخ والتراجم-، وانتهاء بالمصادر الدفينة -ككتب الفقه والنوازل والأدب والأمثال، والمناقب والتصوف-، حتى يكتمل المشهد التاريخي، مما يخول للمؤرخ بناء، وتأثيث الماضي على وجهه الصحيح.

فنستعين بكتب التاريخ في ضبط التواريخ، والحوادث وكتب التراجم في ضبط أسماء الأعلام، والشخصيات، كما أن الوقوف على المصادر التي اعتمدتها هذه المصنفات في تحرير مادتها وضبط نصوصها، يساعد في تدقيق معلوماتها ودراسة خطاباتها وتحليل معطياتها[3] ومضامينها.

وتجدر الإشارة أن المعطيات الواردة في مدونات الرحلة تختلف من حيث قيمتها من رحالة إلى آخر، وهذا راجع بالأساس إلى اهتمامات الرحالة[4] وميوله وتكوينه الشخصي، وأما الرحالة المشهورون فإن تركيزهم ينصب في الغالب على ما هو "غريب وعجيب" في المجتمعات والمناطق التي يزورها، فلا يلقي بال لما هو معتاد ومألوف، وهذا مما يستفيد منه الباحثون في تعميم ملاحظاتهم،وأحكامهم على باقي الشعوب بما يجده في مجتمعه، ما لم يعثر على ما يخالفه من معطيات ومعلومات يذكرها الرحالة.

وعلى كل فإن النصوص الواردة في هذه المدونة هي في مجملها نصوص تتشابك مع الأحداث والوقائع التاريخية، غير أنها تحتاج إلى الكشف عن خصوصياته الشكلية والمعرفية[5]، بيد أنه ليس من الضروري أن نصنفها ضمن جنس التاريخ، حتى نستفيد من معلوماته، لكن من الضروري

---

[1] _ يراجع: عيسى بخيتي، جدل الأدب والتاريخ، ج01، ص52-57.

[2] _ عبد النبي ذاكر، أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ، ج01، ص15.

[3] - محمد حناوي، كتاب نزهة المشتاق، ص59.

[4] _عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص25.

[5] _ لطفي عيسى، بين الذاكرة والتاريخ.. في التأصيل وتحولات الهوية، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص20.

أن ندرجها ضمن المصادر الأساسية التي يحتاجها المؤرخ من أجل بناء سليم للماضي وأحداثه ووقائعه.

فلا يجب أن نعتبرها من المصادر الثانوية التي يلجأ إليها المؤرخ اضطراراً، أي في حالة لم تسعفه المدونات التاريخية في كتاباته، صحيح أن تجنيس هذه المدونات يلعب دوراً مهماً في تسهيل الوصول إلى المعلومات وتجميعها ومن ثم الاستفادة منها، إلا أنه أضر بالمعرفة العامة، ونظرة المؤرخ إلى المصادر، ما جعله يكتفي في معالجة مواضيعه على المصادر التاريخية دون غيرها من المصادر المهمة.

لا مجال للشك أن هذا التصنيف الإجرائي للمدونات له ما يبرره، غير أنه ينبغي التنبيه إلى ذلك التصنيف الإقصائيالمتحيز[1]، الذي يمارس نوع من التمييز المعياري بحيث يعطي أفضلية لجانب معرفي على جانب معرفي آخر، وبالتالي تفضيل مصدر معين على آخر.

ففي الغالب قد أضر هذا التصنيف بالمعرفة، بقدر ما سهل الوصول إلى المعلومات وتجميعها، إذ يجعل المؤرخ يكتفي بالمصادر التاريخية والتي يعتبرها مصادر أساسية ومباشرة، بينما يهمل باقي المصادر، هذا ما جعل من مدونات الرحلة؛ تأتي في خانة المصادر الثانوية غير المباشرة، بالنسبة له فهي في نظره مجرد مصادر اضطرارية يستعملها حال غياب المعلومات في المصادر الأساسية الإخبارية (الحوليات والتراجم).

وعليه فإن علاقة التاريخ بالرحلة علاقة معقدة ومتشابكة، نحاول أن نعرف بعضاً من ذلك الترابطوالتواشج في ما تورده من معلومات قيمة لمختلف القضايا الاقتصادية والاجتماعية، التي تخص المجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط، وغايتنا من هذا أمرين:

- الرد على مع ما قرره أصحاب دعوى التغييب والتهميش عن غياب المعطيات الاقتصادية والاجتماعية وندرتها في المدونة التراثية، ومنطلقنا في ذلك؛ التركيز على وحدة الثقافية الإسلامية وإنتاجها المعرفي (المعارف الفقهية، المعارف الأدبية، المعارف التاريخية،...الخ).
- التنبيه إلى القيمة المصدرية التي تمثلها هذه المدونة، إذا ما أعيد النظر فيها في إطار تكاملي يحقق تكامل المعارف والمصادر التراثية، باعتبارها تنتمي إلى ثقافة وبنية معرفية واحدة.

[1] ـ للتوسع حول فكرة التحيز الذي تمارسه عملية تصنيف العلوم والمعارف والمصادر في التراث الإسلامي، يراجع: لخضر بولطيف، التاريخ في نطاق المدرسة القيمية.. ملاذا للتواصل بين علوم الحكمة وعلوم الشريعة، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني: التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والإنسانية والكونية، المنعقد بتاريخ: 17-18 أفريل 2017م، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة 1، الجزائر،محاضرة على اليوتيوب، قناة المؤرخ الجزائري.

الفرع الرابع: المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في مدونة الرحلة

يذهب العديد من الباحثين[1] أن دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية عموماً ، لا بد أن تمر بكتب الرحلة والجغرافيا، إذ تعتبر "رافداً فياضاً"[2] ومهماً، للكشف عن مختلف الأنشطة الصناعية والتجارية والزراعية السائدة في تلك الفترة، مما يساهم في "لمس التطور الحادث في الأمور الاقتصادية"[3].

هذا إلى جانب ذلك الزخم الذي أحدثته في الدراسات الإثنولوجية والإثنوغرافية[4]، وهذا ما دعانا للاهتمام بهذه المدونة التراثية.

ولتوضيح فائدتها في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعات الغرب الإسلامي نستشهد فيما يأتي، ببعض الدراسات التي اتخذت من كتب الرحلة نماذج أساسية لدراسة مواضيع وجوانب اقتصادية واجتماعية، وقد أبانت هذه الدراسات عن القيمة المعرفية والمنهجية التي تزخر بها هذه المدونة.

كما أبرزت دورها في دراسة المجتمع بكل تجلياته ولاسيما منها الاقتصادية والاجتماعية، بما يمكننا من تدعيم ما نصبوا إليه من كون المدونة التراثية؛ مدونة جامعة شملت جميع الجوانب الحضارية دون استثناء أو إقصاء أو تهميش.

وعلى سبيل التمثيل نشير إلى بعض الدراسات التي يتناول فيها أصحابها قضايا اقتصادية واجتماعية، حيث وقفنا على موضوعات تخص قضايا اقتصادية كالحياة الاقتصادية في مدن الغرب الإسلامي[5]، وحواضره التجارية[6]، إلى جانب الثروة التي تختص بها مناطق الغرب الإسلامي من المحاصيل الزراعية والأنشطة الفلاحية والحيوانية[7].

---

[1] ـ محمد حناوي، كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص57. محمد منفعة، ساكنة بعض مدن المشرق العربي من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، مجلة كنانيش، المغرب، عدد3، السنة2001، ص11-12.

[2] ـ عواطف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص25.

[3] ـ المرجع نفسه، ص25.

[4] ـ محمد حناوي، كتاب نزهة المشتاق، ص58.

[5] ـ مصطفى علوي، الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط، ص11-25.

[6] ـ صالح بعزيق، مراكش أغمات والتجارة الصحراوية في العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات، ضمن كتاب: المغرب في محيطه الإفريقي.. المجالات والرهانات الاستراتيجية الجديدة، تنسيق: مورد زناسني، منشورات جامعة محمد الخامس ومركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المغرب، ط01، 2017، ص21-44.

[7] ـ محمد بن عربة وأحلام بوسالم، ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية، ص317-355.

بالاضافة إلى تلك الموضيع التي تخص القضايا الاجتماعية؛ كالمرأة في مجتمع الغرب الإسلامي[1]، والديمغرافية التاريخية للمغرب[2]، وما تعلق بها من الأمراض، وطرق علاجها والأوبئة والطواعين[3].

إضافة إلى أوضاع المدن[4]والمزارات والأضرحة والأماكن المقدسة[5]،بالاضافة إلى النسيج العمراني[6]، والمكونات المجتمعيةللحواضر[7] والصحاري[8] والأرياف[9].

من خلال ما سبق نستنتج أن مدونة الرحلة تعرفنا على المجتمع بكل نشاطاته الاقتصادية، وممارساته الاجتماعية، فحق لنا أن نعتبرها مرآة عاكسة لتجلياته الحضارية.

وعلى العموم فإن مدونة الرحلة تعرفنا بمكونات المجتمع وتفصيلاته وشرائحه وتنظيماته الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية والإدارية[10]، إذ تلقي أضواء على الحواضر والبوادي، الشعوب والقبائل، المجتمع والعامة، العادات والتقاليد، القيم والأعراف، المواسم والاحتفالات،

---

[1]_ محمد العيناوي، المرأة المغربية من خلال كتب الرحلات في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة أمل، المغرب، عدد 13-14، السنة 1998، ص139-143. عبد الهادي التازي،المرأة عند ابن بطوطة، ضمن أعمال ندوة: الرحالة العرب والمسلمون.. اكتشاف الآخر -المغرب منطلقاً وموئلاً-، المنعقدة بالرباط، بتاريخ: 14-2003/12/17، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، ط1، 2003، ص55-69. محماد لطيف، صورة المرأة في مرآة الرحالة المغاربة خلال العصر الوسيط، ضمن كتاب الرحلة والتاريخ، ج02، ص51-68.

[2]_ مصطفى نشاط، الديمغرافية التاريخية في الرحلة الزيارية بالمغرب الوسيط، مجلة كنانيش، المغرب، عدد3، السنة2001، ص23-34.

[3]_ المرجع نفسه، ص27-28.

[4]_ يامنة جبور وابن عزة عبد القادر، مجلة الآداب اللغات، الجزائر، عدد24، السنة2017، ص163-168.عبد القادر نواري، مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين، مجلة الباحث، الجزائر، العدد02، السنة2019، ص149-165.

[5]_نواف عبد العزيز الجحمة،كتب الجغرافيا والرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر التأريخ للأماكن المقدسة بمدينتي القدس والخليل من (ق5 إلى 8هـ/ 11-14م)، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، ج02، ص11-33.

[6]_ زكرياء الشعرة، عمارة المسجد الحرام من خلال رحلة ابن جبير، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، ج02، ص35-50.

[7]_ محمد سرير، الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر في عيون الرحالة رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني نموذجا، مجلة اللغة العربية وآدابها، الجزائر، مجلد5، عدد01، أكتوبر2017، ص65-80.

[8]_ طاهر بن علي، المكون السوسيو ثقافي لإنسان الصحراء مقاربة مؤرخ في نصوص الرحلة، الجزائر، مجلة دراسات تاريخية، العدد1، ص113-130. خيرة سياب، الصحراء في رحلة ابن بطوطة اللواتي الطنجي (753هـ/ 755هـ) (1352م/ 1354م)، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، عدد19، أكتوبر2013، ص539-562.

[9]_ سكينة عميور ويوسف العابد، مجتمع الجبال الريفية بالمغرب الأوسط من خلال رحلة الحسن الوزان، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد34، عدد02، السنة2020، ص754-800.

[10]_ وقد استندت الباحثة عواطف نواب على كتب الرحلة لتتبع الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الحجاز خلال القرنين (7 و8 هـ)، وقد وصلت لنتيجة مفادها أنه لا يمكن الاستغناء عن هذه المدونة في بيان الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. يراجع: عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين -دراسة تحليلية نقدية مقارنة-، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ- 1996م، ص433-437.

الأعياد والمناسبات، الطقوس والمعتقدات، المعالم والمزارات، الشواهد والمقامات، المدن والقرى، المواكب الرسمية والقوافل، الطرق والمسارات، الجبال والصحاري، المرأة والطفل، الأسرة وعلاقتها، الأولياء والصالحين، الأمراض والأوبئة، الفئات والشرائح، الطوائف والأقليات.

كما تلقي أضواء على الحرف والمهن، التجارة والزارعة، النشاطات والصناعات، الأسواق والمحلات، الأسعار والمكاييل، طرق العيش، وأساليب الكسب، الأطعمة والأشربة، الملابس والزينة.

إن هذه الموضوعات التي أشرنا إليها والتي يمكن معالجتها من خلال الاستناد إلى المعطيات التي تقدمها مدونة الرحلة، وهذا ما تقر به الباحثة بوبة مجاني من أن كتب الرحلة "سجلت لنا سير المجتمعات وتطورها، وأعطت لنا صورة صادقة عن حياة المجتمعات وتعامل السلطة معها"[1]، على عكس المدونة التاريخية التي اهتمت بالاحداث السياسة والعسكرية والعلمية

وقد تعددت العوامل التي أدت إلى تدوين الرحلات أو الاهتمام بالرحلة، ما يؤكد مقولتنا أن هذه الحقول لم تتشكل، وهي البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي كون التأليف فيها لم يبدأ بعد بل جاء ضمن حقول معرفية مختلفة من ضمنها كتب الرحلة التي تعددت أغراضها.

ورغم إقرار بعض الباحثين[2]؛ بوفرة المعطيات الاقتصادية والاجتماعية ضمن هذه المدونة، إلا أنهم يصرون على أنها جاءت عرضا ضمن هذه التصنيفات.

وهذا ما لا نوافق عليه، بل إن ما يفنده هو مقدمات هذه المدونات نفسها[3]، فهي في الغالب تصرح عن دوافع الرحالة من تدوين المعطيات الاقتصادية والاجتماعية، والتي نستبين منها أنها دوافع معرفية صرفة أدت إلى خلق خطاب جديد ومنهج متميز له مكانته في المعرفة الإسلامية والتراث المعرفي العالمي عموما، بالإضافة لفائدتها على التاريخ لما توفره من معطيات اقتصادية واجتماعية.

ويمكننا القول أن أصحاب هذه المدونات يعتبرون هذه المعطيات –الاقتصادية والاجتماعية– جزءاً أساسياً من التركيبة المجتمعية والبعد الحضاري، بالإضافة إلى كُنْههم بفاعليتها التاريخية وأهميتها المعرفية، وهذا ما نلحظه من خلال انتقال الكتابة في هذا الصنف مَن هواة إلى متخصصين لهم منهجهم وأسلوبهم الذي يميزهم عن غيرهم، من حيث الشكل والمنهج والمضمون.

---

[1] ـ بوبة مجاني، التقسيم الإداري لبلاد المغرب في عصر الفاطميين من خلال رحلة ابن حوقل، ضمن كتاب أدب الرحلة والتواصل الحضاري، ص130.

[2] ـ محمد ياسر الهلالي، مجتمع المغرب الأقصى، ص71.

[3] ـ يراجع: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص37.

وبناء على العرض السابق؛ يتضح أن كتب البلدان والرحلات قد تصدت لتدوين حياة الشعوب، وتسجيل دقائق حياتهم، فبينت نشاطهم الاقتصادي وطرائق عيشهم واجتماعهم، فكانت خير مورد للمؤرخ في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، فحق للمؤرخ أن ينظر إليها كمصادر ضرورية وأساسية، تكمل الكتب التاريخية وتصقل نظرة المؤرخ وتزيد من دقة الأنظار وصحة الأحكام التي يصدرها المؤرخ على الفترات السابقة، بدل النظر إليها كمصادر ثانوية واضطرارية، يلجأ إليها المؤرخ حال غياب المعلومات في كتب الحوليات.

ومن خلال هذه الرؤية التكاملية للمصادر والمدونات؛ نستطيع أن نؤسس لنظرة متوازنة وكتابة متزنة لتاريخ المسلمين، وحياتهم، ما يجنبنا اسقاط أراء وأفكار معاصرة على منظومة معرفية تنتمي لشرطية تاريخية معينة لها مبادئها وأطرها المعرفية.

المبحث الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة الأدبية

لقد ساهمت التحولات المعاصرة على مستوى الكتابة التاريخية، في انفتاح المؤرخ على قضايا جديدة ومعالجة إشكالات مبتكرة، ما حتم على المؤرخ في خضم هذه المعالجة الانفتاح على مصادر جديدة، لا تصنف ضمن المصادر التاريخية، وفي هذا الصدد يقول مُحَّد زنيبر: "من حق المتخصص في الأدب أن يمتد بفضوله إلى التاريخ مادام يتبع منهاجاً صحيحاً في البحث، ومن حق المؤرخ بدوره أن يلج باب الأدب مادام يبحث عما يساعده على فهم الماضي ويرصد كل العناصر الكفيلة بأن تنير له كوامن الحياة المجتمعية"[1].

انطلاقا من هذه المقولة المهمة نؤكد على ضرورة انفتاح المؤرخ على مصادر متنوعة تؤثث جوانبه وتهيكل موضوعه وتدعم منهجه. ومن هذه المصادر التراثية المتنوعة؛ المدونة الأدبية التي تمثل مصدراً مهماً للدراسات التاريخية، وخاصة المؤلفات ذات الصلة بالمجاميع الأدبية والدواوين الشعرية والأمثال الشعبية.

إذ لعبت دوراً مهماً في معالجة بعض القضايا المطروحة على مستوى حقول التاريخ، بل أصبحت من المصادر الضرورية لمعالجة، وبناء سليم لقضايا التاريخ؛ فكيف أمكن الاستعانة بهذه المدونة الأدبية ذات الخصائص المفارقة للمدونة الإخبارية؟ وما الإشكالات التي واجهها المؤرخ أثناء اعتماده على نصوص هذه المدونة؟ وما الفائدة المرجوة من هذه المدونة في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؟

المطلب الأول: علاقة الأدب بالتاريخ

طُرحت علاقة الأدب بالتاريخ منذ القديم، أيهما أسبق وهل هما جنس واحد أم جنسان مختلفان[2]. وعلى العموم فالقدماء لا يكادون يميزون بين الأدب والتاريخ، حيث تعددت مدونات الأدب وأشكالها وموضوعاتها، بحيث تقاطعت مع التاريخ في كثير من موضوعاته ومضامينه.

وعليه يمكننا أن نتساءل؛ عن ماهية الأدب ومضامينه وأشكاله؟ وكيف يمكن للأدب أن يكون خادماً للتاريخ؟ وهل يمكن للمدونة الأدبية أن تخدم مؤرخ التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؟

الفرع الأول: في ماهية الأدب

[1] ــ مُحَّد زنيبر، الأدب الشعبي المغربي شعر الملحون كظاهرة أساسية في التاريخ والثقافة المغربية، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989، ص41.

[2] ــ جعفر ابن الحاج السلمي، التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية.. من المبالغة إلى خرق العادة، ضمن كتاب: بلاغة الخطاب التاريخي.. أعمال مهداة للدكتور حميد لحميداني، إعداد وتنسيق: مُحَّد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص37.

الأدب في المجمل هو: "مجموع الكلام الجيد المروي نثراً وشعراً"[1]، ومهما يكن من تعدد موضوعات الأدب، وأشكاله "فالأصل في الأدب كله أن يكون فناً واحداً هو الوصف، لأن التعبير في حقيقته وصف"[2]، وهذا ما ينطبق على الشعر فهو راجع إلى الوصف، ومع اتساع مدلول الوصف، خص كل موضوع بتسمية معينة، فسمَّوا وصف الناس الأحياء مدحاً وهجاء، وسموا وصف الأموات رثاء، وسمَّوا وصف النساء غَزلاً[3].

بينما رأى آخرون أن لا يقصروه على قسمي النثر والشعر، بل هو عندهم، "كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة"[4]، ومن ثم فهو عند لانسون جوتاف (Lanson Gustave)، عبارة عن " التعبير عن المجتمع"[5]، وعند أحمد أمين "سجل الحياة"[6]، بينما يعتبره حسن عثمان "مرآة العصر"[7]، وعليه فإن الأخبار التاريخية داخلة في هذا المعنى.

وهذا ما اتصفت به المدونة الأدبية الإسلامية، فهي مدونة جامعة لشتى الأخبار والآثار، باعتبارها مظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية وتمثُّل صادق للمجتمع الإسلامي.

وقد عبر عن ذلك ابن عبد ربه(ت328هـ/ 940م)في كتابه "العقد الفريد"، "وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجد تها غير متصرفة في فنون الأخبار ولا جامعة لجمل الآثار؛ فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسُّوقة، وحلَّيتُ كل كتاب منها بشواهد من الشِّعر، تُجانس الأخْبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها؛ وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلَم الناظِر في كتابنَا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه حظّاً من المنظوم والمنثور"[8].

وهكذا دليل على أن كتب الأدب كانت كتبا جامعة لموضوعات شتى ومعارف متعددة، فالمعطيات المتعلقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، كانت جزءاً من اهتمامات الشعراء في دواوينهم، والأدباء في مجاميعهم وأمثالهم كما كانت من اهتمامات الرحالة والبلدانيين في مدوناتهم.

---

[1] _ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم من مطلع الجاهليَّة إلى سقوط الدّولة الأموية–، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981، ج1، ص42.

[2] _ المرجع نفسه، ص48-49.

[3] _ وتأخذ هذه الموضوعات تقسيما آخر عند الباحثين الغربيين، فالشعر عندهم أربعة أنواع؛ الشعر الغنائي والملحمي والمسرحي والتعليمي. يراجع: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج1، ص49.

[4] _ كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5، ص3.

[5] _ أحمد بوحسن، تاريخ الأدب، ضمن كتاب: كتابة التواريخ، تنسيق: مُحَمَّد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس، المملكة المغربية، ط01، 1999، ص145.

[6] _ أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص24.

[7] _ حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ، دار المعارف، القاهرة، ط8، 2000، ص38.

[8] _ أحمد بن مُحَمَّد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق: مفيد مُحَمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1983م، ص6.

الفرع الثاني: علاقة المؤرخ بالمدونة الأدبية

لا يمكننا توضيح علاقة المؤرخ بالمدونة الأدبية دون النظر في بدايات تشكل الكتابة التاريخية الإسلامية، و كما هو معروف فإن التاريخ والأدب تشكلا في إطار معرفة واحدة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن أسلوب الكتابة التاريخية الكلاسيكية، ما هو إلا فناً من الفنون الأدبية[1]، فالمؤرخون الأوائل في غالبيتهم غلبت عليهم الصَّنعةُ الأَدبيَّة[2]، بالإضافة إلى الصنعة الحديثية[3].

وما يميز المصنفات الأدبية المتقدمة أنها كانت جامعة للأخبار، فإلى جانب اهتمام الأدباء باللغة والشعر وطرائف الأخبار، اهتموا أيضا بتدوين الأخبار والروايات التاريخية[4] المتعلقة بالسلاطين والقادة، وكذا اهتموا بنقل أخبار العامة من الناس وظروف معيشتهم.

ومن بين هذه المدونات الأدبية المشرقية الجامعة، التي ذاع صيتها نذكر: كتاب "البيان والتبيين"[5]، لأبي عمر الجاحظ (ت255هـ/ 868م)، وكتاب "الأغاني"[6]، للأبي الفرج الأصبهاني

---

[1] ـ ويقصدون بذلك؛ المأساة والأسطورة والملاحم عند اليونان، وأخبار الأيام والأنساب والمفاخر والمآثر والمثالب والمغازي والسير عند العرب. يراجع دراسات كل من: عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ج1، ص49. وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص30. محمد بن صالح السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلام –مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري–، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429هـ، ص275–276. جعفر ابن الحاج السلمي، التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية، ص37.

[2] ـ جعفر ابن الحاج السلمي، التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية، ص38.

[3] ـ ويبدو في الغالب أن أحكام المحدثين على الأدباء ورواياتهم قد أثرت على رؤية المؤرخين والباحثين في التاريخ، إذ وقفوا إزاء هذه الروايات موقف المتوجس، بل نكاد نجزم أنه تعدى ذلك إلى الرفض المطلق، ويرجع ذلك إلى جملة من الأسباب، تعود بالأساس إلى شروط قبول الرواية عند المحدثين، وهي شروط تتعلق بالرواة (السند)، كما تتعلق بالرواية(المتن). يراجع: الحسن أبو جميل العلمي، إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتعديل، معهد الغرب الإسلامي للتكوين والبحث العلمي، القنيطرة، المغرب، 2006م، ص12–20.

[4] ـ المرجع نفسه، ص12.

[5] ـ يقول حسين مؤنس في بيان أهمية كتاب البيان والتبيين من الناحية التاريخية، "ولو أننا تناولنا كتاباً أدبياً صرفاً كالبيان والتبيين للجاحظ ودرسناه دراسة تدقيق لاستخرجنا منه من المعلومات التاريخية الصرفة...، ما يضع أبا عثمان عمرو بن بحر في صفوف المؤرخين".يراجع: حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص1–2. ولعل أهم ما يورده الجاحظ (ت255هـ)، في كتابه من الناحية التاريخية تلك الأخبار المتعلقة بالعامة والحمقى والمغفلين ونوادرهم وطرائفهم. يراجع مقدمة المحقق: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص13–14.

[6] ـ وأما عن فائدة كتاب "الأغاني"، فإنه أتى في كل فصل بأخبار "إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة إلى مثلها ومتصرفا بها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارهم المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الأحداث إلى دراستها، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها إذ كانت منتحلة من غرر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها". يراجع: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، مطبعة التقدم، مصر، ج1، ص2.

(ت356هـ/ 967م)، وكتاب "الإمتاع والمؤانسة"[1]، لأبي حيان التوحيدي (ت414هـ/ 1023م)، وغيرهم كثير.

وفي الغرب الإسلامي أشتهر، من المدونات والمجاميع الأدبية، كتاب "العقد الفريد"[2]، لابن عبد ربه (ت328هـ/ 940م)، وكتاب "طوق الحمامة"[3]، لابن حزم الأندلسي (ت456هـ/ 1064م)، وكتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"[4]، لإبن بسام الشنتريني (ت542هـ/ 1147م)، وكتاب "نفح الطيب"[5]، للمقري التلمساني (ت1041هـ/ 1632م) وغيرهم.

---

[1] _ يقول أحمد أمين في مقدمة كتاب "الإمتاع والمؤانسة"، متكلماً عن فائدة الكتاب وتنوع موضوعاته، "تنوعا ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب، إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث. حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن؛ فأدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل وشخصيات لفلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس، وغير ذلك مما يطول شرحه"، وأما فائدته من الناحية الاجتماعية، فتتمثل في كونه؛ "يصف حالة الشعب في عصره وموقفهم من الأمراء والملوك"، كما وأنه يتناول الحياة الشعبية لعامة الناس في ذلك العصر، كيف لا وصاحب الكتاب هو العالم الذي قال عنه السبكي(ت771هـ/ 1369م)، "كان إماماً في النحو واللغة والتصوف، فقيها مؤرخاً". يراجع المقدمة: أبي حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. ج1. تاج الدين أبي نصر عبد ا لوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي، طبقات الشَّافعية الكبرى، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج5، ص286.

[2] _ وقد ذكر ابن عبد ربه موضوع الكتاب، وسبب تأليفه، يقول: "وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار؛ فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة. وتدور على ألسنة الملوك والسُّوقة. وحلَّيتُ كل كتاب منها بشواهد من الشّعر، تُجانس الأخْبار في معانيها وتوافقها في مذَاهبها؛ وقرنْتُ بها غرائبَ من شعري، ليعْلَم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلَدنا على انقطاعه حظّاً من المنظوم والمنثور"، وتظهر أهمية هذا الكتابَ من الناحية التاريخيَة في كونه ينقل معلومات عن المجتمع والعَامة وأحوالهم. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص6.

[3] _ يعتبر طوق الحمامة من أنفع المؤلفات الأدبية في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لما يحتويه من ذكر للأوضاع الاجتماعية، وخاصة ما تعلق بأمور المرأة الأندلسية وأحوال الجواري وأوضاعهن، وإلى هذا يشير إحسان عباس قائلا عن الكتاب ومؤلفه الذي "علم من أسرار النساء ما لا يعلمه غيره، فهو قد ربي في حجورهن، ولم يجالس سواهن حتى أصبح في حدّ الشباب، وهن اللواتي علمنه القرآن وروينه كثيراً من الأشعار ودربنه في الخط، وكان همه منذ الطفولة أن يتعرف إلى أسبابهن ويبحث عن أخبارهن". ولعل هذا من الدوافع التي حملته على تأليف كتاب جامع لأخبارهن وقصصهن. يراجع: رسائل ابن حزم الأندلسي (384-456)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص70. الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1397هـ/ 1977م، ص250.

[4] _ علي أبو الحسن بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997م، (4 أجزاء).

[5] _ مما يزيد من أهمية كتاب المقري هو اعتنائه بجميع شؤون الحياة وتصويره لمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والأدبية وخاصة ما تعلق منها بأخبار الأندلس، يراجع:أحمد بن مُحَمَّد المقّري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص112-117.

إن ما يميز هذه المدونات أنها كتب جامعة لفنون عديدة ومعارف شتى، وهذا ما يؤكده مفيد قميحة في مقدمة كتاب "نهاية الأَرب"، إذ يقول: "فالقارئ لأي كتاب من هذه الكتب يجده موسوعة ضخمة تجمع بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والعلوم الدينية ونظم الحكم والتراجم والفنون والعلوم...، وغيرها من ضروب المعرفة التي تجعل منها دائرة معارف ثمينة"[1].

ومن الدواوين الشعرية التي تفيض بذكر الحياة الاجتماعية، وأحوال المجتمع (بالأندلس والمغرب)، نذكر على سبيل المثال: ديوان بكر بن حماد (ت296هـ/ 909م)[2]، و ديوان ابن دراج القسطلي (ت421هـ/ 1030م)[3]، وديوان ابن حريق البلنسي (ت622هـ/ 1225م)[4]، وديوان ابن سهل الأشبيلي (ت649هـ/ 1251م)[5]، وديوان ابن الجزار السرقسطي (ت480هـ/ 1087م)[6]، وديوان ابن الحاج البلفيقي (ت771هـ/ 1370م)[7].

---

[1] _ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأَرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004، ج1، ص4.

[2] _ له أثار من الشعر جمعت في كتاب سماه صاحبه بـ "الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد"، وقد تناول في شعره مدينة تيهرت بعد تخريبها عام (296هـ/ 909م)، كما أتى على وصف جو مدينة تيرهت وبردها شتاء. يراجع: مُحَمَّد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1385هـ/ 1966، ص61 و90. وللمزيد حول أهمية شعر بكر بن حماد يراجع دراسة: لخضر زينب، دور الشعر في محاكاة أحداث التاريخ من خلال الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد (ت296هـ/ 909م)، ضمن الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص88-98.

[3] _ يذكر الأستاذ محمود علي مكي أن للديوان أهمية كبيرة من الناحية التاريخية –إلى جانب أهميته الأدبية- حيث يعتبره مرآة تسجل حياة الأندلس في فترتين مهمتين من تاريخ الأندلس، الأولى هي أزهر عصور التاريخ الأندلسي في ظل دولة الحاجب المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر، والثانية هي فترة انهيار الدولة الإسلامية منذ سقوط الدولة العامرية وقيام ملوك الطوائف. يراجع: ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1381هـ/ 1961م، ص16.

[4] _ وقد حمل ديوان ابن حريق (ت622هـ/ 1225م)، وصفا متميزا للمجتمع الأندلسي حال سقوط الأندلس وما تخللها من وصف للظروف الاقتصادية والاجتماعية لتلك الفترة. يراجع: مُحَمَّد بن شريفة، ابن حريق البلنسي حياته وآثاره، د.د، ط1، 1417هـ/ 1996م.

[5] _ قال أحمد ضيف في ابن سهل أنه "مصور بارع لما يرى ويسمع"، وهو خير معبر عن الأدب الأندلسي. يراجع: ديوان إبن سهل الأندلسي، دراسة وتحقيق: يسرى عبد الغني عبد الله، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/ 2003م، ص6-8.

[6] _ أهتم الجزار السرقسطي في ديوانه بالمجتمع وهذا واضح من خلال تتبع أشعاره ولعل ذلك يرجع إلى مهنته التي كانت لصيقة بالناس وهي مهنة الجزارة. يراجع: أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله بن مطروح السرقسطي ، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، دراسة وتحقيق: منجد مصطفى بهجت، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص31-47.

[7] _ وقد تناول في شعره موضوعات شتى، لها أهمية كبيرة بالنسبة للباحث في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، إذ تناول الفكر الخرافي والنقد الاجتماعي والحكم والنصح وغيرها. يراجع: عبد الحميد عبد الله الهرامة، شعر أبي البركات ابن الحاج البلّفيقي (نحو 680هـ/ 771هـ)، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط1، 1416هـ/ 1996م، ص23.

ومن كتب الأمثال والأزجال، كتاب "لحن العوام"[1]، لأبي بكر الزبيدي (ت379هـ/ 989م)، وكتاب "فصل المقال في شرح كتب الأمثال"[2]، للبكري الأندلسي(ت487هـ/ 1094م)، وكتاب "نكتة الأمثال ونَفْثَةُ السِّحر الحلال"[3]، للكلاعي (ت634هـ/ 1237م)، وكتاب "ري الأُوام ومرعى السوام في نكت اَلخواص والعوام"[4]، لأبي يحيى الزجالي (ت694هـ)، وكتاب "حَدائقُ الأَزاهر في مستحسن الأجوبةُ والمضحكات والحكَم والأَمْثَال والحكايات والنوادر"[5]، لأبن عاصم الغرناطَي (تَ829هـ/ 1426م).

وكلها كتب حوت معلومات ومعطيات مهمة تخص الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وذهنيات المجتمع بالغرب الإسلامي، ومما يزيد أيضا من أهميتها أن بعضها ينقل عن مصادر مفقودة[6]، وبعضها الآخر يعد مدونة جامعة لأمثال الغرب الإسلامي.

فالأمثال التي جمعها الزجالي مثلا؛ قد بلغت (2167 مثلاً)[7]. ومن مميزاتها أنها أمثال عامية صدرت عن المجتمع بكل أطيافه وطبقاته، منقولة بالسماع من أفواه الناس يقول عنها الزجالي؛ "كلمات لقفتها من أفواه العوام، وثقفتها من مشاجرات الرعاع والطغام، وهي كلمات هزلية، حديثة أزلية، نطق بها الناس على تعاقب المِلَوان، ونسبوا بعضها إلى الحيوان"[8].

---

[1] _ يتضمن كتاب لحن العوام معلومات مهمة عن الحياة اليومية لعامة الناس في المجتمع الأندلسي والتطور الحاصل فيه. يراجع: مُحَمَّد بن حسن بن مذحج أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1420هـ/ 2000م، ص6-7. نسيم حسبلاوي، نظرات اجتماعية ولغوية في الأندلس من خلال لحن العوام للزبيدي، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص212.

[2] _ أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: أحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1391هـ/ 1981م.

[3] _ سليمان بن موسى أبو الربيع الكلاعي، نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1416هـ/1995م.

[4] _ وتكمن أهميته في كونه يعبر عن المجتمع بكل أطيافه وعناصره وشرائحه الاجتماعية، حيث يتناول جميع جوانبه، من عناصر السكان وشرائح وفئات المجتمع، والأطعمة والأعياد والمناسبات، بالإضافة إلى المشكلات الأسرية والزواج وأوضاع المرأة، والأنشطة الاقتصادية وتنوعها بين التجارة والفلاحة والحرف، وأدوات التسلية وكذا الأمراض والآفات المنتشرة في المجتمع، وغيرها وعليه فهو شامل لجميع مناحي الحياة. يراجع: عبيد الله أبو يحيى بن أحمد الزجالي القرطبي، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق: مُحَمَّد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس، المغرب، 1975، ج1، ص204-270.

[5] _ أبو بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عاصم الغرناطي، حدائق الأَزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، تقديم وتعليق: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014.

[6] _ أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة.. دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط2، 2018، ص18.

[7] _ يراجع مقدمة المحقق مُحَمَّد بن شريفة لكتاب: أمثال العوام، الزجالي، ج1، ص118.

[8] _ المرجع نفسه، ج1، ص121.

وهي أمثال أندلسية من حيث الشكل ومن حيث المضمون، "لأن معظمها يدور حول وقائع أندلسية ويتصل بأشخاص وأحداث وقعت بالأندلس، وهي حافلة بأسماء الأماكن الأندلسية"[1]، وهذه الأمثال في غالبها ترجع إلى القرن (2هـ/ 8م)[2].

بالرغم مما تقدمه المدونة الأدبية من معطيات مهمة للباحث في حقل التاريخ، إلا أن لها خصائص تميزها عن المدونة التاريخية على الباحث في التاريخ أن ينتبه إليها، باعتبارها نصوص لم يكن الغرض منها التأريخ، وبالتالي فكاتبها لا يراعي البعد التوثيقي للأحداث والوقائع.

وهذا مما ينبه إليه جمعة شيخة إذ يعتبر المعطيات التي تقدمها الدواوين الشعرية "سلاح ذو حدين، فهي تمكننا من الجديد الغريب عندما نستكنه أمرها، لكنها قابلة لأن توقعنا في أشد الأحكام بعداً عن الحقيقة التاريخية. فالشاعر مهما كانت موضوعيتهفي رسمه الحدث التاريخي يبقى وصفه ذاتيا بالدرجة الأولى. وتزداد خطورته إذا كان شعره شعرا رسميا متصلا بسلطة معينة لها إيديولوجيتهاوسياستها"[3].

صحيح أن للمدونة الأدبية خصائصها وللأديب منهجه، فهو يرجح المخيلة على الواقع، بحيث يضفي بعداً جمالياً على نصوصه، بغرض إعطاء شحنة أبدية للنصوص والموضوعات المتناولة، وهذا ما يجعل المؤرخ يصطدم بمشكلات منهجية تحتاج إلى النقد والتمحيص، بالاضافةإلى تنويع المناهج والأسئلة المطروحة من أجل قراءة سلمية لهذه النصوص.

ولهذا فإن على المؤرخ إذا ما أراد الاستفادة من هذه المدونة الأدبية أن يكون ملماً بطبيعة النصوص الأدبية وخصائصها، بالإضافة إلى مقارنتها مع غيرها من المدونات التراثية.

كما لا ينبغي على المؤرخ أن يحاكم هذه النصوص إلى منهج المحدثيين، ومنطقهم، بل الأرجح أن يتعامل مع هذه النصوص من منطلق قول الجاحظ (ت255هـ)، "وإنما نحكي ما كان في الناس وما يجوز أن يكون فيهم مثلُه"[4]، ولهذا فأن بعضا مما يرويه الأدباء يدخل في باب ما يمكن أن يقع من أحداث في حياة الناس وطريقة معيشتهم، ويبدو أن المؤرخ ابن خلدون قد استفاد من

---

[1] _ المرجع السابق، ج1، ص120.

[2] _ أيوب معزوز، الأمثال الشعبية ودورها في تدوين التاريخ –كتاب أمثال العوام في الأندلس لأبي يحي الزجالي (ت695هـ/ 1296م) أنموذجا–، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص80.

[3] _ جمعة شيخة، إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الشعر الأندلسي مصدراً للتاريخ؟، ضمن أعمال ندوة: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، ص190.

[4] _ عمر بن بحر الجاحظ، البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط7، 1971، ص132.

هذه القاعدة في بناء نظرته التاريخية ومنهجه في الحكم على الأحداث من خلال ضابط "الممكن والممتنع"[1].

بالرغم من هذه الصعوبات المنهجية إلا أنه يمكننا القول؛ ببعض من الارتياح أنه من الواجب على المؤرخ في العصر الحالي تغيير طريقة التعاطي مع النصوص التراثية عموما، والنصوص الأدبية على وجه الخصوص؛ من خلال مستويين:

أولا تنويع الأسئلة المطروحة؛ على المؤرخ أن يطرح أسئلة جديدة على هذه النصوص المستغلقة التي تحتاج إلى طريقة تحليل أخرى.

ثانيا: تنويع المناهج المستعملة؛ فكلما وظف المؤرخ مناهج جديدة، ومبتكرة من خارج حقله المعرفي، كلما اتضح له حجم المعلومات التي تزودنا بها هذه النصوص، طبعا مع عدم إغفال الغاية، والهدف من العملية التاريخية نفسها.

وبناء على ما سبق؛ يصعب البت في من كان المتحكم في العملية التدوينية، هل كان التاريخ خاضعاً للأدب، ومشاغله؟ أَم أن الأدب كان خادماً للتاريخ وتوجهاته؟

إلا أن ما يمكننا الجزم به هو أن "التداخل هو السمة الغالبة بين ما هو تاريخي وما هو أدبي"[2]، في المعرفة الإسلامية.

المطلب الثاني: المدونة الأدبية مصدراً من مصادر الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية

ذلك التداخل بين المدونة الأدبية والتاريخية جعل من الأولى مورداً مهماً للمؤرخين في معالجة الكثير من القضايا المتعلقة بالجوانب الإقتصادية والاجتماعية، ويبدو أن هذه الأهمية التي تحتلها المدونة الأدبية في كتابات المؤرخين تعود بالأساس إلى ظروف نشأت الكتابة التاريخية الإسلامية، التي تشكلت في ظل المدونة الأدبية الجامعة لعدة أجناس تراثية.

فما أوجه التكامل بين الأدب والتاريخ؟ وكيف يمكن للمؤرخ أن يوظف المدونة الأدبية في كتابة التاريخ الإقتصادي والاجتماعي لمجتمعات الغرب الإسلامي؟

الفرع الأول: التكامل بين الأدب والتاريخ

مما سبق تبين لنا أن التاريخ والأدب في الثقافة الإسلامية نشئا في إطار "علاقة تلازمية"[3] تكاملية، وقد "ظل هذا الترابط قائماً إلى عهد زمني غير بعيد، فما خلا كتاب تاريخ من نصوص

---

[1] ـ وجيه كوثراني، بعض إشكاليات المنهج في الكتابة التاريخية العربية القديمة والمعاصرة، ضمن كتاب: الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل.. دراسات في البحث والبحث التاريخي، تأليف: وجيه كوثراني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2000، ص58.

[2] ـ أحمد بوحسن، تاريخ الأدب، ص142.

[3] ـ المرجع نفسه، ص143.

أدبية نثرية أو شعرية، وما من كتاب أدب إلا وهو مترع بالأخبار التاريخية"[1]، وعلى هذا "فالأدب وثيق الصلة بالتاريخ، فهو مرآة العصر، وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه، وهو يفصح عن دخائل البشر، ويصور أحلامهم وأمانيهم ويرسم نواحي مختلفة من حياتهم الواقعة، من حياة الأفراد أو الجماعات، ومن حياة المدينة أو الريف، بل ومن النظم، ومن الحال الاقتصادية، ومن العلم، ومن الفن ومن الحرب والسلام، ومن كل ما يقع تحت حس الإنسان ويدخل في نطاق إدراكه أو تصوره"[2].

تعد النصوص الأدبية وثائق تاريخية؛ وذلك من حيث كونها نصوصاً، وشواهد تحمل معاني وأحداث ترتبط بالمجتمع والإنسان في حقبة زمنية معينة[3]، وليس من حيث غايتها وهدفها، فالأصل أنها كتبت لغاية وهدف غير الهدف التأريخي.

ومن مميزاتها أنها وثائق تصدر عن المجتمع وتعبير عنه، كما أنها وثائق مباشرة تصور الحدث كما هو دون وسيط سلطوي، فالغالب على الموروث الأدبي أنه يأتي ليفصح عن أحوال الناس الاقتصادية والاجتماعية، وهي "وسط تقلبات قلة الغذاء أو عدمه وغلاء الأسعار"[4]، وردود أفعالهم حولها، وما يترتب عنها من آثار على الواقع النفسي والوجداني والمعيشي للمجتمع.

ومما يزيد من أهمية النصوص الأدبية في تاريخ الغرب الإسلامي، أن الأدب أصبح الصفة الغالبة على علمائه، سواء كانوا فقهاء أم مؤرخين أم فلاسفة أم أطباء، بل ذهب مصطفى الشكعة، إلا أنه صفة للمجتمع بكل أصنافه وشرائحه[5].

وتتجلي أهميته أيضا من حيث كونه "سجل الحياة"[6] والمجتمع، فهو تعبير صادق عن أحاسيس الإنسان ومشاعرهوأحلامهوأمانيه وتقلباته ونكساتهداخل المجتمع.

إن المدونات الأدبية، والمجاميع اللغوية، والدواوين الشعرية، والأمثال الشعبية، تأتي في غالبها مشحونة بالأخبار التاريخية، مليئة بالمعلومات الاقتصادية، زاخرة بالمعطيات الاجتماعية والذهنية، ما

---

[1] _ مصطفى الشكعة، أبو مروان ابن حيان.. بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ، مجلة المناهل، المغرب، عدد29، مارس1984، ص144.

[2] _حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ص38.

[3] _ الحسين لغوالي، الشعر والتاريخ.. مقاربة منهجية، مؤسسة آفاق، مراكش، المغرب، ط1، 2020، ص140-141.

[4] _ مراد تجنانت، البحث في الأزمات الاجتماعية من خلال الموروث الأدبي.. الشعر الكلاسيكي والزجل أنموذجا، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص36.

[5] _ مليكة حميدي، مقاربة الشعر النسوي الأندلسي والنص التاريخي، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص135.

[6] _ أحمد أمين، النقد الأدبي، ص24.

يجعلها في طليعة المدونات التي ينبغي على المؤرخ أن يجعلها في صميم اهتماماته من أجل كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع الغرب الإسلامي.

أولا: المجاميع الأدبية

تعددت المجاميع الأدبية النثرية بالغرب الإسلامي، فبالرغم من كونها يغلب عليها الطابع الجمالي الحسي، إلا أنها مليئة بالروايات التاريخية، والمعطيات الاقتصادية والاجتماعية،ومما ذكره ابن عبد ربه عن سبب تأليفه لكتاب "العقد الفريد" أنه نظر "في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار؛ فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامّة والخاصّة. وتدور على ألسنة الملوك والسُّوقة. وحلَّيت كل كتاب منها بشواهد من الشّعر، تُجانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها؛ وقرنْت بها غرائب من شعري، ليعلَم الناظر في كتابنا هَذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلُدنا علَى انقطاعه حظّاً من المنظوم والمنْثور"[1]، وما يضاعف أهمية الكتاب بالنسبة للمؤرخ الاقتصادي والاجتماعي كونه ينقل معلومات عن المجتمع والعامة وأحوالهم.

ومما يزيد من أهمية هذه المجاميع الأدبية أن مصطفى الشكعة، لم يتحرج من عد مدونة "الذخيرة" لابن بسام (ت542هـ/ 1147م) في صنف التاريخ[2]، ويعلل ذلك بكمية المعلومات والمعطيات التاريخية التي يوردها ابن بسام في كتابه.

ونفس الأمر يمكن أن نحكم به على المدونة الشهير للمقري "نفح الطيب"،فما يزيد من أهميةكتابه هو اعتنائه بجميع شؤون الحياة وتصويره لمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والأدبية وخاصة ما تعلق منها بأخبار الأندلس[3].

ثانيا: الدواوين الشعرية

يذكر الباحث الحسين لغوالي: أن النص الأدبي عموماً والنص الشعري خصوصاً، يعد "وثيقة تاريخية من حيث هو نص حدث في زمن معين ويحمل قيماً مختلفة، سواء في ارتباطها بالمجتمع أو السياسة أو الثقافة"[4]. وعليه فإن الشعر ليس "مجرد خطاب أدبي يخضع لحاجات جمالية محدودة في الزمان والمكان، ولكنه يعتبر وشماً للذاكرة الفردية والجماعية، وتجسيداً لرؤيا وجدانية عميقة تحتفظ كل الاحتفاظ بمقومات وجودها، إن الشعر بهذا المعنى لا يعزل نفسه عن الواقع، سواء

[1] _ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص6.

[2] _ مصطفى الشكعة، أبو مروان ابن حيان، ص147.

[3] _ يراجع: المقّري، نفح الطيب ج1، ص112-117.

[4] _ الحسين لغوالي، الشعر والتاريخ، ص140.

في ماضيه أو في حاضره، إلا بالقدر الذي يسمح له برصده ومتابعته"[1]، بل يمكننا القول أن الشعر هو وثائق تاريخية تحمل معاني العصر ومعطياته.

ولتأكيد ذلك؛ نسوق كلاما للباحث جمعة شيخة يُذَكِّرُ فيه بالأهمية التاريخية لديوانابن الأبار، إذ يأتي في غالبه "مدعما لما جاء في المصادر التاريخية واضحًا، وحينا مدققاً لما جاء بها عامّاً، وطوراً ثالثاً مضيفاً أشياء قد لا يهتم بها المؤرخون عادةً"[2]، ويقصد بالأشياء التي يضيفها الشعر هي ما تعلق بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للمجتمع، التي لم تكن من صميم اشتغال المؤرخين في ذلك العصر.

ويذكر أيضا أن الدواوين الشعرية للغرب الإسلامي، مهيأة للقيام بالدور التأريخي لثلاثة أسباب[3]:

1- تكمن القيمة الوثائقية لهذه النصوص في كونها تأتي إما مدعمة للنصوص التاريخية، أو تأتي برواية لم ترد في النصوص التاريخية، أو برواية مخالفة للروايات التاريخية، وهذا ما يزيد من قيمتها المعرفية.

2- قدرتها على تصوير الجزئيات الدقيقة للحدث، بكل أبعاده النفسية والاجتماعية، وهي أشياء تنعدم في الغالب في النصوص التاريخية التقليدية.

3- اللغة الشعرية هي القادرة على تصوير المجتمع في حالة النكبات والظروف العصيبة التي يمر بها، بدرجة أقرب إلى الحقيقة من نصوص المؤرخين.

ولتأكيد ذلك فإن للأغراض الشعرية دوراً مهماً في توثيق وتصوير الأحداث التاريخية، "فالمدح والهجاء أقرب لتوثيق أحداث الزمن..، فلو نظرنا مثلا إلى غرض المدح، سنجد الشاعر يصور فيه بطولات الممدوحين من الخلفاء والقَواد في وقائعهم بدقة بالغة، يصف مشاهداته وإحساسه وحال الجيوش؛ من خوف وفرح وصبر ونضال وضعف وكر وفر، فيكون بذلك مكملاً لما ينقص التاريخ المحض من أخبار وإيضاحات. وقس على غرض المدح باقي الأغراض من هجاء ورثاء وغزل، فهي كلها وثائق تاريخية تصور المجتمع في أدق تفاصيله، فما الهجاء سوى تصوير لمثالب المجتمع وعيوبه..، وما الرثاء سوى تعبير عن موقف المجتمع من الحياة والموت والمصير، وما الغزل إلا تصوير للحالة الاجتماعية والخلقية والاقتصادية والثقافية"[4].

---

[1] _ سليمان القرشي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي، منشورات التوحيدي، الرباط، المغرب، ط1، 2015، ص3.

[2] _ جمعة شيخة، القيمة الوثائقية لديوان ابن الأبار، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد2، جوان1989، ص39.

[3] _ جمعة شيخة، إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الشعر الأندلسي مصدرا للتأريخ؟، ص176.

[4] _ الحسين لغوالي، الشعر والتاريخ، ص145-146.

بالمثل يعد الشعر البطولي من أحسن الأمثلة التي تخلد الحدث التاريخي، إذ يخلد أحداث القادة والسلاطين والحكام[1]، فالدواوين الشعرية طافحة بهذا النوع من الشعر في تخليد أخبار السلاطين وانتصاراتهم.

وكذا غرض الرثاء والشكوى الذي يعبر عن المصير وتقلبات الأحوال والدول، والتغير من حال إلى حال[2]، وحال المجتمع بعد الأزمات والشدائد والحروب والمعارك، وقد عدّ هذا الغرض من الشعر "وعاء هاماً لتأملات أصحابها، ومرآة موضوعية وتمثلاً دقيقاً لذهنية المجتمع ووجدانه، وتعبيراً عن مواقفهم من استفحال الحروب ونكباتها"[3] ، وتمثلاً صادقاً عن حال المجتمع الاقتصادية والاجتماعية زمن الشدائد والمصائب.

ومن أغراض الشعر أيضا الغزل، وأغلبه يميل إلى الخلاعة والمجون، لما يتميز به من كسر الطبوهات ووصف المرأة والتغزل بها، وقد حمل هذا الغرض من الشعر بين طياته أوصافا للمجتمع وحالاته وتقلباته، وذكراً لمكانة المرأة ومرتبتها الاجتماعية ودورها في المجتمع[4].

وقد تساوى في قول شعر الغزل والمجون والبوح بالحب والغرام الرجال والنساء[5]، بل نقف على ما هو أكثر من ذلك؛ حيث ذهب بعضهم إلى التغزل بالذكر والغلام الذي يهواه[6]، في قصائد

---

[1] _ يراجع: امتنان عثمان الصمادي وآمنة سليمان البدوي، صورة يوسف بن تاشفين (ت500هـ/ 1106م) في ضوء الروايات التاريخية والأدبية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مجلد06، عدد02، السنة2012، ص1-31.

[2] _ وخير مثال على ذلك أبيات الشاعرة بثينة بنت المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، وهي تخلد لنا واحدة من تقلبات الدول والأحوال، وحال أسرتها وملك أبيها بعد سقوطه على يد المرابطين سنة (484هـ)، وتحول أبيها من ملك إلى أسير في منفاه بأغمات بالمغرب، أما هي فانقلبت من أميرة في قصر أبيها إلى جارية في بيت تاجر. يراجع: المقّري، نفح الطيب، ج7، ص284.

[3] _ حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني (609-869هـ/ 1212-1465م).. إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص24.

[4] _ سواء كانت المرأة من أهل الحواضر أم من أهل البادية فإن الشعر جاء على ذكرها ووصفها. فوزية عبد الله مُحَمَّد العقيلي، الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي، أطروحة دكتوراه، فرع الآداب، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ/ 2010م، ص10_43.

[5] _ بلال عمرون، صورة المرأة الأندلسية بين المصادر الأدبية والروايات التاريخية –ولادة بنت المستكفي أنموذجا–، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص156-157.

[6] _ وهذا مما هو مشهور ومنتشر في الأندلس والمغرب على حد السواء، إلا أنه في الأندلسيين أظهر، حتى إن ابن دقيق العيد قال لأبي حيان النحوي: "أنتم أهل الأندلس فيكم خصلتان: محبتكم الشباب وشربكم الخمر". يراجع: الزجالي، أمثال العوام، ج1، ص257. الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ج1، ص260. سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي.. رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1998، ص155-163.

وأبيات حفظتها لنا الدواوين الشعرية[1]. ويعد انتشار هذا النوع من الشعر إلى جانب غرض الزهد، دليل على حالة المجتمع وأنه خليط بين الصلاح والتقوى، والخلاعة والمجون.

والشعر عموماً "ذاكرةٌ حاملة لتاريخ الشعوب وأيامها وأخبارها وملاحمها وغزواتها"[2]، بل هو عند العرب والمسلمين أكثر من ذلك؛ إذ يحمل روحهم ومشاعرهم وعواطفهم ودقائق لغتهم، ومن ثم استحق أن يسمى علم العرب[3]، وليس أدل على قيمته من قول عبد الله بن عباس ﷺ، "إذا خفي عليكم شيء من القرآن، فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب"[4].

بل ذهب "غرسية موريس إلى القول بأن بضعة أبيات من الشعر ربما كانت أدل على روح قوم من صفحات طويلة من التاريخ"[5]، ولعل ما حمله على هذا القول، هو تلك القدرة التعبيرية التي يحملها الشاعر في داخله، ما يخول له وصف وتصوير المجتمع بأدق تفاصيله وجزئياته.

لذلك فإن تصنيف هذه المعطيات التاريخية وبالأخص المعلومات المتعلقة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية الواردة في الدواوين الشعرية، واستخراج ما فيها من دلالات وإيحاءات، كفيل بوضع صورة واضحة عن مجتمع الغرب الإسلامي في أغلب فتراته ومراحله التاريخية.

ثالثا:الأمثال الشعبية

إلى جانب المجاميع الأدبية والدواوين الشعرية، تأتي الأمثال الشعبية لتلعب دوراً مهماً في الكتابة التاريخية، لاسيما ما تعلق بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، ومما يزيد من أهمية الأمثال الشعبية أنها "تصدر عن عامة الناس وتعبر عن حالتهم الاجتماعية وأنشطتهم اليومية"[6]، فهي سجل يومي لحياة الناس ومعيشتهم.

بل يعتبرها مُحَمَّد بن شريفة "اقرب إلى الصدق وأدنى إلى الأصالة من غيرها في تمثيل روح المجتمع وتصوير طبيعته العامة لأنها نابعة من الشعب ومعبرة عن آرائه وتجاربه واتجاهاته"[7]، بكل

---

[1] _ ومن أمثلة التغزل بالذكر ما قاله أبو بكر بـ ن عمار مخاطباً أبا الوليد ابن زيدون في قصيدته. يراجع: بن بسام، الذخيرة، القسم الأول، المجلد الأول، ص426.

[2] _ مولود عشاق، تاريخ المغرب وإشكالية المصادر، مطابع الرباط نت، المغرب، [2016]، ص63.

[3] _ أحمد شوقي، من المصادر الأدبية واللغوية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ/ 1990م، ص12.

[4] _ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م، ج16، ص382.

[5] _ زينب بوصبيعة، صور من المجتمع الأندلسي رصدتها عيون الشعراء، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، المجلد27، العدد03، السنة2013، ص341.

[6] _ أيوب معزوز، الأمثال الشعبية ودورها في تدوين التاريخ –كتاب أمثال العوام في الأندلس لأبي يحي الزجالي (ت695هـ/ 1296م) أنموذجا–، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن، ص71.

[7] _ الزجالي، أمثال العوام، ج1 ص204.

أطيافه وعناصره وشرائحه الاجتماعية، إذ تتناول جميع جوانب المجتمع، من الأطعمة إلى الأعياد والمناسبات، بالإضافة إلى المشكلات الأسرية والزواج، وأوضاع المرأة، والأنشطة الاقتصادية وتنوعها بين التجارة والفلاحة والحرف[1]، وعليه يمكننا القول أنها تحتوي على معلومات ومعطيات تخص بنيات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والذهنية.

ومما يزيد من أهميتها "كونها تضعنا أمام مجتمع يؤرخ لنفسه دون وسائط"[2]، إديولوجية أو سلطوية تقيده وتراقب ما يكتبه ويدونه، مما يجعلها مرآة عاكسة للمجتمع، بكل سلوكياتهوتمثلاته، ويجعلها أيضا ذاكرة حافظة لهويته[3].

وهذا ما يؤكده سعيد بنحمادة، من أن لكتب الأمثال الشعبية القدرة على توفير المعطيات لكتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي[4]، لما تحتويه من معلومات قل أن نجدها في غيرها من المصادر والمدونات.

وهذا ما ينبه إليه باحث أخر تعليقاً على كتاب "حدائق الأَزاهِر" لأبي عاصم الغرناطي، إذ يعتبره "خلاصة الثقافة العربية في الأندلس"[5]، في بعدها العامي الشعبي، ما يوضح أن الأمثال الشعبية تحتوي على معطيات عن المجتمع قل أن نجدها في غيرها من المصادر والمدونات.

ولذلك يمكننا القول أن قيمة المجاميع الأدبية تكمن في إمداد الباحثين بمعطيات قل أن نجدها في المدونات التاريخية، نظراً لطبيعتها التجميعية[6]، فقد جاءت هذه المدونة جامعة لكل الأخبار والنوادر والأشعار والأمثال.

بينما تبرز قيمة الدواوين الشعرية، بالنسبة للمؤرخ في العصر الحالي في قدرتها على تصوير الوقائع وفق مقاربات مختلفة، فإلى جانب قيمتها الوثائقية تبرز قيمتها الحسية والجمالية في التعبير عن الحدث.

---

[1] _ المرجع السابق، ص204-270.

[2] _ محمد بنحمادة، صورة المرأة في أمثال العوام بالأندلس، ضمن كتاب: سؤال المعنى في الخطاب التاريخي -مقاربة لقضايا من المغرب والأندلس-، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2019، ص146.

[3] _ المرجع نفسه، ص146.

[4] _ سعيد بنحمادة، الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية، مجلة كان التاريخية، العدد22، ديسمبر2013، ص116.

[5] _ ابن عاصم، حدائق الأَزاهر، ص7.

[6] _ على عكس المدونة الأدبية الجامعة فإن الكتابات التاريخية الإسلامية اتخذت في غالبها بعداً تخصصياً، اهتم بالحدث العسكري والسلطاني والسياسي على العموم، ولهذا التخصص أسبابه وسياقه التاريخي والمعرفي، وسيأتي الحديث عن هذه النقطة بشيء من التفصيل في الفصل الرابع من الأطروحة.

في حين تظهر قيمة الأمثال الشعبية في صدورها عن المجتمع بكل أطيافه وشرائحه ومكوناته، فهي تعبير صادق عن أوضاعه وظروفه، وعليه فهي نابعة منهومعبرة عنه، متأثرة به ومأثرة فيه، ويمكننا القول أنها حفظت لنا معلومات قل أن نجدها في غيرها من المدونات والمصادر التراثية الأخرى.

بناء على ما سبق؛ يمكننا القول أن للأدباء طريقتهم في التعبير عن الواقعة التاريخية من خلال ما يخلفونه من مجاميع أدبية ودواوين شعرية وأمثلة شعبية، تعبر عن واقعهم الذي يعاصرونه، ما يمكن المؤرخ من بناء تصور واضحومتكامل عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الغرب الإسلامي[1].

الفرع الثاني: حضور المدونة الأدبية في دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المعاصرة

وقفنا على العديد من الدراسات التاريخية العربية المعاصرة، التي اتخذت من المدونة الأدبية نموذجا لدراسة جوانب وموضوعات في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، من مثل:
النشاط الزراعي[2]، الفلاحة والفلاحون[3]، الحياة اليومية للمجتمع الأندلسي[4]، العلاقة بين المسلمين والنصارى[5]، وظروف التعايش بينهم[6]. صورة المرأة[7] في مجتمع الغرب الإسلامي،الحياة والموت[8]،

---

[1] ـ طبعا لا ندعي أن المدونة الأدبية وحدها قادرة على دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الغرب الإسلامي، بقدر ما نؤكد على أهميتها كمدونة أساسية لما توفره من معطيات، تساعد في تكامل الرؤية إذا ما تكاملت مع غيرها من المصادر التراثية الأخرى.

[2] ـ يراجع: أنور محمود زناتي، أمثال العوام مصدراً للنشاط الزراعي في الأندلس –الزجالي وابن عاصم نموذجا–، مجلة المؤرخ العربي، بغداد،السنة2017، ص337-384.

[3] ـ لمزيد من التفصيل يراجع: سعيد بنحمادة، الفلاحون والفلاحة، ص116-122.

[4] ـ يراجع: نسيم حسبلاوي، نظرات اجتماعية ولغوية في الأندلس من خلال لحن العوام للزبيدي،ص212-228.

[5] ـ يراجع: جمعة شيخة، في التسامح بين المسلمين والنصارى من خلال الشعر الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 14، السنة 1995، ص5-10.

[6] ـ يراجع: عبد العزيز شهير، التعايش بين الأديان في الأندلس من خلال نصوص شعرية أندلسية، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 14، السنة 1995، ص29-46.

[7] ـ يراجع دراسة: رحمى عمران ومحمد أبو ذر خليل، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد18، السنة2011، ص179-198. سليمان القرشي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي، منشورات التوحيدي، الرباط، المغرب، ط1، 2015. محمد بنحمادة، صورة المرأة في أمثال العوام بالأندلس، ص145-183.

[8] ـ يراجع: محمد درابسة، ثنائية الحياة والموت في قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 26، جويلية 2001، ص57-68.

طقوس الجنائز[1]، النكبات[2]، الفتن والحروب[3]، الأزمات الاجتماعية[4].

على قلة هذه القضايا والموضوعات المدروسة من خلال المدونة الأدبية[5]، فإن هذه المدونة توفر لنا معلومات مهمة تخص قضايا اقتصادية واجتماعية بحاجة للمزيد من الدراسة والبحث؛ من مثل:

العادات والتقاليد، كمظاهر الأعياد والاحتفالات وأنواع المواسم وعادات الزواج[6]، ومظاهر الحياة الأسرية[7]، وأنواع الزينة واللباسوعادات الطعام وطقوس الجنائز وطرق الدفن..، وغيرها من مظاهر الحياة اليومية لمجتمع الغرب الإسلامي.

إلى جانب الظواهر الاجتماعية؛ كالفقر والتسول[8]، والجوع وقلة الطعام[9]، والآفات الاجتماعية؛

---

[1] _ عصمت دندش بنشريفة، من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس.. طقوس الجنائز، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 13، السنة 1995 ، ص20-36.

[2] _ جمعة شيخة، صدى سقوط غرناطة في الشّعر الأندلسي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 07، السنة 1992، ص13-26.

[3] _ مُحَمَّد الطالبي، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي من سقوط الخلافة (ق11/5) إلى سقوط غرناطة (ق15/9)، مجلة دراسات أندلسية، عدد 12، السنة 1994، ص76-77.

[4] _ مراد تجنانت، البحث في الأزمات الاجتماعية من خلال الموروث الأدبي، ص35-46.

[5] _ ومن بين الملاحظات التي اتضحت لنا أن أغلب الباحثين أنصب تركيزهم على دراسة المجتمع الأندلسي دون غيره من مناطق الغرب الإسلامي.

[6] _ زينب بوصبيعة، صور من المجتمع الأندلسي رصدتها عيون الشعراء،ص341-350.

[7] _ هناك الكصير من المعطيات التي توفرها مدونات الأدب تخص الحياة الأسرية وتربية الأطفال وتدبير البيت وغيرها. يراجع: المرجع السابق، ص 351-359.

[8] _ وردت أمثال عديدة عند الزجالي تفيد بعجز الناس عن شراء اللحم والخضر وغيرها من أقوات معيشتهم. يراجع: الزجالي، أمثال العوام، ج1، ص237؛ 262؛

[9] _ وردت أمثلة عديدة تفيد بعجز الناس عن تدبير أقواتهم بسبب الفقر والمحن التي توالت على الأندلس حال سقوطها، ومن ذلك قول الشاعر أبو عبد الله بن عياش (ت618هـ)، واصفا المحن التي مرت بها مدينة بلنسية.

بلنسيَّةٌ بيني عنِ القَلْبِ سلوةً.. فإنك روضٌ لا أَحنُّ لزهرك

وكيف يُحبُّ المرءِ داراً تقسَّمتْ.. على صارمي جَوعٍ وفتنةَ مُشْرك

فرد عليه الشاعر أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حريَق البَلَنسي (ت622هـ)، بقوله.

بلنسية نهاية كل حسنٍ.. حديثٌ صحَّ في شرقٍ وغرب

فإنْ قالوا محلُّ غلاء سعرٍ.. ومسقطُ دِيمَتي طَعنٍ وضَرْبِ

فقُلْ هي جنَّةٌ حفَّتْ رباها.. بمكْروهَينِ من جوعٍ وحرب.

يراجع: مراد تجنانت، البحث في الأزمات الاجتماعية، ص44.

ومن ذلك أيضا قوله في الشكوى وضيق الحال وكساد التجارة والأسواق، حتى تنكر الصديق لصديقه.

كإنتشـــــــار العبيـــــــد والجـــــــواري[1]، ومجـــــــالس اللهـــــــو والغنـــــــاء والـرقص[2]، وشـرب الخمـر[3]، وكثـرة الملاهـي وبيـوت الـدعارة والخلاعـة[4]، وانتشـار العـاهرات والمخنثـين[5]، وشيوع ظاهرة التغزل بالغلمان[6].

بالإضـافة لمـا تقدمـه هـذه المدونـة مـن معلومـات تخـص قضـايا اقتصـادية، كـأنواع النشـاطات الاقتصادية؛ كالفلاحة والتجارة والصناعة، والحرف والمهن المنتشرة [7].

ومـن خـلال مـا سـبق يمكننـا القـول بنـوع مـن الارتيـاح أن مدونـة الأدب والأمثـال تلعـب دوراً مهمـاً في تكامـل البنـاء التـاريخي لمجتمـع الغـرب الإسـلامي، وخاصـة مـا تعلـق بالجوانـب الاقتصـادية والاجتماعيـة، لمـا تتميـز بـه مـن تسـجيل دقيقـة لحيـاة النـاس وطرائـق عيشـهم، وخـير دليـل علـى ذلـك

رعاك الله هذا وقت ضيق.. وقد ذهل الصديق عن الصديق
وأسواق المتاجر كاسداتٌ.. فليت كذالك أسواق الدقيق
وإنَّك أكثر المثرين يَوما.. إذا أحرزت شكر بني حريق.
يراجـع: صـفوان بـن إدريـس أبـو بحـر التجيبي المرسـي، زاد المسـافر وغـرة محيـا الأدب السـافر، نشـر وتعليـق: عبـد القـادر محـداد، بـيروت، 1939، ص23. مُحَمَّد بن شريفة، ابن حريق البلنسي حياته وآثاره، د.د، ط1، 1417هـ/ 1996م، ص29.

[1] ـ اعتمـد بنمليح في دراسـته عـن الـرق علـى الكثـير مـن المـدونات الأدبيـة، واصـفا أيهـا أنهـا انفـردت بمميـزات لا تتـوفر لمصـادر أخـرى. يراجـع: عبـد الإلـه بنمليـح، الـرق، ص50-51. ابتسـام الزاهـر، الإمـاء في الغـرب الإسـلامي، مقـاربات للنشـر، فـاس، المملكـة المغربيـة، [2019]، ص22-23. سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، ص104-110.

[2] ـ سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي، ص146.

[3] ـ ويـدل علـى ذلـك مـا قالـه ابـن دقيـق العيـد، لأبي حيـان النحـوي في وصـف الأندلسـيين: "أنـتم يا أهـل الأنـدلس فـيكم خصـلتان: محبتكم الشباب وشربكم الخمر". يراجع: الزجالي، أمثال العوام، ج1، ص257.

[4] ـ وهـذا ممـا جـاء في وصـف مدينـة قرطبـة وإشـبيلية وأبـدة وبرشـانة. يراجـع: سـامية مصـطفى مسـعد، صـور مـن المجتمـع الأندلسـي، ص161.

[5] ـ ومن ذلك ما قاله الشاعر اليكي يهجو فقيها من قرطبة.
قالوا هجاك ابن ميمون فقلت لهم.. ياليت شعري من الهاجي فأدريه؟
قالوا الفقيه الذي من أرض قرطبة.. قلت: القَطيم فقالوا كُلُّهم إيه.
يراجـع: صـفوان بـن ادريـس ابـو بحـر التجيبي المرسـي، زادَ المسـافر وغـرة محيـا الأدب السـافر، نشـر وتعليـق: عبـد القـادر محـداد، بـيروت، 1939، ص7. ونقلـت كـذلك أخبـار عـن قطمـاء الأنـدلس، وفي ذلـك يقـول الحضـرمي: "وليس بالأنـدلس بلـد قـد شـهر بكثـرة القطمـاء مثل قرطبة، وخاصة من درب ابن زيدون فيقولون في التعريض: هو من درب ابن زيدون". يراجع: الزجالي، ج1، ص256-257.

[6] ـ والأمثلة من كتب الأدب كثيرة في هذا الباب، ومن ذلك أبيات وصف بها ابن خروف غلاماً جميل الصورة راقصاً.
ومنزع الحركات يلعب بالنهى.. لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأوداً كالغُصْنِ وسط رياضه.. متلاعباً كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلاً أو مدبراً.. كالدهر يلعب كيف شاءَ بناسه
ويضمُّ للقدمين منه رأسه.. كالسيف ضمَّ ذُبابه لرئاسه.
يراجع: المقري، نفح الطيب، ج3، ص204.

[7] ـ الزجالي، أمثال العوام، ج1، ص247-248.

تلك الدراسات التي استندت إلى المدونة الأدبية في معالجة مواضيع في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، فقد أبانت هذه المدونة عن قدرتها على توفير المعطيات لمعالجة مثل هذه الموضوعات والإشكالات.

ومن المصادر الأدبية التي تحتاج إلى مزيد من التنويه، نظراً لأهميتها المعرفية، طبقات الأدباء والشعراء، كتب النوادر، فن المقامات، أدب الرسائل، الشعر الشعبي، الموشحات.. الخ.

نتائج الفصل:

يتبين لنا في نهاية هذا الفصل أن مدونتي الجغرافية والأدب تلعبان دوراً مهماً في الكتابة التاريخية، لما توفرانه من معلومات دقيقة عن حياة الناس العاديين، واتضح لنا من خلال تتبعنا للدراسات التي أهتمت بدلراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية من خلال مدونتي الجغرافيا والأدب، أن هاتين المدونتين ركيزتين أساسيتين في دراسة وتتبع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، و الواقع المعيش لمجتمعات الغرب الإسلامي.

غير أن هاتين المدونتين تطرحان إشكالات معرفية ومنهجية عديدة، تحتاج إلى مزيد من التنظير المعرفي والمنهجي والممارسة التطبيقية.

ويقترح شوقي ضيف مصادر أخرى إلى جانب المصادر الأدبية، والتاريخية، لها فائدة مهمة في كتابة التاريخ الاقتصادي، والاجتماعي للمجتمعات الإسلامية، بل يؤكد أن فائدتها تفوق فائدة المصادر الأدبية، والتاريخية "وقد يكون خيراً منها كتب الخراج وكتب الفقه وكتب الحسبة والأسواق، ففي هذه الكتب معارف كثيرة عن حياة الناس ومدخولهم وثرواتهم والمستوى الذي كانوا يعيشونه"[1].

وهذا ما سنستعرضه في الفصل الثالث من هذه الدراسة، إلى جانب مدونة لا تقل أهمية، عن المدونة الفقهية في التراث الإسلامي، ألا وهي: مدونة التصوف، والمناقب.

[1]_ شوقي ضيف، البحث الأدبي –طبيعته مناهجه أصوله مصادره–، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، [1992]، ص105.

الفصل الثالث:

المعطيات الحضارية في المدونة النوازلية والمناقبية

المبحث الأول: المعطيات الحضارية في المدونة النوازلية

المطلب الأول: كتب النوازل بين الفقه والتاريخ

المطلب الثاني: إسهام كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

المبحث الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة المناقبية

المطلب الأول: كتب المناقب بين الأدب والتاريخ والأجناس الأخرى

المطلب الثاني: كتب المناقب مصدرا من مصادر المعطيات الاقتصادية والاجتماعية

لا نبتغي في هذا الفصل جرد أو رصد المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في كل من مدونتي النوزال والمناقب خلال الفترة المدروسة، فهذا ما لا ينصب ضمن اهتمامات الدراسة وحدودإشكاليتها، إنما نحن بصدد التعريج على الدراسات، التي استفادت من هذه المصادر الزاخرة لاستقاء معطيات حضارية من أجل بناء، وكتابة تاريخ متكامل يتوافق مع المفهوم المعاصر للتاريخ وحركته والفاعلين في صناعته.

وذلك من أجل معرفة مدى حضور المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في ثنايا هذه المدونات، إذانا للرد على دعوى تغييب وتهميش هذه المعطيات في ثنايا المدونة التراثية.

وللوصول إلى ذلك وجب طرح الأسئلة الآتية:

- إلى أي مدى استفادت الدراسات التاريخية العربية المعاصرة من مدونتي النوزال والمناقب؟
- كيف ذُللت العوائق والصعوبات التي تميز هذه النصوص الغير تاريخية؟
- وهل يمكن لهاتين المدونتين أن تجبر النقص الحاصل في المدونة التاريخية؟
- هل هي قادرة على رصد التطورات التي مر بها مجتمع الغرب الإسلامي في العصر الوسيط؟
- وكيف وظفتها الدراسات التاريخية في إعادة كتابة تاريخ كل الناس؟

المبحث الأول: المعطيات الحضارية في المدونة النوازلية

سنقتصر في هذا المبحث على استعراض مدونة النوازل لما يميزها عن باقي الأجناس الفقهية، والتي تعد قيمتها قليلة بالنسبة للمؤرخ، نظرا لطابعها التجريدي الذي يهتم بأصول المسائل دون إعمال النظر في الواقع، على غرار ما تحفل به كتب النوازل من قضايا واقعية، يستطيع من خلالها الباحث في التاريخ استجلاء حركية المجتمع في بعديه الاقتصادي والاجتماعي.

فهل يستطيع الباحث تجاوز البعد الفقهي لهذه المدونة؟ وما المميزات التي تقدمها هذه المدونة التراثية؟ وهل الانفتاح على هذه المدونة قد يسفر عن مشاكل منهجية ومعرفية؟ إذا ما تم تجاوزها هل من إضافات تقدمها مدونة النوازل للباحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؟

المطلب الأول: كتب النوازل بين الفقه والتاريخ

لم يكن التفكير في كتب النوازل وارداً في الدراسات التاريخية العربية، قبل الموجة التي أحدثتها الكتابة التاريخية العالمية، "فبينما كانت طموحات المؤرخين القدامى لا تتعدى محاولة تحديد تسلسل منطقي للأحداث في فترة معينة ومكان محدد، أصبح على المؤرخ اليوم إذا أراد تلبية حاجيات البحث العلمي للتاريخ، والمشاركة في معالجة الإشكاليات الجديدة أن يبحث ويتطلع إلى اكتشاف مصادر ووثائق جديدة ويستوعب المناهج الحديثة"[1].

[1]- محمد مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، عدد خاص، سنة1406هـ/1985م، ص97.

الفرع الأول: تطور علم النوازل بالغرب الإسلامي

ننوه إلى أن كتب النوازل لا تنتمي من حيث تصنيف العلوم إلى حقل التاريخ، بل هي كتب فقهية بالدرجة الأولى لم يكن الغرض منها التأريخ، وإنما غايتها دينية بالأساس، فهي تختلف من جهة مقصدها وغايتها، فمهمتها إبراز حكم الشرع فيما يستجد من حوادث[1] واقعية وليست افتراضية، "وعادة ما تصنف من حيث بنيتها إلى قسم خاص بالعبادات وآخر خاص بالمعاملات"[2]، وقد تعددت أسماء هذه المدونة الفقهية، فبعضهم يطلق على مصنفه اسم الأجوبة، وبعضهم يسميها بكتب المسائل، وأطلق عليها آخرون اسم الفتاوي، بينما ذكر بعضهم اسم النوازل ، وهذان الاسمان الأخيران هما الأكثر شيوعا واستعمالاً، وهي كلها أسماء لمسمى واحد بحيث تتفق في المضمون والخصائص، وأطلق عليها أيضا اسم الأحكام. غير أن هذا الاصطلاح الأخير ليس محل اتفاق بين الباحثين[3].

غير أن هذا النوع من المصادر بالغرب الإسلامي اشتهر في الغالب بمسمى النوازل، إذ كثر التأليف في هذا الباب حتى غدا فنّا مستقلا عن الفقه، وقد مر التأليف في باب النوازل بجملة من المراحل قسمها مُحَمَّد الحجوي إلى ثلاثة مراحل[4]:

المرحلة الأولى: تمتد عبر القرنين الثاني والثالث الهجريين، وتعتبر أزهى عصور الفقه الإسلامي من حيث التطور والتفكير والإبداع.

المرحلة الثانية: وتمتد من القرن الرابع إلى السابع الهجريين، وقد توقف تطور الفقه الإسلامي بسبب الانكماش، والجمود الذي أصاب المذاهب، وانتهت فصوله بإغلاق باب الاجتهاد، مع ذلك عرف فقه النوازل حركة تدوين واسعة جدا، وفيها أصبحت النوازل فرعا مستقلا من فروع الفقه.

المرحلة الثالثة: ابتداء من القرن الثامن إلى زمننا الحاضر

ويعتبر ازدهار حركة التدوين في هذا العلم عند المالكية وبالتحديد في الغرب الإسلامي، مرده في الحقيقة إلى أمور: أولها أصول المذهب المالكي، كأصل المصلحة المرسلة وسد الذرائع، وهما أصلان لصيقان بواقع الناس

---

[1]- أحمد السعدي، تداخل التاريخ بالفقه نموذج النوازل الفقهية، مجلة التسامح، مسقط، العدد28، السنة2009، ص308

[2]_ مُحَمَّد استيتو، النوازل الفقهية وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية، مجلة كلية الآداب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الأول، وجدة، العدد5، السنة1995، ص 130.

[3]-كتب الأحكام تختلف في الغالب عن كتب النوازل من حيث كونها كتب فقه، مرتبة وفق أبوابا فقهية، بينما تحيل كتب النوازل على سؤال وجواب، غير أن هذا القول لا ينطبق على كل كتب الأحكام فبعضها لم يخلو من إجابات عن حوادث حقيقية خصت زمن الكاتب مثل منتخب الأحكام لابن أبي زمنين (ت399هـ)، أو فصول الأحكام لأبي الوليد الباجي (ت474هـ). يراجع: نسيم حسبلاوي، التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي من البداية إلى عصر الونشريسي (914هـ)، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد12، السنة2012، ص225-227.

[4]- يراجع، عمر بلبشير، حجة المغاربة أبو العباس الونشريسي ومعلمته النوازلية المعيار -دراسة في منهجه وموارده وأهميته-، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، الجزائر، ط1، 2017، ص111-112.

ومتغيراته[1]، بالإضافة إلى ارتكازهم في الفتوى على عرف الناس وعاداتهم، وهي الصفة المميزة لنوازلهم، لهذا ظلت نوازلهم مرتبطة بواقع الناس ولصيقة به، لا تنفك عن معالجة هموم المجتمع وقضاياه.

أولا: المستشرقون والاهتمام بكتب النوازل

تجدر الإشارة إلى أنّ الاهتمام بكتب النوازل والتنبيه إليها، يعود بالدرجة الأولى إلى ثلة من الباحثين الأجانب على اختلاف دوافعهم ومبرراتهم في دراستهم لتاريخ المسلمين، يذكر الأستاذ مُحَمَّد مزين: "أن أول من اهتم بكتب النوازل كمصادر للتاريخ هم المستشرقون، فقد قال ليفي بروفنصال(Levi Provencal)، في كتابه تاريخ إسبانية الإسلامية بأن الجرد المنهجي لهذه الكتب سيساعد كثيرا على فهم تاريخ المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ"[2]، وينبه الباحث أحمد اليوسفي أن بروفنصال استخدم كتاب الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الجياني (ت486هـ/1093م)، حيث وقف فيه على فوائد جمة مكنته من تسليط الضوء على بعض جوانب المجتمع الأندلسي، وأحواله[3].

"ففي عامي 1908 و1909 صدرت بباريس في مجموعة الأرشيف المغربي دراستان لإميل عمار [E. Amer]، تناول فيهما بالتحليل مختارات من فتاوي المعيار للونشريسي"[4]، هذا ما جعله ينوه بأهمية هذه المدونة في الكتابة التاريخية، غير أن فترة الثلاثينات حملت اسمين بارزين وهما كل من الإسبانيين لوبيث أورت (Lopezortiz)، وسلفادور فيلا (Salvador vila)، الذين قاما بلفت الانتباه إلى المعلومات القيمة التي تكتنزها كتب النوازل والفتاوي[5].

وكذا المستشرق روبير برينشفيك (R. Brunschvig)، في مقال له بعنوان العمران، والقانون الإسلامي في العصر الوسيط، نشرها في مجلة الدراسات الإسلامية عام 1947م، استعمل النوازل كمادة تاريخية أساسية في بحثه، وكذلك فعل في المقالة التي نشرها عام 1957م، حول الفقه الفاطمي وتاريخ إفريقية، إلا أن دراسته المشهورة حول تونس على العهد الحفصي (la beberiecrientale sous les hafsides)، والتي اعتمد فيها بالأساس على كتب النوازل الفقهية، حيث استغل عددا كبيرا من هذه الكتب وبالخصوص نوازل البرزلي، واللخمي والمازريوالونشريسي وغيرهم[6]. وقد اتسمت أعماله "بالدقة والتحقيق

---

[1]- عمر بلبشير، النوازل الفقهية وإمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل الجزائريين، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، ط1، 2017، ص28.

[2]- مُحَمَّد مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية، ص103.

[3]- أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوي الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجا، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، 1996م، ص384.

[4]- بخصوص الدراستين يراجع: مُحَمَّد مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية، ص103.

[5]- أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية، ص383.

[6]- مُحَمَّد مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية، ص103-104.

وتقصي الشواهد التاريخية بالتنقيب عنها في أمهات كتب الفقه، وبعثها كمادة إنسانية تهم المؤرخ من جانبها التطبيقي الذي يحاول الولوج إلى أعماق الواقع المعاش"[1].

ومن جهته نبه المستشرق الألماني شاخت(J. Schacht)، في دراسته عن تاريخ التشريع الإسلامي، على أهمية النوازل الفقهية وأنها منجم يجب على الباحثين في ميدان التاريخ؛ العودة إليه والاستفادة من مادته الخام وذلك لفهم المجتمع الإسلامي[2]،"ومع دخول الهادي روجي إدريس (Hady Roger Idris)، ميدان التاريخ المعتمد على النوازل بدراسته المشهورة عن تونس على عهد الزيريين (la beberie orientale sous les zirides). أصبح كل عمل تاريخي يتجاهل هذا النوع من المصادر عملا غير تام، خاصة مع انتشار الدراسات التاريخية الاجتماعية والاقتصادية، ونجاح مدرسة الحوليات الفرنسية فيما بين الحربين العالميتين، وبعد انتهاء الحرب"[3].

بالإضافة إلى جاك بيرك (Jacques Berque)، الذي وظف النوازل في مختلف كتاباته، إذ يعد "احدى ركائز هذا النوع من الأبحاث عند المستشرقين المهتمين بالعالم الإسلامي عامة، وبالغرب الإسلامي على الخصوص، حيث أن هذا الأخير، ومنذ حوالي (40 سنة)، قام بنشر مقتطفات من نوازل الوزاني المعيار الجديد عام (1938م)، في مواضيع تخص المزارعة واهتمامه المتزايد بهذا النوع من المصادر والدفاع عنها في ندوات ومؤتمرات علمية، وبنشره لكتابه داخل المغرب (l'intérieur du Maghreb)، قد أعطى للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي منفذاً جديداً"[4].

وفي المقابل واجه هذا الموقف الداعي إلى استعمال كتب النوازل اعتراضات وتحفظات، بل ذهب بعضهم حد التحذير من استعمال هذا النوع من المصادر في الكتابة التاريخية، باعتبارها كتب دينية لا فائدة ترتجي من ورائها، وممن ذهب إلى هذا الموقف سوفاجي حيث يصفها قائلا: "أنها أبعد المصادر التي ترتجى منها فائدة، وحذر كل التحذير من استعمالها من قبل المؤرخ في دراسته للحياة الاجتماعية"[5].

وهذا التحرز من استعمال كتب النوازل لم يستمر فسرعان ما تلاشى، خاصة مع تزايد الاهتمام بها لدى المؤرخين العرب والمغاربة والتنبيه على ضرورة استغلالها في البحوث التاريخية، حتى أصبح كل عمل يتجاهل كتب النوازل يعتبر عملا ناقصاً، خاصة مع انتشار موجة دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وبروز دراسات تهتم بالجوانب المهمشة والطبقات الاجتماعية.

---

[1]- عبد العزيز خلوف، قيمة فقه النوازل التاريخية، مجلة البحث التاريخي، العدد29-30، السنة1979، ص75.

[2]_ محمد مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر، ص104.

[3]_ المرجع نفسه، ص104.

[4]- محمد مزين، التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية، ص104-105.

[5]- سعد غراب، كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية مثال نوازل البرزلي، مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد16، السنة1978، ص 66-67.

ثانيا: الباحثون المغاربة وكتب النوازل

من أوائل الباحثين العرب الذين نبهوا إلى ضرورة استعمال كتب النوازل في الكتابة التاريخية، الأستاذ محمود علي مكي "الذي قام ببيان أهمية الكتب الفقهية بمناسبة استخراج كتاب أحكام السوق للفقيه الأندلسي الإفريقي يحيى بن عمر الكتاني"[1]، من نوازل الونشريسي (ت914هـ/ 1509م)، وكذا الأستاذ عبد الوهاب خلاف الذي استفاد بدوره من كتب النوازل، وذلك لإنجاز رسالته في الدكتوراه، وقد أعتمد فيها بشكل كبيرعلى نوازل ابن سهل[2]، للقاضي أبي الأصبغ عيس بن سهل(ت486هـ/ 1093م)، وكذلك الباحثة فائزة حمزة عباس التي اعتمدت عليه في رسالتها للماجستر، لاسيما في دراسة مسائل الأسرة الأندلسية، والخلافات الزوجية، والجواري وغيرها[3]، وكذلك من الذين استفادوا من كتب النوازل، ونبهوا إلى قيمتها التاريخية الأستاذ الطالبي حيث استخرج بعض الفوائد العسكرية من فصل الجهاد من كتاب النوادر، والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/ 996م)[4]، ثم توالت الدراسات بعد ذلك بحيث يصعب عدها، وكذا حصرها، إلا أنها تبلورت وفق اتجاهين اثنين[5]:

- **اتجاه إخباري وصفي**؛ يعتمد على النوازل بشكل إخباري وصفي، في معالجة قضايا متعددة –فكرية، اقتصادية، سياسية... الخ–، ومن أبرز ممثليه؛ مُحَمَّد حجي وإبراهيم حركات وعبد اللطيف الشاذلي، حيث تمثل أعمالهم خير دليل على هذا الاتجاه من الكتابة.

- **اتجاه بنيوي**؛ والذي مثل نقلة نوعية في طريقة استغلاله للوثيقة النوازلية كمصدر لدراسة القضايا التاريخية، ولاسيما الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ومن أبرز ممثليه؛ أحمد التوفيق ومُحَمَّد القبلي ومُحَمَّد مزين وعبد الأحد السبتي وإبراهيم القادري بوتشيش..وغيرهم.

ويرجع أحد الباحثين سبب توسيع مجال المصادر الموظفة في الإسطوغرافيا والاعتناء بكتب النوازل لاعتبارين، أولهما: الفراغ الوثائقي الذي يكتنف البحث في تاريخ الغرب الإسلامي، وثانيهما: تجاوز الطريقة الكلاسيكية في الكتابة التاريخية[6]، إلا أنه لا ينبغي التغافل عن أهمية تنويع مجال القضايا المدروسة، –لاسيما مع

---

[1]– أحمد شعيب اليوسفس، أهمية كتب الفتاوي الفقهية، ص384.

[2]– يراجع: طه عبد الواحد دنون، أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس، ضمن أعمال الندوة الدولية: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 18/16-04-1992، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، [1993]، ص122

[3]– المرجع نفسه، ص122.

[4]– سعد غراب، كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية، ص67.

[5]_ مُحَمَّد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ.. دراسة لمظاهر الحياة الإقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص 30-33.

[6]– يراجع، مُحَمَّد استيتو، النوازل الفقهية وطبيعة مصادرها، ص127.

ما أحدثه رواد التاريخ الجديد ومدرسة الحوليات الفرنسية-، وكذا تنويع الأسئلة والإشكالات المطروحة، وهو ما دفع بالباحثين في مجال التاريخ إلى التنويع في المظان المصدرية.

إلى جانب دور الدراسات الاستشراقية الرائدة في هذا الجانب، كما وتوجد أسباب ساعدت في ولوج هذا النوع من المظان إلى حقل التاريخ، نظرا للتطور الحاصل على مستوى مفهوم الوثيقة التاريخية خلافا لما كان دارجاً عند أقطاب المدرسة المنهجية في القرن التاسع عشر، والتي ساهمت فيه التحولات على مستوى الكتابة التاريخية العالمية في استغلال مصادر ليست بالضرورة تنتمي إلى حقل التاريخ، إلا أنها ساعدت في معالجة وفك شيفرات هذه المواضيع الدقيقة التي طرحت في ظل انفتاح التاريخ على علوم أخرى.

ونكاد نجزم أن السبب وراء تنويع المصادر في نظر أغلب الباحثين ينصب في خانة الاضطرار، بحيث يعتبرونها في الدرجة الثانية وقلما يرجعون لها، فيستندون إليها حال غياب المعلومات في المدونة الإخبارية، وذلك لاعتمادهم على المفهوم الجديد للوثيقة[1] غير أنهم لا يأخذون به، بل بقي المفهوم القديم للوثيقة سائداً ومتحكماً في غالبية البحوث والدراسات، حيث يعتبرون الوثيقة التاريخية من المصادر الأساسية من حيث الأهمية بالنسبة للبحوث التاريخية، بينما تأتي المصادر الدفينة كمصادر ثانوية، متناسين أن تحديد المصادر ودرجة أهميتها يخضع بالدرجة الأولى إلى الموضوع المراد دراسته، مع رجاحة القول بأن النظر إلى المصادر يتم وفق رؤية تكاملية.

وبصفة عامة يمكن القول إن الدراسات التاريخية الحديثة اعتمدت على كتب النوازل، سواء بصفة أساسية أو بصف ثانوية في استقاء مادتها العلمية، وأيضا بناء على المعطيات السابقة التي تنوه بضرورة استعمال كتب النوازل في الكتابة التاريخية.

يجدر بنا التساؤل حول جدوى وإمكانية استعمال هذه المدونة في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وبيان مدى القيمة التي تقدمها في دراسة الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط.

ولعل قبل معالجة هذين السؤالين تجدر الإشارة إلى الصعوبات التي واجهت المؤرخين في استعمال هذا النوع من المصادر، وكيف استطاع المؤرخون تدليل هذه العقبات؟من أجل استغلال سليم لها دون التعسف في استنطاقها أو السقوط في فخ التعميم على الواقع.

[1] ـ سوف يأتي الكلام عن هذه النقطة في الفصل الأخير من الرسالة.

الفرع الثاني: الصعوبات المنهجية والمعرفية التي تطرحها كتب النوازل

يتضح مما سبق أن النوازل احتلت حيزاً كبيراً في دراسات الباحثين المعاصرين في حقل التاريخ، بحيث لم يقتصر السؤال في "مدى إمكانية اعتماد وتوظيف النوازل في الكتابة التاريخية، فهذا الأمر أصبح متجاوزاً"[1]، فنقف على دراسات اشتغلت على تحقيق هذه المدونات ودراسات أخرى سعت لاستغلالها وتحليلها، وذلك من أجل إعادة بناء صورة متكاملة عن المجتمع، غير أن هذا الاستغلال المكثف لها لم يخلوا من مشاكل منهجية وأخرى معرفية، ما دعا إلى ضرورة العمل على تجاوزها.

وقد وقفت على مجموعة من الدراسات[2]؛ التي عملت على صياغة محددات منهجية وأخرى معرفية للتعامل مع كتب النوازل، بالإضافة إلى اقتراح طرق لتجاوز العقبات التي تطرحها هذه المدونة.

وقبل ذكر الضوابط والمحددات المنهجية والمعرفية لابد من بيان الصعوبات والعقبات التي تطرحها كتب النوازل، وبالرجوع إلى الدراسات التي اهتمت بكتب النوازل سواء من حيث التأريخ لها وبيان أهميتها، أو من حيث استخدامها كمادة معرفية في معالجة مواضيع مختلفة، يتضح أن العوائق والمآخذ على هذا النوع من المصادر لا تنفك عن أمرين: جانب منهجي وآخر معرفي، غير أن الفصل بين ما هو منهجي وما هو معرفي هو في حد ذاته أمر صعب من الناحية المعرفية

أولا: الجانب المنهجي

صعوبة حصر وإحصاء كتب النوازل في الغرب الإسلامي، فهي تمتد من القرن الثاني للهجرة إلى غاية القرن التاسع للهجرة، أيضا من الصعوبات التي تواجه الباحثين في التاريخ أن أغلب هذا النوع من المصادر لا يزال مخطوطا ولم يحقق، ولم ينشر منها لحد الآن إلا القليل، أما ما نشر منها فلم يستغل محتواه إلا نادراً[3]، غير أن هذا الحكم لا ينبغي الاحتكام إليه باعتباره جاء في سياق بدايات البحث التاريخي في المدرسة التاريخية العربية، إذ يمكن القول الآن وبكل أريحية أن استغلال هذا النوع من المصادر بات كثيفاً، بالإضافة أن أغلب المدونات النوازلية الجامعة، قد حققت على غرار "الأحكام الكبرى" لابن سهل(ت486هـ/ 1093م)[4]،

---

[1]- محمد استيتو، النوازل وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية، ص128.

[2]- عمر بنميرة، النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 2012، ص46-57. محمد البركة، النوازل بين الفقه والتاريخ محددات منهجية ومعالم معرفية، ضمن كتاب الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي، تنسيق: محمد البركة وسعيد بنحمادة، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، ط1، 2015، ص19-57. عمر بلبشير، حجة المغاربة أبو العباس الونشريسي ومعلمته النوازلية، ص178-185.

[3]- محمد مزين، التاريخ المغربي ومشكلة المصادر، ص101.

[4] ـ عيسى ابن سهل بن عبد الله أبو الأصبغ الأسدي الجياني، ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحكام، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007.

ومسائل ابن رشد الجّد (ت520هـ/ 1126م)[1]، ونوازل ابن الحاج التجيبي (ت529هـ/ 1135م)[2]...وغيرها.

كذلك تظهر صعوبة التعامل مع كتب النوازل من الناحية المنهجية، في التفرق والتناثر في المعطيات المبثوثة بين طيات صفحاتها العديدة، "فهي غير مفهرسة"[3]، مما يزيد من صعوبة جمع هذه المعلومات وتحليلها، ومن تم استغلالها في فهم الحياة السائدة في تلك الفترة، إضافة إلى الكيفية الخاطئة التي يتعامل بها المؤرخون مع هذه النصوص[4]، باعتبارها نصوص تختلف عن نصوص المدونة التاريخية، وبالتالي عجزهم في حالات كثيرة عن كشف مكنوناتها المعرفية وإشاراتها التاريخية.

ثانيا: الجانب المعرفي

إن الباحث في المدونة النوازلية يجد صعوبة في تطويع نصوصها، "فهي لا تخلو من سقيم العبارة"[5]، وتراكيب معقدة و"مصطلحات خاصة ودقيقة"[6]، تحيل على مجال معرفي فقهي ينصب بالأساس على بيان أحكام الشارع ومراده، بالإضافة إلى ما يوجد فيها من أسماء محرفة وأحداث مختلطة[7]، مع "رداءة الخط"[8] الذي كتبت به جراء كثرة النسخ.

بالاضافة أنه يصعب على الباحثين الفصل بين ما هو فقهي وما هو تاريخي تسري عليه عوائد الزمان، ففي خضم هذه العوائق يصعب توطين النازلة من تحديد لزمنها، ومعرفة لحالة المفتي والمستفتي، وسياقها التاريخي الذي يعين على استعمالها كوثيقة تاريخية تمكن من إماطة اللثام عن قضايا تاريخية عامة، وتزيد هذه العوائق كلما تعلق الموضوع المراد دراسته بقضايا اقتصادية واجتماعية[9]،"وبطبيعة الحال ففي خضم هذه العمليات تطمس أهم الخيوط التي تهم المؤرخ والباحث"[10]، لتوظيفها في كتابة تاريخ المجتمع بكل تجلياته في ذلك العصر.

---

[1] _ محمّد بن أحمد بن عبد الله أبو الوليد ابن رشد الجد، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق: محمّد الحبيب التجكاني، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1993، مجلد (1-2).

[2] _ محمّد أبو عبد الله بن أحمد ابن الحاج التجيبي القرطبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، دراسة وتحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، المغرب، ط1، 1439هـ/ 2018م، (ثلاثة أجزاء).

[3] _ عبد العزيز خلوف، قيمة فقه النوازل التاريخية، ص74.

[4] _ عمر بن حمادي، من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، ص68.

[5] _ عبد العزيز خلوف، قيمة فقه النوازل التاريخية، ص74.

[6] _ عمر بن حمادي، من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، ص68.

[7] _ محمّد مزين، التاريخ المغربي ومشكلة المصادر، ص101.

[8] _ إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب، ص256.

[9] - فاطمة بلهواري، النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجلة عصور، الجزائر، العدد17، السنة2017، ص83.

[10] - محمّد استيتو، النوازل وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية، ص131.

وعلى أية حال فلا يمكن حصر المؤاخذات على هذه المدونة فيما ذكر، بل أن عدداً كبيراً من كتب النوازل "هو مجرد إعادة إنتاج وتجميع وترتيب وتصنيف لفتاوي من عصور سابقة مع اختلاف في المكان والزمان"[1].

وبطبيعة الحال لم يقف المؤرخون والباحثون إزاء هذه العوائق والصعوبات التي تطرحها المدونة النوازلية مكتوفي الأيدي، ولهذا لم يتوانوا من اقتراح محددات منهجية وضوابط معرفية للتعامل مع هذا الصنف من المدونات[2]، وذلك لاستغلالها بقدر يمكّن من إعادة بناء الحوادث التاريخية الماضية، غير أن باحثاً متمرس أشار إلى ملاحظة تستدعي الانتباه، وهي قلة الدراسات المنهجية التي تخص كتب النوازل بالمقارنة مع الدراسات المعرفية[3].

الفرع الثالث: الخطوات المنهجية والمحددات المعرفية في التعامل مع مدونة النوازل

أولا: الخطوات المنهجية

- العمل على تحقيق وفهرسة النوازل المخطوطة في المكتبات والخزائن العامة والخاصة، من أجل تكثيف استغلالها والمقارنة بينها، بالإضافة إلى استغلالها معرفياً.

- وضع معجم مصطلحي للمفاهيم الفقيهة المستعملة في المصادر النوازلية، من طرف المشتغلين بالفقه والمؤرخين المتمرسين في النصوص النوازلية، حتى يسهل على الباحثين المبتدئين تطويع اللغة الفقهية لصالح الواقعة التاريخية.

- ضرورة التفريق بين التراث الفقهي بمختلف أصنافه؛ كتب الأحكام، كتب النوازل، كتب الحسبة.. الخ، وبيان مقدار الاستفادة منها وأهميتها في معالجة القضايا التاريخية بمختلف جوانبها، وهذا العمل يوفر الجهد والوقت على الباحثين في التاريخ؛ كونه يبين مواطن وجوانب الاستفادة.

- وضع مقررات دراسية لتحليل النصوص النوازلية تحليلاً تاريخيا، يسهل على الباحثين التعامل مع هذا النوع من النصوص التراثية.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 132.

[2]ـ لمزيد من التفصيل يراجع دراسات كل من: محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع.. أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/ 12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص19-23. عمر بنميرة، النوازل والمجتمع، ص46-58. محمد البركة، النوازل بين الفقه والتاريخ، ص19-57.

[3]- يراجع تقديم حسن حافظ علوي لكتاب: الفقه والتاريخ بسجلماسة، تنسيق: محمد البركة وسعيد بنحمادة، ص44.

ثانياً: الضوابط المعرفية

– التنبه لمسألة تكرار الأحكام الفقهية في الكتب النوازلية، حتى لا يتعسف المؤرخ في قراءتها، وبالتالي الوقوع في أحكام تعميمية[1]، لهذا وجب معرفة زمن ومكان النازلة، وذلك من خلال تحديد زمان، ومكان الفتوى، والمفتي وكذلك السياق التاريخي لكل منهما.

– وجوب التنبه للنوازل الظرفية والأخرى البنيوية المتعدية للزمان والمكان، ويمكن أن نضبط هذه الفتاوي من خلال معرفة مدى تكرارها، وبالتالي يمكن الحكم عليها بأنها تعبير عن واقع مستمر[2] مرتبطة بأحداث تاريخية.

– ضرورة معرفة النوازل الافتراضية من النوازل الواقعية التي تعبر عن واقع الناس وتطورات حياتهم، مع التفريق بين ما هو حكم شرعي وما هو حكم عرفي في فتاوى العلماء.

– العمل على تكثيف الدراسات الاستقصائية التي تصنف النازلة بحسب موضوعها، نازلة اجتماعية، اقتصادية، سياسية، تربوية...، وذلك من أجل تسهيل توظيفها من طرف الباحثين في فهم الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط، إضافة إلى استخراج النسب المئوية للقضايا المعالَجة في النوازل وذل بتوظيف المناهج الإحصائية.

المطلب الثاني: إسهام كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

مر معنا فيما سبق الصعوبات والعوائق التي واجهت الباحثين، أثناء استغلالهم لكتب النوازل الفهية في الكتابة التاريخية، وفيما يأتي سوف نذكر جوانب تغطيها كتب النوازل في الكتابة التاريخية، وبالضبط تلك الجوانب المتعلقة بالقضايا الاقتصايية والاجتماعية.

الفرع الأول: أهمية كتب النوازل في دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

وفي السياق ذاته من حيث ذكر أهمية النوازل كرافد من روافد البحث التاريخي عامة، لم يتوانى المشتغلون بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، من التأكيد على ضرورة الاستعانة بما تقدمه هذه المدونة، من معلومات مستفيضة عن الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط، فهي تعد "مصدراً أساسياً لإعادة صياغة البناء التاريخي لحضارة الغرب الإسلامي على وجه الخصوص"[3]، ولاسيما ما تعلق منها بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وهذا راجع بالأساس لكثرة وازدهار التأليف في هذا الباب عند المغاربة ويظهر هذا

[1]_ حميد الفاتحي، الفقهاء في المغرب المريني.. محاولة في إعادة تركيب مضامين التراجم، منشورات الزمن، المغرب، 2018، ص121.

[2]_ محمد البركة، النوازل بين الفقه والتاريخ.. محددات منهجية ومعالم معرفية، ص37.

[3]_ فاطمة بلهواري، النص النوازلي للغرب الإسلامي، ص84.

الزخم في التراث الزاخر من الكتب التي تركه المغاربة سواء كانوا فقهاء أم قضاة أم مفتين أم علماء، في هذا الباب من التأليف[1].

أيضا يرجع ذلك إلى العفوية والواقعية التي تميز هذه المدونة عن غيرها من المدونات التراثية، فهي على غرار المدونات الأخرى ذات الطابع الرسمي، وكذا المدونات ذات الطابع الشخصي والتخييلي[2]، والتي تتفاوت من حيث قيمتها التاريخية.

وتتجلي عفوية وواقعية هذه المدونة في علاقة المجتمع بالفقيه، باعتبار هذا الأخير فردا منه يحاول إيجاد حلول، وإجابات واقعية تراعي أحول الناس وظروفهم، وتتناسب مع عاداتهم وتقاليدهم، مما يزيد من قيمتها في رصد التفصيلات الدقيقة لحركة المجتمع على المستوى البطيء، الأمر الآخر الذي يفضي على هذه المدونة قيمة تاريخية، هو تعدد الرؤى التي تصدر عن الفقهاء في ذلك العصر[3]، ما يخول للباحث في التاريخ بناء نسق متكامل عن تطور المجتمعات في شتى جوانب الحياة.

ومما يزيد من قيمتها في رصد حركة المجتمع، أن هذا التفاعل بين الفقيه والمجتمع لا ينحصر في قضايا العقائد والعبادات والمعاملات فقط، بل يتعدى ذلك إلى موقف الفقهاء من قضايا اقتصادية وأخرى سياسية معاصرة لزمن كاتبها، والتي تكتسي أهمية بالغة في معرفة سلطة الفقيه المكانية والزمانية.

وبالعودة إلى المصادر النوازلية الكبرى في الغرب الإسلامي، وكذا من خلال الاطلاع على مقدمة المحققين تبين ما تزخر به هذه المدونة من أهمية في رصد الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما ينبه إليه الباحث سعد القحطاني في تقديمه لكتاب "ديوان الأحكام الكبرى" لعيسى بن سهل الجياني (ت486هـ/ 1093م)، إذ ينوه إلى أهمية الكتاب والغرض من تأليفه قائلا: "وقد ألف هذا المخطوط ليكون جامعا لكل شؤون الحياة"[4]، ويشيد أحد الباحثين بأهمية هذا المصدر لمن أراد دراسة فترة الخلافة الأموية وحكم ملوك الطوائف، فهذا المصدر أكثر ارتباطاً بواقع المجتمع الأندلسي[5]، غير أنه غلبت عليه الصبغة القضائية فهذه النوازل موجهة إلى القضاة والمفتيين لتنقل إليهم صناعة الفتوى على طريقة علماء المالكية[6].

---

[1]_ يراجع دراسات كل من: مُحَّد الحبيب الهيلة، مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن 11/5 إلى نهاية القرن 15/9، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد9، السنة 1993 ، ص23-31. مُحَّد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية، المغرب، ط1، 1999، ص23-54. نسيم حسبلاوي، التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي، ص225-227.

[2]- المدونات ذات الطابع الرسمي ويقصد بها مدونة الحوليات والتراجم، أما الكتب ذات الطابع الشخصي فهي كتب الرحلة، أما كتب الأدب والمناقب فيغلب عليها الطابع التخييلي وهي تختلف من حيث أهميتها وقيمتها التاريخية.

[3]- أحمد السعدي، تداخل التاريخ بالفقه نموذج النوازل الفقهية، ص303.

[4]_ نسيم حسبلاوي، التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي، ص230.

[5]_ فاطمة بلهواري، النص النوازلي للغرب الإسلامي، ص 85.

[6]- مُحَّد الحبيب التجكاني، تحليل مسائل إبن رشد، مجلة دار الحديث الحسنية، الرباط، العدد6، السنة1988، ص175.

وفي ذات السياق ينوه محقق نوازل ابن رشد(ت520هـ/ 1126م)، بأهمية النوازل في رصد حياة الناس وتفاصيل المجتمع، قائلا "هي في الغالب كانت إجابات عن أسئلة في أحداث تتصل بحياة الناس"[1]، وقد مثلت نوازل ابن رشد صورة المجتمع الأندلسي والمغربي إبان فترة المرابطين، فحملت فتاويه "قضايا متنوعة تعكس في مجملها هموم الدولة والمجتمع"[2]، بل كانت مدعاة للكثير من الباحثين للاهتمام بها للإجابة عن كثير من القضايا المتعلقة "بالواقع الأندلسي والمغربي، لأنها في معظم الأحيان [جاءت] مقترنة بأحداث واقعية وقضايا يومية"[3].

يشير مُحَمَّد المغراوي لبعض القضايا التي يمكن أن يقف عليها الباحث من خلال فتاوي ابن رشد سواء ما تعلق بالجانب الاقتصادي كقضايا المعاملات التجارية والمالية والفلاحية، وما كانت تعرفه من أنظمة وعقود، أو القضايا الاجتماعية المتعلقة بالأحوال الشخصية من أمور الزواج والطلاق والنسب والإرث وغيرها[4]، والجدير بالذكر أن هذه الأسئلة التي وردت عليه، لم تكن حبيسة مدن الأندلس فقط، بل شملت حتى مدن المغرب، ما أكسبها صفة الشمولية إلى جانب صفة الواقعية[5]، فعكست حياة المجتمع المغربي والأندلسي.

وفي ذات السياق يؤكد محقق نوازل ابن الحاج(ت529هـ/ 1135م)، على ما تضمره نوازله من "إشارات تاريخية عديدة تشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والعمرانية"[6]، بحيث لم يكتفي المحقق بذكر الأهمية التاريخية لهذا المصدر، بل عرض نماذج وصور لقضايا اقتصادية واجتماعية تزخر بها نصوصه[7]، غير أن ما يميز هذا المصدر "كثرة نقوله من مصادر فقهية عبثت بها عوادي الزمن"[8]، إضافة إلى براعة ابن الحاج في معرفة شؤون الناس ودقائق حياتهم، فنجد أجوبته تنم عن إدراك عميق لمصالح الأمة وقضاياها[9].

---

[1]_مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد أبو الوليد بن رشد القرطبي المالكي، فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1407هـ-1987م، ج1، ص8.

[2]_ مبارك رضوان، حول بعض القضايا المذهبية والعقدية في العصر المرابطي من خلال فتاوي ابن رشد، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل: دراسات تاريخية مهداة للفقيد مُحَمَّد زنيبر، تنسيق، مُحَمَّد المنصور ومُحَمَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995، ص71.

[3]_ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج1، ص08.

[4]_ مُحَمَّد المغراوي، مسائل العملة والصرف والأسعار في العصر المرابطي من خلال فتاوي ابن رشد، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، ص61-69.

[5]_ مُحَمَّد الحبيب التجكاني، تحليل مسائل ابن رشد، ص 161.

[6]_ ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، ج1، ص 155.

[7]_ المرجع نفسه، ص 165-186.

[8]- ككتاب الواضحة، ونوازل عيسى، ووثائق ابن العطار، ووثائق ابن لبابة وغيرها، يراجع: ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج، ص146.

[9]- المرجع نفسه، ص147.

إلى جانب استطراده في ذكر المسائل مع مراعاة الدقة والضبط[1]، ولعل الأعمال التي أنجزت تباعاً حول نوازل ابن الحاج[2] ، بدءاً بمقال الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش[3]، تغنينا عن الاستطراد في بيان قيمته وأهميته في دراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالغرب الإسلامي.

كذلك لا ينبغي الذهول عما تقدمه نوازل البرزلي (ت841هـ/ 1440م)[4]، من إشارات تخص القضايا الاقتصادية والاجتماعية للغرب الإسلامي، كمسائل المواريث والتركة والحسبة والأوقاف والعنف والحدود والجنايات والعقوبات، بالإضافة إلى معلومات مهمة عن المرتدين وأهل الأهواء[5] ، فقد مثلت نوازله بحق تطوراً جديداً في فقه النوازل بالغرب الإسلامي، فكانت سجلا للمفتين من قبله تعنى بإحياء مسائل المتقدمين وتجميعها في دواوين جامعة ليستفيد منها العاملون في حقول القضاء والإفتاء في عصره، ثم المشتغلون بعلوم الفقه والتاريخ والاجتماع في العصور الموالية[6].

كما لا يخفى على الباحثين في التاريخ أهمية "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" للإمام أبي زكرياء يحي بن موسى المازوني التلمساني (ت883هـ/ 1478م)[7]، إذ "يعتبر كتابه هذا مصدرا أساسيا لدراسة تاريخ المغرب الأوسط خلال القرن 8-9 للهجرة في زمن ضعف تأثير سلطة بني زيان فيه، إذ عكست نوازله صورة من التدهور والعنف وانعدام الأمن والاستقرار، والذي مس كل جوانب الحياة"[8].

ويبدو أن الونشريسي (ت914هـ/ 1509م)[9]، قد نسج على منوال البرزلي في نوازله، وسار على نهجه فأنتج مدونة فقهية "جمع فيها من فتاوي المتقدمين، والمتأخرين من علماء المغرب والأندلس"[10]، ونوازله لا تقل أهمية عن نوازل البرزلي، إذ تعد مصدرا مهما لأصناف عديدة من الباحثين، والمؤرخين، لاسيما منهم المشتغلون

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مخطوط نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس، ضمن كتاب البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1991، ص33.

[2]- حول هذه الأعمال يراجع: أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوي الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية، ص389-390.

[3]- يعد إبراهيم القادري بوتشيش أول من نفض الغبار عن هذا المخطوط النفيس في مقال بعنوان: "مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية"، مجلة دار النيابة، العدد 21، السنة 1989.

[4]- البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا من المفتين والحكام، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002. (7 أجزاء).

[5]- فاطةبلهواري، النص النوازلي للغرب الإسلامي، ص87.

[6]- ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج التجيبي، ص 154.

[7]_ يحي بن موسى أبو زكريا المازوني المغيلي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق: حساني مختار، جامعة الجزائر، 2004، (3 أجزاء).

[8]- فاطمة بلهواري، النص النوازلي، ص 87.

[9]- أحمد بن يحي أبو العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف، محمد حجي، وزارة الأوقاف المغربية ودار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981، (13 جزء).

[10]_ ابن الحاج التجيبي، نوازل ابن الحاج، ص154. فاطمة بلهواري، النص النوازلي، ص87.

بقضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي[1]، فنصوص الونشريسي تثير جوانب غاية في الأهمية تخص القضايا الاجتماعية؛ كأساليب الزواج وأوضاع المرأة والحياة الأسرية[2]، وما تعلق بها من علاقات مصاهرة وقرابة وتربية أبناء ورعايتهم، وكذا نجد في نصوص هذه المدونة إشارات إلى الأعراف والعادات السائدة في الغرب الإسلامي، وإلى جانب ذلك تقدم معلومات عن الأنشطة الاقتصادية السائدة في تلك الفترة[3].

وعليه فالاطلاع على بعض هذه النصوص كفيل بإعادة بناء صورة متكاملة عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ الغرب الإسلامي.

وإلى جانب ما تقدم، فإن الدارسين الذين اهتموا بإبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في تاريخ الغرب الإسلامي، ذكروا بما لا يدع مجالا للشك أن مدونة النوازل كفيلة برفع الحجب عن قضايا المجتمع وتمظهراته والخروج بتصور واضح عن واقع الحياة اليومية للناس.

فمن الناحية الاقتصادية يصعب حصر المواضيع التي وردت في طيات كتب النوازل، غير أنها تعرفنا بالأنشطة الاقتصادية لتلك الفترة من جوانبها الثلاث، النشاط الفلاحي والصناعي والتجاري.

وأما من الناحية الاجتماعية فقد استطاعت كتب النوازل الإحاطة بمختلف مجريات الحياة اليومية لمجتمع الغرب الإسلامي، من حيث تركيبته المتنوعة وطبقاته المختلفة وطوائفه المتعددة، ورسمت صورة واضحة عن تقاليده وأعرافه وعاداته، كما لم تغيب الحديث عن آفاته ومشاكله ومآسيه.

ومما سبق يتضح أننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر، والتمعن في المظان المصدرية، وذلك بقراءتها قراءة متأنية في إطار تكاملي، يستبعد ذلك التصنيف التجزيئي للمعرفة والمصادر، مع إعمال الاستقراء والتتبع لنصوص النوازل بغية الوصول إلى نتائج يمكن الارتهان إليها في بناء الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ومنه كتابة تاريخ المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط.

الفرع الثاني: نماذج من المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة النوازلية

سعيا لإبراز تاريخية المدونة النوازلية، من خلال تتبع واستقراء النصوص النوازلية الحافلة بالإشارات الاقتصادية والاجتماعية التي توضح ثراء المدونة المصدرية، واستعراض نماذج تسعف في رسم صورة واضحة عن قيمة ومكانة المدونة النوازلية في عموم المدونة التراثية، والدور الذي تلعبه تكاملية المصادر، والنظر إليها في إطار

---

[1]- عمر بن حمادي، من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي نسبة الفتاوي إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد25، السنة2001، ، القسم الأول، ص65.

[2]- من الدراسات المهمة التي اتخذت من مدونة الونشريسي نموذجا لمعالجة موضوع المرأة من جوانبه الاجتماعية والفقهية، دراسة زهور أربوح، أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي –دراسة فقهية اجتماعية–، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013.

[3]- عمر بلبشير، حجة المغاربة أبو العباس الونشريسي ومعلمته النوازلية، ص174-175. مسعود كربوع، كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، الجزائر، العدد9، مارس2014، ص62-63.

نسق وإنتاج معرفي وثقافي واحد في ظل المعرفة الإسلامية، ما من شأنه أن يعطينا تصوراً واضحاً عن مجتمعات العصر الوسيط، وعلى هذا سنورد مجموعة من النماذج والأمثلة عن المعطيات الاقتصادية والاجتماعية التي تحويها كتب النوازل.

أولا: المعطيات الاقتصادية في المدونة النوازلية

من خلال ما سبق؛ يتضح حجم الأهمية التي تزخر بها المدونة النوازلية في الكشف عن مجريات الحياة اليومية للمجتمعات الوسيطة، وبالتحديد الفعاليات الاقتصادية، وربما يمكننا القول أنها أكثر المعلومات حضوراً في ثنايا هذه المدونة[1].

وتجدر الإشارة إلى الجوانب الاقتصادية التي سوف نركز عليها باعتبار تعددها، والتي حاولنا حصرها في ثلاث عناصر رئيسة متمثلة في النشاط الفلاحي والصناعي والتجاري.

1- النوازل والنشاط الفلاحي

تمثل الفلاحة في العصر الوسيط عصب الاقتصاد، بحيث توفر لنا كتب النوازل معلومات هامة عن الأنشطة الفلاحية[2] التي مارسها المجتمع خلال العصر الوسيطكالزراعة والرعي وتربية الحيوانات واستصلاح الأراضي واستغلال الغابات وغيرها، إلى جانب ما تقدمه من إفادات تخص تنظيم النشاط الزراعي؛ كقضايا المزارعين وطرق استغلالهم للأراضي الزراعية، وكذا وضعية الأرض والنزاعات التي تنشب بين المزارعين[3]، كما تقدم صورة واضحة عن "طبيعة العلاقات الإنتاجية بين رب الأرض والمزارع المستأجر وكيفية تقسيم العمل فيما بينهما، وأنواع عقود الاستغلال العقاري، من الشراكة والوكالة والكراء، وفي شكل المؤاجرة كما هو الحال في ظاهرة الرعي"[4].

وقد احتل موضوع الأرض -وما يلحق بها من أنشطة كالزراعة والرعي وتربية الحيوانات واستغلال الغابات واستصلاح الأراضي-، قصب السبق في نصوص هذه المدونة، إذ تقدم معلومات دقيقة عن طبيعة الملكيات الزراعية وظروف نشأتها وطرق استثمارها[5].

---

[1]_ أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوي الفقهية، ص39. حميد الفاتحي، الفقهاء في المغرب المريني، ص122.

[2]_ خالد بلعربي، أهمية كتب النوازل في ترميم جوانب هامة من النشاط الفلاحي بالمغرب الأوسط (ق7-9هـ/ 13-15م)، مجلة أفاق فكرية، الجزائر، العدد02، مارس2015، ص131-138.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب، ص256.

[4]_ فاطمة بلهواري، النص النوازلي، ص90.

[5]_ يراجع دراسات كل من: نور الدين غرداوي، النظم الزراعية بالمغرب الأوسط في العصر الزياني من خلال نوازل المازوني، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد17، السنة 2014، ص129-149.محمد بلحسان، ملكية الأراضي الزراعية وطرق استثمارها في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل، دورية كان التاريخية، عدد 35، السنة 2017، ص142-148. عبد القادر ربوح، نظام

حيث اشتهر نظام المزارعة والمغارسة والمساقاة[1] كأنظمة لاستغلال الأرض، ويحيل أحد الباحثين لبعض هذه النوازل التي توضح بشكل دقيق نظام استغلال الأرض وعلاقة رب الأرض بالمزارع.فنظام المزارعة مثلا؛ يقوم على زراعة الأرض بالقمح أو الشعير أو الذرة، وذلك بأن يكتري صاحب الأرض أرضه لمزارع يقوم بخدمتها وحرثها وتقليبها مقابل حصوله على حصة من الإنتاج[2] .

بينما يقوم نظام المغارسة على عقد يسلم من خلاله صاحب الأرض مساحة من الأرض المغروسة لزارعها يقوم عليها بالعناية على أن يتقاسما المحصول بينهما مناصفة[3]، ويقتضي نظام المساقاة "أن يدفع مالك الأرض للمزارع أرضا يتكفل بسقيها ورعايتها وتنقيتها من الأعشاب الضارة وحراستها ودفع السائبة عنها ثم جنى ثمارها عندما تنضج"[4]، بينما شكلت نوعية الأرض أهمية كبيرة في طريقة سقيها وطريقة استغلال مياه السقي.

أما بخصوص حصة المزارع بالنسبة لصاحب الأرض، فلم تكن هناك آلية واضحة تبين مقدار ما يأخذه كل منهما بحيث تركت للتفاهم بينهما، غير أنه يمكن القول أن حصة المزارع كانت تتحكم فيها الأشكال الثلاثة السابقة الذكر، وقد تراوحت حصته بين الخمس ولقب صاحبها بالخماس، بالإضافة إلى الربع والثلث والنصف[5].

ونقف أيضا على مسائل تتعلق بالأراضي والإقطاعات الزراعية[6] وطريقة تقسيمها، فمن بين أسباب تقسيمها إلى إقطاعات متوسطة أو صغرى، عمليات البيع، بالإضافة إلى تقسيمها على الورثة[7].

الأرض في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ/ 711-1031م) دراسة من خلال المدونة النوازلية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد06، عدد16، ديسمبر 2018، ص 123-153.

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مخطوط نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ضمن كتاب البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق: إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1999، ص37.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية وكتب المناقب، ص257.

[3]- المرجع نفسه، ص258.

[4]- المرجع نفسه، ص 258.

[5]- المرجع نفسه، ص260.

[6]_ زيان مكي ومبخوت بودواوية، الإقطاع الزراعي في بلاد المغرب الإسلامي في فترة ما بعد الموحدين ما بين القرن (7و9هـ/ 13و15م) من خلال كتب النوازل الفقهية كمادة مصدرية، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، الجزائر، مجلد 2، عدد01، جانفي2019، ص207-225.

[7]- أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوي الفقهية، ص391.

كما تسعفنا نصوص النوازل بتكوين صورة واضحة عن طرق، ومصادر امتلاك الأراضي، فمنها ما ينتقل عن طريق الإرث، ومنها ما ينتقل عن طريق الهبة والاقتناء، وغيرها من صيغ التملك[1]، وقد مثل التملك غير الشرعي للأراضي سببا مهما في نشوب النزاعات بين ملاك الأراضي[2].

إلى جانب أنها تزودنا بأصناف وأنواع هذه المليكات، "كالملكية الجماعية للأرض، وأرض الأحباس، والملكية العمومية، فضلا عن الملكية الخاصة"[3]، وهذه الأخيرة تعد أكثر الأشكال شيوعاً وانتشاراً.

ليس هذا فقط بل نقف في النصوص النوازلية على مادة غنية عن الإنتاج الزراعي[4]، وأنواع المحاصيل؛ كزراعة القمح وأشجار الزيتون وأشجار الكروم، إلى جانب أنواع أخرى من الزراعات؛ كأشجار الفواكه، كما توفر لنا معلومات عن طرق تخزينهاواستثمارها، كما تأتي على ذكر مختلف أنواع العقاقير[5].

كما تسعفنا نصوص هذه المدونة بمعلومات مهمة عن نشاط الرعي[6]واستئجار الرعاة[7]، ما يمكننا من تكوين صورة واضحة عن هذا النشاط باعتباره من بين الأنشطة المهمة في العصر الوسيط إلى جانب الزراعة وتربية الحيوانات[8]، إضافة إلى هواية صيد الحيوانات[9]، وغيرها من النشاطات.

إضافة أنها توفر لنا معلومات عن قضايا المياه[10]، وطرق الانتفاع بالماء وطرق السقي والنزاعات التي تنشب بين المزارعين بسبب حصصهم من الماء[1]، وكذلك تسعفنا بمعلومات عن أوقاف المياهواستخداماتها[2].

---

[1]_ إبراهيم القادري بوتشيش، مخطوط نوازل ابن الحاج، ص35.

[2]_ كالبيع بالغبن والاغتصاب والحرب والغياب لفترة طويلة، تعتبر كلها طرق غير شرعية لتملك الأراضي كانت تؤدي في غالب الأحيان لنشوء نزاعات بين ملاك الأراضي. يراجع: إبراهيم القادري بوتشيش، مخطوط نوازل ابن الحاج، ص36.

[3]_ أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوي الفقهية، ص 391.

[4]_ عبد العزيز حاج كولة، الإنتاج الزراعي في بلاد الأندلس من خلال النوازل الفقهية –عصر الطوائف والمرابطين (422_539هـ/ 1031-1144م) أنموذجين–، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، الجزائر، عدد12، ديسمبر 2017، ص128-145.

[5]_المرجع نفسه، ص138-139.

[6]_ متعب بن حسين القثامي، أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتهما في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، الجزائر، عدد03، جانفي2017، ص11-36.

[7]_ عيسى كروم، استئجار الراعي في أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل، مجلة روافد، الجزائر، مجلد03، عدد02، ديسمبر2019، ص247-258.

[8]_ وقد شملت العديد من الحيوانات مثل: المواشي والخيول الطيور والدواجن والنحل وغيرها. يراجع: صورية علي زازو، الرعي وتربية الحيوانات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، مجلد02، عدد04، ديسمبر2016، ص129-135. متعب بن حسين القثامي، أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتهما في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، ص29-30.

[9]_ يراجع: تواتيةبودالية، هواية صيد الحيوانات البرية في الأندلس، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد19-20، صيف-خريف2015، ص122-134.

[10]_ محمد لمراني علوي، قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية –المعيار للونشريسي نموذجا–، ضمن أعمال ندوة: الماء في تاريخ المغرب، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 10-1996/12/12، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

2- النوازل والنشاط الصناعي والحرفي

تسعفنا كتب النوازل كغيرها من المدونات الوسيطية بمعلومات مهمة عن النشاط الصناعي وما يلحق به، من المهن وأنواعها والحرف وفنون الصناعات والابتكارات المنتشرة في مجتمعات الغرب الإسلامي[3].

ويمكن التدليل على أهمية هذه المدونة في هذا الجانب من كمية المواضيع التي عالجها الدارسون من خلال نصوص النوازل، فمثلا وقفنا على دراسات اهتمت بالحرف والصناعات من خلال كتب النوزال.

حيث توفر لنا معلومات عن أصحاب المهن والصناعات وأماكن انتشارها وتوزيعها في الأسواق، إذ يبقى العطارين والصاغة والوراقين والطباخين والخبازين والفرانين والخياطين، في مراكز المدينة، بينما يدفع بالقصابين والقسامين والحجامين والنجارين والفخاريين والحدادين والبنائيين، إلى خارج المدينة لما في مهنهم من إذاية للناس وإزعاجٍ لهم[4].

بالإضافة إلى ذلك توفر لنا دراسة أخرى عن مهنة الرعي[5] معلومات عن هذه الحرفة من خلال كتب النوازل، إذ تتطرق لأجرة الراعي والعلاقة التعاقدية بين الراعي وصاحب الماشية وشروطها، إضافة إلى المسؤولية المنوطة بالرعاة اتجاه المهمة الموكلة إليهم[6].

إلى جانب ما تقدمه كتب النوازل من معلومات عن حرفة السقاية وشروط ممارستها والرقابة المفروضة على ممتهنيها من طرف المحتسبين على الأسواق[7].

جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص47-63. عمر بنميرة، قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، ص77-85.

[1]_ مُحَّد فتحة، نازلة وادي مصمودة بفاس مثالا عن النزاعات حول الماء، ضمن أعمال ندوة: الماء في تاريخ المغرب، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 10-1996/12/12، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص167-175.

[2]_ خيرة سياب، مظاهر بعض معاملات أوقاف المياه ببلاد المغرب الإسلامي من خلال النوازل الفقهية، مجلة مدارات تاريخية، الجزائر، مجلد01، عدد01، مارس2019، ص46-58.

[3]_ فاطمة الزهراء مالكي، الحرف والصناعات من خلال النوازل الفقهية في المغرب الإسلامي.. مشاكلها وعلاقتها بالجانب الزراعي والتجاري، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، الجزائر، عدد 08، السنة 2017، ص165-191.

[4]_ بلحاج طرشاوي، الحرف والمهن في المغرب الأوسط من خلال كتب الحسبة.. دراسة في تحفة الناظر للإمام العقباني، مجلة مخبر الحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد 04، جوان 2013، ص349.

[5]_ عيسى كروم، استئجار الراعي في أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل، مجلة روافد، الجزائر، مجلد 03، عدد 02، ديسمبر 2019، ص247-258.

[6]_ المرجع نفسه، ص250-253.

[7]_ مُحَّد بن عميرة، التجارة المائية في كتب الفقه والنوازل ببلاد المغرب، ضمن كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011، ص18-19.

ليس هذا فقط بل توفر لنا دراسة أخرى معطيات مهمة عن مهنة بناء الأرحية المائية[1] وأنواعها ومكونات بنائها ومواد اشتغالها، وقد ارتبطت بهذه المنشأة العديد من الحرف والمهن، كصناع القنوات المائية وصناع الحجر الخاص بالطاحونة والنجارين والدقاقين وحرفة الطحن[2].

إلى جانب ما تمدنا به من معلومات تخص بناء المنشآت المائية[3]، كالآبار والمواجل والسواقيحيث تعرفنا على أصنافها وأنواعها وأسمائها وطرق استعمالها[4].

3- النوازل والنشاط التجاري

شكلت الأنشطة التجارية بعداً مهما في المجتمع الإسلامي خلال العصر الوسيط، وهذا ما تعكسه النصوص النوازلية من خلال ما يرد في ثناياها من قضاياوموضوعات تخص المعاملات التجارية والمالية والنقدية[5]، كمسائل "البيوع والشركة"[6]، و"المعاوضة"[7]، و"القراض والسلف والوكالة"[8]، وما يلحق بها من معلومات عن الأسواق[9] والحوانيت والبضائع والسلع المتوفرة، وأنواعها المحلية والأجنبية، -"كسكر القالب والشاي والقهوة والشمع والجبن والدجاج والصابون والحرير"[10]- وأسعارها، وأنواع العملات وأوزانها[11]،

---

[1] _ وقد ارتبطت بهذه المنشآت العديد من المهن كمهنة الطحان، التي ساهمت في خلق تغيرات اقتصادية واجتماعية في مجتمعات العصر الوسيط. يراجع: فاطمة بوزاد، الأرحية المائية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والنوازل، مجلة مدارات تاريخية، الجزائر، مجلد01، عدد02، جوان2019، ص316-338.

[2] _ المرجع نفسه، ص316-338.

[3] _ بوكثير مسطاري، المنشآت المائية بإفريقية خلال العصر الوسيط دراسة حول استعمالات المفاهيم ودلالتها من خلال كتب النوازل الفقهية، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، عدد15-16، السنة2012-2013، ص125-153.

[4] _ المرجع نفسه، ص131-143.

[5] _ سناء عطابي، دور النصوص الفقهية في دراسة القضايا التاريخية بالمغرب الأوسط.. المعاملات المالية والنقدية خلال القرنين (7-9هـ/ 13-15م) نموذجا، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، مجلد12، عدد1، جانفي2020، ص310-321.

[6] _ أحمد شعيب اليوسفي، أهمية الفتاوي الفقهية، ص395.

[7] _ المرجع نفسه، ص391.

[8] _ فاطمة بهواري، النص النوازلي للغرب الإسلامي، ص91.

[9] - خالد بلعربي، دراسات في تاريخ المغرب الأوسط، دار الريان للطباعة والنشر، تلمسان، 2007، ص87.

[10] _ أحمد السعدي، تداخل التاريخ بالفقه نموذج النوازل الفقهية، ص309.

[11] _ محمد المغراوي، مسائل العملة والصرف والأسعار والصرفة والأسعار في العصر المرابطي من خلال فتاوي ابن رشد، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، ص62.

والمكاييل واستخداماتها[1]، والضرائب وقيمتها، وكذلك التجاوزات التي تحدث داخل الأسواق، كالغش[2] والاحتكار والتدليس في البضاعة.. وغيرها[3].

إضافة لما تقدمه من معطيات قيمة عن التجارة المائية[4] وأحكامها وأنواعها، وشروط المتاجرة بمياه الآبار وغيرها من مياه العيون الطبيعية والمستحدثة[5].

إلى جانب أنها تقدم لنا معطيات قيمة عن التجارة البحرية[6] بين أقطار المغرب الإسلامي، إضافة إلى التجارة البحرية بين بلدان العالم المتوسطي[7]، إذ تأتي على ذكر أهم الموانئ والسفن المستعملة في النقل، وكذلك أصناف المواد المتبادلة وغيرها من المعلومات القيمة التي تسعفنا بها، كما تمتد معطياتها لأبعاد النشاط التجاري بين دار الحرب ودار الإسلام[8].

ثانيا: المعطيات الاجتماعية في المدونة النوازلية

يؤكد الكثير من الباحثين على ثراء المدونة النوازلية بالمعلومات التي تخص الجوانب الاجتماعية لمجتمع الغرب الإسلامي في عصره الوسيط، وعليه فإن نصوصها تسعفنا على تكوين صورة واضحة عن الشرائح الاجتماعية كالمتسولين والفقراء واختلاف حالاتهم بين البادية والمجال الحضري[9]، واليتامى الأسرى إضافة إلى العبيد والإماء[10].

---

[1] ـ عبد الرحمن دنون طه، أهمية الكتب الفقهية في تناول تاريخ الأندلس، ص 142-143.

[2] ـ نصيرة عزرودي، الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المتأخرة، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، الجزائر، عدد 09، ديسمبر 2014، ص317-324.

[3] ـ في الغالب تنتشر هذه التصرفات أثناء الأزمات، مما يترتب عنه انفلات وفوضى في ضبط الأسواق، فاطمة بلهواري، النص النوازلي، ص91-92.

[4] ـ محمّد بن عميرة، التجارة المائية في كتب الفقه والنوازل ببلاد المغرب، ص09-22.

[5] ـ المرجع نفسه، ص11-19.

[6] ـ الطاهر قدوري، النوازل الفقهية وتنظيم التجارة البحرية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد 13، السنة 2014، ص24-45. محفوظ الغديقي، التجارة البحرية بين المغرب العربي المتوسطي من خلال كتب النوازل، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، عدد 01، أفريل 2016، ص26-37.

[7] ـ عبد العزيز خلوق التمسماني، التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي، ضمن أعمال ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، المنعقدة بالرباط، بتاريخ: 2-1994/11/4، تنسيق: محمّد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمّد الخامس، الرباط، ط1، 1995، ص167-173.

[8] ـ جمعة شيخة، كتب النوازل بالمغرب العربي في العصر الوسيط.. حدودها وأبعادها –النشاط التجاري بين دار الحرب ودار الإسلام أنموذجا–، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، عدد 01، أفريل 2016، ص09-25.

[9] ـ سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمته الاجتماعية، ص87.

[10] ـ ابتسام الزاهر، الأدب الـ نوازلي مصدراً لتاريخ الإماء.. نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد13، السنة2013-2014، ص8-24.

بالإضافة إلى كونها تزودنا بمعطيات تخص الحياة الأسرية[1] والزوجية، كمقدار الصداق وشورة الزوجة، ومسائل الحضانة والخلع والطلاق[2]،وقضايا الحمل[3] والأطفال[4]، وكل ما تعلق بقضايا النساء[5] وأوضاع المرأة في المغرب والأندلس على وجه الخصوص[6]، حتى أن نصوص النوازل لا تغفل بعض العادات والمحظورات التي

[1]_ يراجع دراسات كل من: خيرة سرير حاج، قاعدة العادة محكمة وأثرها في نوازل الأسرة من خلال نوازل المازوني، المجلة الجزائرية للمخطوطات، الجزائر، عدد14، جانفي2016، ص83-100. الميلود كعواس، نوازل الأسرة بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط1، 2017. مجلد (1-2). عمر بلبشير، قضايا من الحياة الأسرية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني من خلال الدرر المكنونة، ضمن كتاب: النوازل الفقهية والتاريخ، ص 105-126. زوبير بعلي، الأسرة المسلمة في مملكة غرناطة بين التمسك بالهوية الإسلامية وتأثير المجتمعات المسيحية من خلال كتب الفتاوى والنوازل الفقهية الغرناطية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 04، عدد01، جوان2020، ص747-761.

[2]_ مُحَمَّد غزالي، الأثر الاجتماعي لقضايا الخلع والطلاق في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريسي، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد11-12، السنة2013-2014، ص139-154.

[3]_ تواتيةبودالية، قضايا الحمل في نوازل الغرب الإسلامي، ضمن أعمال الندوة الدولية: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس: قضايا وإشكاليات، أعمال مهداة: للأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش، المنعقدة بتطوان: بتاريخ: 18-20/ 2018/04، تنسيق: مُحَمَّد الشريف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، المغرب، ط01، 2020، ج2، ص85-102.

[4]_ زينب الكتامي، نوازل الطفل بالغرب الإسلامي من خلال المعيار للونشريسي (ت914هـ): جمع وترتيب ودراسة نماذج مختارة، منشورات مؤسسة مقاربات، فاس، المغرب، 2019.

[5]_ يراجع دراسات كل من: عودة حسان عواد أبو شيخة، قضايا النساء في المغرب من خلال نوازل البرزلي، مجلة بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، عدد34، السنة2014، ص537-556. حياة قارة، مجتمع النساء في فضاء البحر الأبيض المتوسط من خلال مدونات النوازل الفقهية، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد13، السنة2014، ص81-95. عبد الرحمن بلاغ، المرأة ومسائل الأسرة من خلال نوازل الونشريسي -مقاربة تاريخية اجتماعية-، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، عدد04، مارس2017، ص142-158.

[6]_ يراجع دراسات كل من: زهور أربوح، أوضاع المرأة بالمغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي: دراسة فقهية اجتماعية، دار الأمان، الرباط، 2013. عمر بلبشير، حضور المرأة في النص النوازلي: نوازل المعيار نموذجا إشكالات ومعطيات في الدراسات التاريخية، ضمن كتاب: النوزال الفقهية والتاريخ، ص127-145. عبد الرحمن بشير، المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد11-12، السنة 2013-2014، ص124-138. رانيا أحمد مُحَمَّد إسماعيل، صورة المرأة في المجتمع الأندلسي من خلال الإعلام بنوازل الأحكام لأبي الأصبغ الأسدي (ت486هـ/1093م)، مجلة وقائع تاريخية، القاهرة، عدد 27، السنة 2017، ص43-98. هشام البقالي، وضعية المرأة الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال أدب النوازل: نوازل ابن الحاج التجيبي (ت. 529هـ) أنموذجا، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، الجزائر، مجلد 14، عدد 02، ديسمبر 2019، ص117- 148. مُحَمَّد مرزوق، المرأة من خلال كتاب المدخل لابن الحاج.. مقاربة أولية، مجلة المناهل، المغرب، عدد 43، ص339-346.

تفعلها النساء في العصر الوسيط[1]، كالزنا والسحر والشعوذة[2] والفرار من البيت[3] وغيرها، كما توضح أيضا أعمالها الحضارية[4] وإسهاماتها الاجتماعية[5].

ليس هذا فقط بل تتخلل نصوص النوازل معلومات غاية في الأهمية، تتعلق بقضايا الطابوهات والمحظورات؛ كالجنس والسحر والإلحاد والزندقة والخمر والسرقة والقتل وغيرها من الموضوعات، حيث تشير الكثير من النصوص النوازلية الفقهية إلى انتشار هذه الظواهر داخل فئات المجتمع[6]، وما يستتبع ذلك من عقوبات وتعزيرات شرعية وأخرى عرفية[7].

كذلك تطالعنا بمعطيات غاية في الأهمية عن قضايا الوفيات والموت[8]،وما يلحق بها من طرق الدفن والخروج إلى المقابر والبكاء ووصايا الميت[9]، إلى جانب قضايا تتعلق بالمجال الحضري والبادية[10]، وما تعلق بهما من العادات والتقاليد وما يلحق ذلك من الاحتفالات والمناسبات والأعياد.

---

[1]_ ربيعة قاسيمي، عادات المرأة المغربية المنهي عنها من خلال المعيار للونشريسي، مجلة عصور، الجزائر، عدد26-27، جويلية-ديسمبر2015، ص226-241.

[2]_ بالاضافة إلى عادات أخرى: تتعلق بالخروج كالذهاب إلى الحمام والتجول في الأسواق وزيارة الأضرحة والمقابر، ومحظورات تتعلق بالشرف كالزنا والاختلاط بالرجال والفرار من البيت، وأخرى تتعلق بالمعتقد كالسحر والشعوذة والإفطار في نهار رمضان. يراجع: ربيعة قاسيمي، عادات المرأة المغربية المنهي عنها من خلال المعيار للونشريسي، ص227.

[3]_ أمين كرطالي، حالات فرار المرأة من أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، مجلد10، عدد01، مارس2020، ص105-121.

[4]_ نخلة أنيس محمد مصطفى، جوانب من حياة المرأة الفقهية والحضارية بالغرب الإسلامي من خلال فتاوى ابن رشد الجد، ضمن كتاب: المرأة في الغرب الإسلامي.. الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة، تنسيق: عبد الباسط المستعين، إصدارات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات مفاد وأفريقيا الشرق، المغرب، 2016، ص197-218.

[5]_ سمية المحمدي، أوقاف المرأة بالغرب الإسلامي وإسهاماتها في التنمية الاجتماعية: قراءة في بعض النوازل الفقهية، مجلة المذهب المالكي، المغرب، عدد27، السنة2019، ص59-72.

[6]_ عبد الواحد دنون طه، أهمية النوازل الفقهية، ص136-137.

[7]_ فاطمة بلهواري، الجناية في مجتمع الغرب الإسلامي من خلال كتب النوازل الفقهية، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، عدد15، شعبان1423هـ-2011م، ص151-172.

[8]_ محمد مزين، الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر للزياتي، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، ص101-117.

[9]_ محمد نصير، المراسيم الجنائزية في الغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي.. بين المبتدع والمباح، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، عدد02، شتاء2015، ص187-196.

[10]_ محمد البركة، تنظيم المجال عند أبي عمران الفاسي من خلال بعض فتواه، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد11-12، السنة2013- 2014، ص155-166.

إلى جانب ما توفره من معلومات عن أنواع الأطعمة والأشربة المتوفرة[1]، والأنظمة الغذائية المتنوعة[2]، بالإضافة إلى عمران المدينة وما تعلق بها من الأزقة والأحياء[3]، وأحكام البنيان[4]، والبادية وأنشطتها كتربية الحيوانات[5]، وما يستتبع ذلك من أحكام شرعية وأخرى عرفية[6]، كما تسعفنا هذه المدونة في معرفة الكثير من النزاعات التي تحدث بسبب المنشآت المائية[7]، وطريقة استغلالها في مجتمع العصر الوسيط.

بالإضافة إلى معطيات تطرق لها الباحثون من خلال كتب النوازل، من مثل قضايا أهل الذمة في بلاد المسلمين[8]، والعلاقات بينهم[9] وحكم التعامل معهم وكيفية التعامل مع أحباسهم كالكنائس والأديرة[10]، ولباسهم والفرق بينهم وبين المسلمين، وهذا ما نعثر عليه في كثير من نصوص وفتاوى الفقهاء المغاربة[11].

---

[1] ـ محمد فتحة، أدب النوازل ومسائل الأطعمة بالغرب الإسلامي، مجلة أمل، المغرب، عدد16، السنة1999، ص34-58.

[2] ـ محمد البركة، النظام الغذائي من خلال التراث النوازلي مقاربة عمرانية لفتاوى أبي عمران الفاسي، ضمن كتاب: النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد، محمد البركة وآخران، سلسلة شرفات، منشورات الزمن، 2016، ص9-51.

[3] ـ سناء عطابي، صورة الأزقة والأحياء السكنية في مدينة المغرب الأوسط من خلال النصوص الفقهية، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد16-17، السنة2015، ص161-179.

[4] ـ بلحاج طرشاوي، أحكام البنيان في المغرب الإسلامي من خلال المعيار للونشريسي، مجلة القرطاس، الجزائر، عدد02، جانفي2015، ص105-112. تواتية بودالية، قضايا أضرار الجوار بالأندلس من خلال كتب الفقه والنوازل، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، عدد28، السنة2016، ص493-514.

[5] ـ محمد عبد الوهاب خلاف، وثيقة في أحكام مسؤولية مالك الحيوان أو المكلف بحراسته في الأندلس.. مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي، مجلة المناهل، الرباط، عدد25، ديسمبر1982، ص148-164.

[6] ـ ير اجع: موسى هواري، نماذج من الرفق بالحيوان في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد12، عدد01، جانفي2020، ص71-78.

[7] ـ عبد الرحمن هزرشي، التنازع في إصلاح المنشآت المائية في الفقه الإسلامي من خلال المعرب للونشريسي: -نازلة تنازع الفاسيين والمصموديين في كنس وادي مصمودة أنموذجا-، مجلة التراث، الجزائر، عدد04، السنة2017، ص150-171.

[8] ـ حميد الحداد، مظاهر التسامح الديني بين المسلمين وأهل الذمة بالغرب الإسلامي من خلال بعض كتب النوازل، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ومباحث في التراث الإسلامي، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، تنسيق: محمد بن عبود وآخران، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية، تطوان، 2018، ص313-327.

[9] ـ سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، ص79-80.

[10] ـ عبد الواحد دنون طه، أهمية الكتب الفقهية، ص134-135.

[11] ـ يفيدناالبرزلي بوجود نوع من التمييز بين الذكور والإناث من أهل الذمة في معاملة المسلمين لهم، فاللباس المميز لأهل الذمة مفروض خاصة على الذكور. سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، ص78

كما تسعفنا نصوص النوازل بتكوين صورة واضحة عن الأزمات التي لحقت بمجتمع الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كالحروب وفترات القحط والمجاعات والأوبئة، وما ينجر عنها من مشاكل تلحق بالساكنة[1]، كالسلب والنهب وتعطيل فريضة الحج وغيرها[2].

وعلى هذا فإن كتب النوازل تزودنا بمعلومات غاية في الأهمية إذا ما قرنت بكتب الحوليات، هذا وقد اقتصرنا على ذكر الدراسات التي استندت على كتب النوازل في معالجة القضايا الاقتصادية والاجتماعية، وإلا فإن المواضيع التي كانت النوازل إحدى المصادر الأساسية في معالجة مواضيعها لا يمكن عدها ولا حصرها.

باستعراضنالهذه الدراسات التي عالجها الباحثون من خلال مدونة النوازل يمكننا التأكيد على القيمة المصدرية لهذه المدونة، ومدي مساهمته في تزويد الباحثين بمعلومات تخص الجوانب الحضارية، ودورها في رسم صورة واضحة عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع الغرب الإسلامي في عصره الوسيط.

ويبدوا أن الدراسات التي تعتني بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية من خلال مدونة النوازل، قد تعددت وكثرت، ما ينبئ عن تغير في التصور إزاء مسلمة ندرة المعطيات التي تخص الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية خلال العصر الوسيط، وهذا ما نقف عليه في خاتمة هذه الدراسات من الإشادة بدور المدونة النوازلية في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

وبناء على المعطيات السابقة يتجلى الخلل والقصور الواضح في الأحكام والاستنتاجات المسبقة، والدعوى العريضة بوجود تغييب وتهميش متعمد وتعتيم مقصود للفعاليات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة التراثية، والحقيقة أن هذه الأحكام لا تخلو من الخطأ ما لم تشفع بتحليل شامل ودقيق لهذه المدونات التراثية.

وننوه إلى ضرورة استغلال هذه المظان المصدرية إلى جانب أصناف مصدرية أخرى[3] تنتمي لمدونة الفقه، والتي تتسم بثراء معطياتها الحضارية، شريطة أن يتسلح الباحث بأليات تخول له استعمال هذه النصوص والاستفادة منها، في كتابة تاريخ المجتمع.

---

[1] ـ غالية نويصر، المهمشون في المغرب الأوسط في العصر الوسيط، ضمن كتاب: طبقات مجتمع المغرب الأوسط، ص250. سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، ص84-85.

[2] ـ وهذا ما جاء في نازلة للبرزلي قال فيها "أن الطريق اليوم من الإسكندرية وما بعد ذلك إلى مكة على صفة لا يلزم معها فرض الحج ولا يؤثم من تأخر في هذه الأحوال". سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، ص 92-93.

[3] ـ وقد اقتصرنا في هذا المبحث على دراسة كتب النوازل ودورها في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، غير أن هناك مصادر أخرى تنتمي لمدونة الفقه، لا تقل أهمية عن النوازل، ككتب الحسبة والوثائق والعقود... وغيرها.

المبحث الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة المناقبية

إن الانطلاق من رؤية متوازنة في النظر إلى تكامل المدونة المصدرية الوسيطة يفضى بالضرورة إلى نتائج مغايرة لما درجت عليه الأدبيات التاريخية للمدرسة المادية، وسليلتها مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

فالعصر الوسيط يزخر بكم هائل من المدونات، التي أرخت لهذه الفترة المهمة في مسيرة تاريخ المسلمين، حيث تناول بعضها الحياة السياسية والعسكرية[1]، ومنها من أرخ للحياة اليومية متناولا الجانبين الاقتصادي والاجتماعي.

فمن هذه المصادر الأخيرة التي تناولت الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، كتب المناقب التي عدها بعضهم جنسا أدبيا، فما الاعتبارات التي دعتنا إلى اختيار جنس المناقب من جملة المدونة الصوفية؟ وما الفرق بينها وبين كتب التصوف العام؟ وأي علاقة تجمع هذا النوع الأدبي بالتاريخ؟ وقبل هذا هل يمكن التسليم بأن الخطاب المناقبي خطاب أدبي؟ وإلى أي حد تعتبر الكتابة المناقبية كتابة تاريخية؟ وهل يمكن الإتكاء عليها كدعامة مصدرية تكامل المدونة الإخبارية والمدونة الفقهية، في التأريخ للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية في الفترة الوسيطة؟

المطلب الأول: كتب المناقب بين الأدب والتاريخ والأجناس الأخرى

الفرع الأول: المناقب وتطور الدلالة

أولا: الدلالة اللغوية للمناقب

تحيل المعاجم اللغوية على معاني لفظ المناقب بما يوحي بالتقاطع فيما بينها، ومما جاء في ذلك؛ النَّقْب: "الثَّقْب في أَي شَيْءٍ كانَ"، والْمنْقَبَة: "الطَّرِيق الضَّيِّق بين دارين"، "والنَّقِيبةُ: النَّفْس؛ وقيل:الطَّبِيعة؛ وقيل:الخَلِيقَة"،"والنَّقِيبة: يمن الْفِعل"، "والمنقبة: كَرم الْفِعل، والمنقبة: ضِدُّ الْمثْلَبَة" "وقولهُم: في فُلان مناقِب جَمِيلَة، أَي أَخلاق، وهو حسن النَّقِيبة، أَي جَمِيل الْخَلِيقَة"[2].

وعلى العموم فإن لفظ المناقب يدورَ حول معاني الفطرة السوية والأفعال القويمة والأخلاق الحسنة[3]، فالمنقبة تشمل سريرة الإنسان وحسن الأقوال وقوام الأفعال.

---

[1]- تعد كتب التاريخ العام وكتب التراجم المورد الأساسي في التأريخ للأحداث السياسية والعسكرية والاهتمام بتاريخ النخبة العالمة، بينما تنفرد مدونات أخرى بذكر المعطيات الاقتصادية والاجتماعية. يراجع: محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ط2، 2014، ج1، ص10.

[2]_ ابن منظور، لسان العرب، ص4513-4515.

[3]_ أيوب بن جود وبلقاسم مالكية، أدب المناقب المفهوم والجذور، مجلة مقاليد، الجزائر، عدد10، السنة2016، ص67.

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للمناقب

تمثل المناقب من حيث الاصطلاح "مجموعة من السياقات والوقائع والأحداث تتصل بسيرة شخصية أو مجموعة من الشخصيات، اشتهر جميعها بصدق الطوية وصلاح السلوك تأصيلاً للموعظة، وإثماراً لنهجها الفاضل القويم"[1]، وعليه فإن كتب المناقب في أصلها؛ هي الإخبار بطباع الشخصية المراد الترجمة لها من خلال تتبع فضائلها ومآثرها بغرض الإقتداء والاهتداء.

وقد شهد لفظ المناقب عبر تاريخه تطوراً وتشعباً جعله في البداية يأخذ خصوصية تقتصر على "الكتب النثرية التي حكت كرم الفعل لدى شريحة من الزهاد والمتصوفة والصلحاء والأولياء والمرابطين، على هيئة سير ضبطت حياتهم اليومية وسلاسل أنسابهم وممارساتهم الدينية والاجتماعية"[2]، غير أن اللفظ لم يقف عند هذه الدلالة بل صار يدل في الغالب الأعم على الكتابات التي تهتم بأولياء التصوف من خلال ذكر كراماتهم وخوارقهم[3]، حتى يحصل الاقتداء بهم والسير على نهجهم وطريقتهم في التعبد.

وتجدر الإشارة أن هذا النوع من الكتابة يتقاطع مع العديد من الأجناس التراثية[4]، ككتب السير والتراجم والأخبار، غير أن لكل نوع من هذه الأشكال المصدرية خصائصه ومميزاته، التي من خلالها يمكننا تصنيف هذه النصوص التراثية، بغية الولوج لإدراك عناصر التميز والاختلاف فيما بينها، ما يتيح للباحثين فرصة المقارنة بين نصوصها وتحديد مقدار الاستفادة والتكامل الذي تقدمها وتفصح عنها خطاباتها ومضامينها.

فكتب السير العامة مثلا تقتصر على دراسة شخصية واحدة، فتأتي في شكل قصصي ممتع، يتحرى صاحبها الدقة في جمع الأخبار والتحري في سرد الأحداث[5]، فنجد كتب أطلق عليها مؤلفوها اسم سيرة؛ كسيرة المصطفى ﷺ لابن هشام.

---

[1] ـ لطفي عيسى، مدونة المناقب ببلاد المغرب من القرن 10م إلى القرن 17م عرض منهجي نقدي، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، العدد130، ص41.

[2] ـ الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط –مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط–، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020، ص60.

[3] ـ هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون، ص52. ولطفي عيسى: مدونة المناقب ببلاد المغرب، ص40.

[4] ـ ونقصد هنا بالأجناس الأخرى كل الكتابات التراثية الموازية والمتقاطعة مع كتب المناقب مثل: كتب التراجم والطبقات والسير والأخبار، لمزيد من المعلومات حول أشكال الكتابة التراثية الموازية لكتب المناقب، يراجع: هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون، ص52-55.

[5] ـ أيوب بن جود وبلقاسم مالكية، أدب المناقب المفهوم والجذور، ص71.

أما كتب التراجم فتختص بالترجمة للأعلام المبدعين والنابهين، وما يميز نصوصها أنها "تبدو حيادية"[1]، وتطلق على كل دراسة تتناول أكثر من شخص واحد وما يميزها أنها لا تركز على الفضائل والايجابيات فقط بل تتعداه لذكر السلبيات والمثالب.

بينما تتميز كتب المناقب عن غيرها، باعتبارها تضفي قداسة على الشخصيات المترجم لها، فتقدمها في صورة إيجابية تمجيدية، تطغى عليها المرويات الكرامية، فكتب المناقب وإن كانت تتقاطع مع الأجناس الأخرى في بعض خصائصها، إلا أن لها ما يميزها من حيث؛ أسلوبها ولغتها ومضمونها[2].

وبالمقارنة نجد أن كتب السير والتراجم أقرب إلى صنف الحوليات من كتب المناقب، فهي تسعف الباحثين في الدراسات التاريخية في التعرف على الحيثيات التاريخية وتفاصيل الحوادث وأماكنها ومواضعها، بينما تطغى على كتب المناقب النصوص الوعظية والكرامية، فكيف يمكن الجمع بين نصوصها الملغزةوبناء الواقع التاريخي وحوادثه؟

الفرع الثاني: علاقة كتب المناقب بالتاريخ

ينوه الباحث هشام عبيد في كتابه القيم حول: **تونس وأولياؤها الصالحون** إلى الريادة التي حققها الفكر الإستشراقي في الإهتمام بنصوص المناقب، حيث يشير إلى الدور الريادي الذي لعبه المستشرق روبار برنشفيك (Robert Brunschvig)، في الاهتمام بنصوص المناقب وبيان أهميتها وقيمتها، وذلك في أطروحته عن بلاد البربر الشرقية، معتبراً أن نصوص المناقب كانت "مصادر أساسية ضمن مجموعة مصادر بحثه خصوصاً لدى تعريفه بالحركة الصوفية في العهد الحفصي"[3]، غير أنه ينبه إلى ملاحظة مهمة تستدعي الانتباه في أن المؤرخ "روبار" أثناء التعريف بها وذكر خصائصها لم يفرق بين كتب التصوف وكتب المناقب "رغم الطابع التاريخي"[4] لهذه الأخيرة.

بينما يذهب توفيق بن عامر أن الحقيقة التاريخية ليست هي الغاية من تأليف كتب المناقب "وإنما التاريخ فيها بالعرض وما هو بالجوهر"[5]، فالهدف منها في الابتداء هو "بيان المنهاج للاقتداء وإضاءة السراج

---

[1] ــ ولا يمكن تعميم هذا الحكم على كل كتب التراجم، فبعضها يضفي عليها مؤلفوها مسحتهم العقدية ونزعتهم الإيدوولوجية. يراجع: هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون، ص53.

[2] ــ يراجع: أيوب بن جود، أدب المناقب في كتاب سكردان السلطان لإبن أبي حجلة التلمساني، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009_2010، ص18.

[3] ــ هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون، ص22.

[4] ــالمرجع نفسه، ص23.

[5] ــتوفيق بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، المركز الثقافي العربي ومؤمنون بلا حدود، المغرب، ط1، 2013، ص217.

للاهتداء"[1]، والمقصد الأساسي لها في الانتهاء رسم الأنموذج الولائي[2]، "عبر ترسيخ للمثال وتوصيف للإنسان الكامل السائر على قدم الأنبياء والأولياء"[3].

ومما سبق يتضح أن هناك تباين في الحكم على كتب المناقب فمنهم من يعدها نصوص ذات طابع تاريخي، ومنهم من يعدها جنس له خصائصه وخصوصياته التي أسهمت في بلورته وتشكله[4]، ولتوضيح الرؤية أكثر وجب التفريق بين خصائص الكتابة التاريخية والكتابة المناقبية:

تهدف الكتابة التاريخية في العموم إلى تقديم صورة واضحة عن الحوادث التاريخية في زمان محدد ومكان معين، بينما تقتصر كتب المناقب على "التعريف بفئة اجتماعية معينة ذات سمات مشتركة"[5]، فهي تقوم بالأساس على تتبع سير الصالحين والأولياء[6]، كما تتميز بعض نصوص المناقب بالنمطية والتكرار الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى إلغاء البعد الزمني، هذا ما دعا بعضهم لاعتبارها نصوصاً يغلب عليها البعد المكاني[7]، بالإضافة إلا أن الكتابة التاريخية تعتمد من حيث أسلوبها على التقرير والسرد والتوثيق الذي يراهن على واقعية الأحداث، بينما تميل الكتابة المناقبية إلى الأسلوب الكرامي والخطاب الصوفي المغرق في التخييل.

رغم الاختلافات بين المدونتين باعتبار أن لكل خطاب خصوصياته التي أسهمت في تشكله وبلورته، إلا أن الخطابان يتقاطعان كحال مجمل الخطابات التراثية التي تتداخل من حيث بناها[8]، فالربط بين كتب التاريخ وكتب المناقب له أهمية بالغة من حيث معرفة ظروف التأليف والقصد منه وغاياته، ومنه يمكن تحديد نقاط

---

[1] ـ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي طلاق العقل وأوهام التاريخ، المركز الثقافي العربي ومؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ط1، ص59.

[2] ـ توفيق بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، ص 217.

[3] ـ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص59.

[4] -كالأسلوب واللغة والمضمون كما سبق ذكر ذلك؛ بالإضافة إلى عنصر القداسة أو الصلاح باعتباره العنصر المهيمن أو الموجه لمقصديات إنتاج النصوص المناقبية وتأليفها، يراجع: محمد الماكري، ملامح من التاريخ الثقافي لدرعة من خلال كتب المناقب، ضمن كتاب: مقالات في الأدب واللسانيات، أعمال مهداة إلى روح الفقيد محمد الماكري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، 2007، ص 08.

[5] ـ لمياء لغزاوي، وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي، ضمن كتاب: إدراك المراد من تحقيق المستفاد، تنسيق: جمال بوطيب، منشورات مقاربات، فاس، المملكة المغربية، [2018]، ص158.

[6] ـ محمد البقالي، البلاغة والتاريخ في الخطاب المنقبي كتاب المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي لعبد الخالق العروسي أنموذجا، ضمن كتاب: بلاغة الخطاب التاريخي، ص199.

[7] ـ يمكن القول أنها نصوص مجالية. يراجع: لطفي عيسى، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ، دار سيراس للنشر، تونس، [1993]، ص16.

[8] ـ وذلك بسبب أن مختلف هذه الخطابات تشكلت في اطار معرفة واحدة وثقافة واحدة، مع عدم مواكبة التنظير لأشكال الكتابة. حول هذه الفكرة يراجع: هشام عبيد، تونس وأولياؤها الصالحون، ص54.

التكامل والتواصل بين المدونة المناقبية والمدونة الأخبارية، ولم يأتي اختيارنا لمدونة المناقب من بين مدونة التصوف جزافاً أو أمراً اعتباطياً، بل خضع لاعتبارين:

أولا: ما تعلق بسيرة المتصوفة

1- اعتبار أن رجال التصوف وأرباب الزوايا بالمغرب كانت لهم حظوة لدى كل من الحكام والمحكومين، وحظوا بكل أصناف التجلة والتبجيل لأجل ما اضطلعوا به من المهام الحيوية لصالح المجتمع والدولة[1]، فدونت أخبارهم وسيرهم وحفظت طريقتهم.

2- انخراط المتصوفة في قضايا وهموم المجتمع، جعل من سيرتهم مورد غني بالمعطيات الحضارية التي تمكن المؤرخ من بناء ورسم صورة واضحة عن الواقع التاريخي في ذلك العصر، وتجلية الغطاء عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي لتلك الفترة.

ثانيا: ماتعلق بالمدونة المناقبية

1- اختلاف الغاية والقصد من التأليف، إذا تعد المناقب خطابا صوفيا محضا، عبره استطاع الأولياء أن يضمنوا استمراريتهم في الذكر، "وبواسطته يستطيع الباحث في الحقل التاريخي أن يضبط تذبذبات الحياة الاجتماعية والعائلية والفردية للأولياء المترجم لهم"[2].

2- طبيعة المعطيات التركيبة التي تقدمها تكسبها بعد وثائقيا بالغ الأهمية لما تكتنزه من معلومات تخص مختلف المواضيع التي اكتنفت حياة الناس العاديين، فمنها من ذكرت حياة الأولياء وما تعلق بهم في عصر من العصور، ومنها من أرخت لصُلَّاح مدينة معينة[3]، وأخرى أرخت لولي بعينه، وهذا ما أكسبها البعد الشمولي والتوثيقي في الآن نفسه.

3- المعطيات الواردة في كتب المناقب تتميز بالواقعية، رغم ما يتخلل بعضها من نمطية ومبالغات، باعتبار أنها تتناول أشخاص حقيقيين لهم وجود في التاريخ.

4- تكامل المدونة المناقبية مع مدونة الأخبار فهي تؤرخ للواقع من منظور وزاوية مختلفة تكسبها نظرة موضوعية للأحداث، فالمؤرخ مهمته سردية يرسم الواقع كما هو، بينما تميل النصوص المناقبية إلى الترميز ما يساعد على تنويع زوايا النظر إلى الماضي بحسب المعطيات المتاحة لدى المؤرخ.

من خلال هذه الاعتبارات ورغم خصوصيات النصوص المناقبية، إلا أنه وجب الجمع بينها وبين كتب الأخبار التاريخية، كمدونتين تكملان بعضهما البعض وترسمان ملامح العصر الوسيط، بكل تشكيلاته

---

[1]_ مُحَمَّد العمراني، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، مجلة المصباحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، المغرب، العدد9، السنة2012، ص43.

[2]_ لمياء لغزاوي، وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي، ص157.

[3]- يراجع: علي علام، إسهام كتب التراجم والمناقب في التأريخ لمدينة فاس، مجلة المصباحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، العدد9، السنة2012، ص 28-42.

وأطيافه وخطاباته، فالخطاب المناقبي قابل للتطويع والاستغلال التاريخي، بغض النظر عن جنسه والحقل الذي ينتمي إليه فهو في جوهره تاريخ لأفراد واقعيين عرفوا بالولاية والصلاح في تفاعلهم مع مجتمعهم.

الفرع الثالث: كتب المناقب بين الأهمية والعوائق

أولا: أهمية كتب المناقب في الكتابة التاريخية

قد سبق التنبيه إلى أهمية المدونة المناقبية من لدن الكثير من الباحثين، ويأتي في طليعة هؤلاء المستشرقون، وقد تبعهم مجموعة من المؤرخين المغاربة المعاصرين، فعقدت لهذا الغرض ندوة بالرباط بتاريخ (8_9 أفريل 1989م)، ساهم فيها مجموعة من الباحثين المغاربة، صدرت تحت عنوان "**التاريخ وأدب المناقب**"، ضمن منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ولعل العنوان الذي اختير للندوة يحمل إشارات واضحة إلى تقاطع المدونة المناقبية مع الأدب والتاريخ، وقد جاءت مضامين البحوث عاكسة لمدى أهمية البعد المناقبي في دراسات القضايا التاريخية عموما، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي على وجه الخصوص.

ويشير الباحثان حليمة فرحات وحامد التريكي في مقالهما المعنون بـ:"**كتب المناقب كمادة تاريخية**"[1]، ضمن نفس الكتاب إلى ضرورة الرجوع إلى مدونة المناقب باعتبارها مكملة للمدونة الكلاسيكية، التي تعتبر في نظرهما عاجزة عن فهم الأحداث التاريخية التي طبعت المجتمع في مرحلة العصر الوسيط، وما يزيد من رجاحة هذا القول أن مدونة المناقب لم تكتب بغرض التأريخ كما ذكرنا سابقا، ما يجعلها شواهد خالية من كل تدبير مقصود، فغايتها كما أسلفنا بناء نموذج ولائي.

ومما يزيد من مصداقيتها وقبولها لدى المؤرخين إذا ما قارنها بغيرها من المدونات، "اعتمادها على عنصر السند في تدوين الأخبار والروايات"[2]، وهو العنصر والخاصية التي تفتقدها كتب الأخبار التاريخية.

وهنا لابد من بيان أن اعتمادها على عنصر السند في التدوين يرجع إلى إقتدائها بكتب الحديث، وذلك من أجل إضفاء مصداقية على الروايات الواردة في ثناياها[3]، باعتبارها تؤرخ لأشخاص مبجلين يقومون مقام النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وعليه فإن هذه المدونة تهتم بذكر مناقب الصلحاء، فهي في الأصل وضعت "للتعريف بفئة اجتماعية معينة ذات سمات مشتركة، فتفصح عن مولد الأولياء ونشأتهم ومراحل طلبهم للعلم وشيوخهم

---

[1]_ حليمة فرحات وحامد التريكي، كتب المناقب كمادة تاريخية، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، المنعقد بتاريخ: 8-9 أفريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، المغرب، 1989، ص51.

[2]_باعتبار أن كتب المناقب تدخل في حقل السير والتراجم والطبقات وهي كتب نسجت على طريقة المحدثين لأن المعنيين فيها هم أشخاص مبجلون. يراجع: أحمد توفيق، التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، ص81-82. ومحمد العمراني، كتب المناقب وترسيخ الأعتقاد في الكرامات الصوفية، ص43.

[3]_ لطفي عيسى، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ، ص15.

وتلامذتهم وأحوالهم التعبدية والكرامية وأعمالهم في التدريس والتأليف، مع ذكر وفياتهم وتأثيرهم في المجتمع حتى بعد مماتهم"[1]، إذ يراد من الترجمة لهم؛ ذكر مناقبهم بغية الاقتداء بهم وتخليد نموذجهم الرسالي.

وعلى كلٍ فإن كتب المناقب في الغالب تؤسس للحياة الفردية للأولياء، بحيث تطغى عليها سمة الذاتية[2]، فهذه المعطيات والجزئيات المنفردة من حياة الأولياء وسيرتهم، تمكننا من خلال تتبعها ورصدها في سياق تركيبي يعتمد على تراكم المعلومات والمقارنة بينها للنفاذإلى الجوانب الخفية التي تختزها نصوصها.

هذه السمات والخصائص التي طبعت مدونة المناقب تجعل منها موردا هاما للتاريخ الحضاري ككل، فهي كما وصفها أحد الباحثين "أقرب إلى قاعدة المجتمع"[3]، وهذا ما يؤكده المؤرخ المنوني من أن هذه المصادر "تفتح أمام الباحثين أفاقا قد تكون فسيحة في الكشف عن ألوان من التاريخ الحضاري، وأحيانا من تاريخ الشعوب"[4] وبالتالي تمكن الباحثين من رسم صورة واضحة ومتكاملة عن حياة الناس العاديين.

ومن خلال ما سبق يتضح أن كتب الأخبار تتميز بالدقة والضبط ما يفوق كتب المناقب، نظرا لبعدها الوثائقي، وكذا لاختلاف الغاية والقصد من التأليف، بالرغم من ذلك يبقى لها أهمية بالغة في فتح دروب جديدة للبحث التاريخي، وتزداد أهميتها في تكامل المصادر من أجل بناء تاريخي متكامل، غير أن بعض المؤرخين ينبه أن استعمال نصوص المناقب في الكتابة التاريخية يطرح مجموعة من الإشكالات المنهجية والمعرفية، نظراً لطابعها الكرامي وخصائصها الغير تاريخية، باعتبارها خليط بين الواقع والمتخيل وبين التاريخ والأسطورة[5]، وبالتالي فهي نصوص غير جاهزة للاستثمار في نظر بعض المؤرخين.

غير أن هذه الإشكالات التي تطرحها لم تثني عزيمة المؤرخين عن الاستفادة من المعطيات الموجودة بين طيات نصوصها، بالإضافة لما تفتحه من دروب جديدة للبحث في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، فما هي العوائق التي تطرحها النصوص المناقبية؟ وما الخطوات والطرق التي تمكن المؤرخ من تجاوزها والاستفادة منها؟

---

[1] ـ لمياء لغزاوي، وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي، ص158.

[2] ـ غير أن هذه الملاحظة لا يمكن تعميمها على باقي مدونات التراجم، لعدم توفر مبدأ "إضفاء القداسة" على الأشخاص المترجم لهم، يراجع: محمد البركة وسعيد بنحمادة، مصادر تاريخ الغرب الإسلامي محاولة في التركيب والرصد، منشورات آنفو برانت، فاس، المغرب، ط1، 2016، ص64-78. لمياء لغزاوي، وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي، ص159.

[3] ـ يراجع مقدمة المحقق عبد العزيز بوعصاب لكتاب: مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار، لأبي العباس أحمد الولالي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص47.

[4] ـ محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج1، ص10.

[5] ـ الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدين والمجتمع، ص61.

ثانيا: عوائق استغلال كتب المناقب

بالرغم من أهمية المدونة المناقبية كما مر معنا، غير أن توظيفها في الكتابة التاريخية ينجر عنه مجموعة من الإشكالات والمزالق التي ترجع بالدرجة الأولى إلى الأسلوب واللغة و المضمون والغاية المرجوة من تأليفها. فما هي العوائق التي تفرزها؟ وكيف يمكن للمؤرخ تجاوزها؟

رغم إقرار العديد من الباحثين بأهمية المدونة المناقبية وضرورة التحرر من السرد التاريخي واستبداد الوثائق التاريخية، غير أنهم لا يخفون هواجسهم إزاء الإشكالات المنهجية التي تطرحها بحيث يقر الباحث لطفي عيسى أن "المعضلة الفعلية مع هذا النوع من المصادر تكمن في كيفية استقرائها وإعادة ترتيب مضامينها"[1]، كما نجد هذا التخوف لدى مُحَمَّد العمراني فرغم إقراره بأهمية المدونة المناقبية في البحث التاريخي غير انه ينبه لضرورة الاحتراس مما يكتنف نصوصها من غموض[2]، باعتبارها نصوص تعطي الأولوية للفضاء المجالي على البعد الزمني، فالتاريخ الزمني في كتب المناقب يحضر بشكل عرضي، وبالتالي نحن أمام نصوص يمكن أن نطلق عليها اسم "النصوص النمطية"[3] التي تخترق حدود الزمان والمكان لتظهر بشكل متكررة في التاريخ، مما حذا بالباحث عبد السلام المنصوري أن يسمها بالتاريخ الأفقي أو "التاريخ الساكن الذي لا يخضع لمنطق النمو والتحول والتبدل، بل يخضع لمنطق التراكم والثبات والتجاوز"[4]، فنصوصها تحاول التأسيس لنماذج "متعالية عن التاريخ متسامية عن الواقع"[5].

هذه الأحداث المتعالية عن الواقع الخارقة للعادة التي تدعى بالكرامات تأخذ حيزاً كبيراً في كتب المناقب، ما يجعل المؤرخين يتخوفون منها ويدرجونها في خانة المعطيات الغير قابلة للاستهلاك التاريخي، باعتبارها نصوصاً تقوم على خوارق العادات، بينما يقوم التاريخ على دراسة الأحداث العادية المطابقة للحقيقة في الواقع، بالإضافة إلى لغتها التي تعتمد على لغة التبجيل والتضخيم للأشخاص المترجم لهم.

غير أن الأمر لا يتوقف عند هذه النقاط؛ بل إنّ أغلب كتابات الصوفية، قد كتبت "حسب تمثلات المتأخرين"[6]، وهذا ما يزيد من صعوبة الفصل بين ما هو واقع حقيقة كحوادث تاريخية، وبين ما ينبغي أن

---

[1] _ لطفي عيسى، أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ، ص06.

[2] _ مُحَمَّد العمراني، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، ص44.

[3] _ يراجع: عبد الأحد السبتي، مفاتيح النص المنقبي، ضمن كتاب: التاريخ والذاكرة.. أوراش في تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012، ص101-102.

[4] _ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص64.

[5] _ المرجع نفسه، ص70.

[6] _ المرجع نفسه، ص70.

يكون، وقد أشار إلى هذه الملاحظة عبد السلام المنصوري، منبها إلى ضرورة التفطن لإسقاطات مؤرخي الصوفية، وذلك من خلال مراعاة التطور التاريخي للفكر الصوفي[1].

كما يقر أحد الباحثين أن الصرامة العلمية التي فرضتها المدرسة الوضعية على مفاهيم التاريخ، وعلى أنواع المصادر المستعملة في بناء الحوادث التاريخية، يؤدى في غالبيته إلى التجني وإقصاء موروث ضخم ومن ضمنه المدونة المناقبية التي تفتح أفاق رحبة للباحث في الحقل التاريخي، فالحصافة حسب رأيه تقتضي "جمع هذا الرصيد وإدراجه ضمن دائرة البحث، فما يبدو حشو وتفاهة لفظية قد يقرأ عند انفتاح المؤرخ على اختصاصات مجاورة، واكتسابه لأدوات إضافية"[2].

فمن الضروري الاستعانة بمناهج جديدة وأدوات تُمكّن من استنطاق هذه النصوص وتأويلها دون السقوط في مزالق التأويلات الذاتية، من خلال رؤية تسمح بالوقوف على المعطيات التي ترد في نصوصها بطريقة غير مقصودة، وقد أشار عبد السلام المنصوري إلى الدراسات الحديثة التي قدمت رؤى ونماذج تفسيرية[3]، والتي حاولت مقاربة النصوص المناقبية، من خلال تقديم مداخل منهجية جديدة تساهم في فهمها وتقريبها للواقع والحقيقة التاريخية.

وتعد المقاربة التي قدمها الباحث عبد الأحد السبتي من خلال مقاله "مفاتيح النص المنقبي"، من أهم المقاربات بحكم تخصصه في التاريخ، حيث دعا من خلالها إلى ضرورة التمييز بين ثلاث مستويات في النصوص المناقبية؛ وهي: "السياق والنمط والوظيفة"[4].

وبالرغم من هذه الدراسات المنهجية القيمة والمقاربات التفسيرية المقدمة، إلا أن الحاجة قائمة لمزيد من الدراسات التي تحاول جمع هذا الموروث الضخم من خلال تحقيقه وتبويبه وفهرسته، حتى يسهل على الباحثين استغلال معطياته، بالإضافة إلى ضرورة القيام بعميلة جرد للكرامات الصوفية الواردة في طيات هذه المدونة، مع محاولة وضع قاموس صوفي يفسر هذه الكرامات ويربطها بسياقها التاريخي.

---

[1] _ المرجع نفسه، ص71.

[2] _ لطفي عيسى، أخبار المناقبفي المعجزة والكرامة والتاريخ، ص6.

[3] _ يذكر عبد السلام المنصوري في كتابه القيم "بنية الخطاب المنقبي" حوالي ستة مقاربات قدمها بعض الباحثين كمحاولة لفهم النصوص المناقبية والكرامية؛ أولاً: وهي المقاربة التي قدمها عبد الأحد السبتي في مقاله مفاتيح النص المنقبي، ثانياً: مقاربة نمطية وقدمها الباحث الميلودي شغموم في كتابه "المتخيل القدسي في التصوف الإسلامي : الحكاية والبركة"، ثالثاً: المقاربة السوسيولوجية، وهي مقاربة قدمها الباحث إبراهيم القادري بوتشيش، في مقال له بعنوان "واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات"، رابعاً: المقاربة السيكولوجية، وقد قدمها الباحث علي زيعور في كتابه "الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم: القطاع اللاواعي في الذات العربية، خامساً: المقاربة الرمزية، وقد قدمها الباحث محمد مفتاح في كتابيه "دينامية النص" و"التلقي والتأويل". سادساً، المقاربة الأدبية، وأشتهر بها الباحث عبد الفتاح كيليطو". يراجع : عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المناقبي، ص80-109.

[4] _ عبد الأحد السبتي، مفاتيح النص المنقبي، ص99.

مع الضرروة التنبيه إل أن القراءة التأويلية للنصوص المناقبية يجب أن تأطرها مجموعة من الضوابط "حتى لا ينساق المحلل لمعارفه فيسقط على الترجمة كل ما يخطر بباله"[1]، وذلك بتحميل الترجمة ما لا تحتمل، وإسقاط تصوراته الخاصة على النصوص.

ومن ذلك العمل على كشف الخلفيات المؤسسة للنصوص المناقبية، من خلال البحث في سيرة مؤلفيها بالإضافة إلى معالجة هذه النصوص من خلال العمل على جمعها وترتيبها، والمقارنة بينها وبين غيرها من المدونات، فهي في الغالب تعاضد وتصوب بعضها البعض سواء ما تعلق بالنصوص الإخبارية أو نصوص الطبقات والتراجم وهي النوع الأقرب إلى كتب المناقب[2]، هذه العمليات المقترحة تساهم في "استخلاص معلومات تاريخية أو لمناقشة وتحديد أسماء أعلام أو أماكن أو أشخاص أو ما شابه ذلك من أشكال الاستثمار"[3]، مما يسهم في بلورة معطيات حضارية تساعد في بناء واقع تاريخي متكامل يرتبط فيه السياسي بالاقتصادي بالاجتماعي بالثقافي.

كما لا تقتصر هذه الفائدة على استخراج المعطيات الحضارية بل تتعدى ذلك لتعود بالفائدة على المدونة المناقبية ذاتها، وذلك من خلال رصد منهجيتها في التأليف وأنواعها وخصائصها.

ومما يزيد من مصداقية المدونة المناقبية هو ارتباطها "بالمجتمع البدوي والحضري"[4] في الآن نفسه، ما يجعل منها سجلا وثائقيا في قالب تاريخي اجتماعي؛ قالب تاريخي لتعلقه بالزمان والمكان، وقال اجتماعي لتعلقه ببنية اجتماعية، إضافة إلى بعد أصحابها عن الوظائف السلطانية[5] التي تقيد من حريتهم في الكتابة والتدوين، مما أضفى على نصوصهم ميزة قلما نجدها في المدونات الأخرى التي يغلب عليها الطابع الإيديولوجي.

وجب التذكير أن المادة التاريخية الموجودة في المدونة المناقبية ترد بالعرض وليس بالجوهر، وهذا ما يفسر حداثة الاهتمام بالنصوص المناقبية، وقد أشرنا أن البحث التاريخي اهتم بالمناقب مع ظهور الدراسات الاستشراقية، ثم اتبعه تيار من المؤرخين المعاصرين المتبنين لرؤية جديدة للتاريخ وللوثيقة التاريخية، "إيمانا منهم أن التاريخ لا تشكله الوقائع المادية المكتوبة فقط بل تصنعه أيضا الأحلام والأوهام والمعتقدات والرموز التي تتزامن

---

[1] ـ محمد مفتاح، الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، ص33.

[2] ـ محمد سعيد، الإمكانيات ومحدودية النص المنقبي في الكتابة التاريخية.. مناقب أبي اسحاق الجبنياني نموذجا، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، الجزائر، عدد5-6، جوان2014-2015، ص171.

[3] ـ محمد الماكري، ملامح من التاريخ الثقافي لذرعة من خلال كتب المناقب، ص9.

[4] ـ الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، الجزائر، عدد04، جوان2013، ص165.

[5] ـ بخصوص مهن وحرف بعض المتصوفة في العصر الوسيط. يراجع: كوثر بن قري وإبراهيم بن مهية، متصوفة تلمسان وممارسة المهن والحرف من خلال كتب المناقب المرزوقية، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد34، عدد1، السنة2020، ص988-1016.

مع الحادثة أو تتقدمها أو تخرج من رحمها"[1]، وذلك من خلال استغلال مختلف الوثائق التي تساعد في فهم التجربة الإنسانية في التاريخ.

من خلال تجاوز هذه العقبات تمكننا النصوص المناقبية من إنجاز أرضية للتأريخ للمعطيات الحضارية خلال العصر الوسيط، "عبر عملية جرد لأسماء الأعلاموالأماكنوالمدارسوالزوايا وبالرباطات، عبر استخلاص مجموعة من المعطيات الأخرى كالرحلات العلمية، أو الرحلات ذات الطابع الديني الخ، كما يمكن أن تفيد في إعطاء نظرة عن المتون المدروسة أو المؤلفات المكتوبة، وعن طبيعة الأسانيد والشيوخ وكذا أصحاب الأوراد والطرق الصوفية وأخيرا عن التلاميذ من الوافدين أو من المحليين، هذا إضافة إلى عناصر أخرى كالمراسلات والفتاوى والأجوبة والعلوم والصنائع ثم الطباع حينما يتعلق الأمر بعلم بعينه، وطرق التلقين ثم معطيات عامة تهم التاريخ والأسطورة"[2].

وعليه فإن كتب المناقب تعد "إحدى المتون المصدرية التي تعكس رصيداً لا يستهان به من المعطيات الجزئية التي تتطلب التراكم والمقارنة والتحقيق لأجل ملامسة واقع الظواهر الاجتماعية والتاريخية"[3].فما وجه الإفادة التي تقدمها كتب المناقب للكتابة التاريخية؟ وكيف تسهم في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي؟

المطلب الثاني:كتب المناقب مصدرا من مصادر المعطيات الاقتصادية والاجتماعية

تعد مدونة المناقب موردا أساسيا للباحث في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، فحركة التصوف تمثل ظاهرة اجتماعية تشكلت عبر حقب زمنية متفاوتة، بحيث شكلت إفرازاتها مادة علمية كفيلة برصد التطورات والتغيرات على مستوى قاعدة المجتمعات الوسيطة، ولا يتأتى لنا هذا إلا من خلال رصد العلاقة بين الولي والمجتمع وبين الولي والسطة.

وذلك ما تعكسه حركة التصوف في الغرب الإسلامي، والتي تشكلت عبر حقب زمنية متفاوتة ومثلت تياراكبيرا، إذ تمثل إفرازات هذه الظاهرة مورداً أساسياً للبحث التاريخي فقد عكست نصوصها وسيرة رجالها هموم الناس وسلوكاتهم وذهنيات المجتمع.

وذلك من خلال ما اضطلع عليه المتصوفة من أدوار مجتمعية خولت لهم بشكل كبير إعادة التوازن إلى المجتمع، وهذا ما تفصح عنه كتب المناقب، ما يمكننا من اعتبارها "ذاكرة مليئة بمواطن الاستلهام"[4].

---

[1] ـ مُحَمَّد ياسر الهلالي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم التميمي الفاسي دراسة وتحقيق مُحَمَّد الشريف –المضمون والمنهج–، ضمن كتاب: إدراك المراد من تحقيق المستفاد، ص87.

[2] ـ مُحَمَّد الماكري، ملامح من التاريخ الثقافي لذرعة من خلال كتب المناقب، ص10-11.

[3] ـ لمياء لغزاوي، وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي، ص155.

[4] ـ مُحَمَّد جبنوبي، الأولياء في المغرب الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيثقافية –حياة وسير بعض مشاهير أولياء المغرب– ، مطبعة دار القرويين، المغرب، 2004، ص31.

بالرغم من الصعوبات التي أقرتها الدراسات التي حاولت استغلال المدونة المناقبية، إلا أن انفتاح المؤرخ على معارف متعدد ومناهج جديدة، خول له إعادة مساءلة هذه المدونة ما جعلها مورداً مهما للباحثين في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، من خلال رصد التحولات والتغيرات البطيئة على مستوى قاعدة المجتمع، وخاصة بعد ما شهده عصر الموحدين من "ظهور التأليف المنظم في ميدان الكرامات والمناقب"[1]، وتوالي التآليف بعدها.

وقد رصدنا هذا التفاعل الذي جسدته هذه المدونة مع المجتمع من خلال ثلاث أبعاد أساسية؛ تمثل روافد أساسية لكتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

الفرع الأول: سيرة الولي والمعطى الاجتماعي

إن المتتبع لسيرة الأولياء في كتب المناقب يجدها حافلة بالمعطيات والمعلومات التي تخول للباحثين بناء صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية، فهذه التراجم تعد "مرجعيات أساسية للتاريخ الاجتماعي"[2]، فالحياة الخاصة للأولياء تقود نحو معرفة الحياة العامة للمجتمع ككل، ومنه تقودنا هذه السيرة المبثوثة في طيات هذه المدونة إلى معرفة الحالة الاقتصادية والاجتماعية لذلك المجتمع في زمن ذلك الولي المترجم له.

إن النصوص التي تخلفها تراجم الأولياء لا تتعلق فقط بالتاريخ الديني لهم، أو بعلاقتهم مع السلطة، وما ينجر عن ذلك من أحداث وقضايا سياسية، بل تفصح سيرهم في الغالب عن جوانب اقتصاديةواجتماعية، قلما يلتفت إليها، فتأتي عرضا في سياق الترجمة للولي حيث تعد معلومات مهمة للمؤرخ أكثر من مادة الترجمة نفسها[3].

وهذا ما يخول لنا القول أن تراجم الأولياء تمثل صورة المجتمع بكل ما يحمله من تشعبات وتناقضات، وذلك من خلال استقراء سيرة الأولياء الحافلة بالشهادات العفوية التي تمكن المؤرخ إذا ما قرأها قراءة مغايرة من البوح بأحداث لم يكن كاتبها يقصد التأريخ لها، بدءاًبمسقط رأس الولي وانتهاء بمكان وفاته.

إن الصورة التي تسوقها كتب المناقب عن الأولياء تجعل منهم موردا هاما ليس في سيرتهم الخاصة فحسب بل فيما يخلفونه من أثر في نفوس أتباعهم، فسيرتهم تعبر عن حياة الناس وعاداتهم، وفي بعض الأحيان تصبح "عنصرا بانيا للحياة الاجتماعية العادية"[4]، من خلال ما "تقيمه من أعياد سنوية واحتفالات صوفية دورية، فهي تنشئ علاقات جماعية متينة جدا، وتنمي علاقات اجتماعية أخرى سائدة، كعلاقات القرابة

---

[1] ـ الحسين بولقطيب، الكرامة والرمز: كرامات أولياء دكالة خلال عصري المرابطين والموحدين نموذجا، مجلة دراسات عربية، بيروت، عدد 3-4، سنة 1996، ، ص72.

[2] ـ لمياء لغزاوي، وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي، ص158.

[3] ـ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص78.

[4] ـ محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص168.

والجنس والعرق والحي والصنف الاجتماعي وغيرها"[1]، وعليه فإننا أمام سيرة تحيل على "سلسلة من المسارات التاريخية"[2] التي تتشكل منها أو معها.

هذه الصورة هي التي تحاول كتب المناقب ترسيخها، تشير دون وجه قصد إلى العقلية السائدة في ذلك العصر، ولذلك فالمعطيات التي تقدمها تمكن الباحثين من لملمة شذرات الماضي وإعادة بناءه.

وفي ذات السياق فإن سيرة الأولياء تعرفنا بالأماكن التي زاروها أو تلك التي لجئوا إليها حال سفرهم، كما تفيد أيضا في التعرف على القبائل والوحدات الاجتماعية، كما تفيدنا في تكوين صورة واضحة عن ثقافة العامة، ورصد وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية[3]، باعتبار أن سيرة الأولياء تحيل في كثير من قضاياها على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

فمثلا لو نظرنا إلى مكان استقرار الأولياء، لوجدنا أن أغلبهم يجعلون من البوادي مكانا لاستقرارهم وتعبدهم، ويتخذونه ملجئا لهم ولأتباعهم، ويتجلى ذلك في الأضرحة المنتشرة في البوادي على خلاف الحواضر، وهذا يرجع في الغالب لحياة الأولياء التي تستدعي الاختلاء والانزواء عن الناس حتى لا ينشغلون بهموم الدنيا، فالاستئناس بالناس في عرف الأولياء مدعاة للإفلاس، في مقابل ذلك الاستيحاش من الناس مدعاة للأنس بالله[4].

بالإضافة لما عرف عن الحواضر على أنها مراكز للسلطة، ففيها يقيم العمال والقادة العسكريون والفقهاء الرسميون[5]، فمن خلال أدوارهم وسيرتهم في البادية نتعرف على حياة البادية وبالتالي كتابة تاريخ البوادي من خلال المدونة المناقبية.

كما تعرفنا سيرة المتصوفة عن عادات الناس، وتقاليدهم، وذلك نظرا لانتشار التصوف في عموم العالم الإسلامي، باعتبار الخطاب الصوفي عموماً خطاب تسامح وإدماج "ولذلك ألفينا الخطاب المنقبي مجالا ملائما لبناء صرح ذاكرة الاجتماع والتضامن، إنه يغذي خطاب الانسجام والأخوة، ويمكن المنتمين إليه من هوية عامة أكثر مرونة وقابلية للتغيير. فالخطاب المنقبي يبدو خطاب توحيد يتكلم بلغة الإدماج ويلاحظ دارس الطرق الصوفية أن بعضها كالتيجانية وفروعها استطاعت أن تبني في محيطها المحلي الذي مارست فيه نشاطها وحدات اجتماعية واسعة تجاوزت الحدود القبلية والإثنية، وتمكنت من تكوين جماعات واسعة جدا تحتوي

---

[1] ـ المرجع السابق، ص168.

[2] ـ عبد الكريم بصديق، أهمية النصوص المنقبية الوسيطية في دراسة النشاط الاقتصادي في المغرب الأوسط كتاب المناقب المرزوقية أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مجلد02، عدد01، جانفي2019، ص184.

[3] ـ محمد الصمدي، كتب التصوف والمناقب مصدرا لتاريخ عامة الأندلس خلاص العصر المرابطي، ضمن كتاب: ربيع المخطوط الأندلسي، تنسيق: مصطفى أمادي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، ط1، 2010، ص82.

[4] ـ إشارة مهمة نبه إليها الحسين بولقيطب أثناء دراستها لأولياء دكالة. يراجع: الحسين بولقطيب، الكرامة والرمز، ص76-77.

[5] ـ المرجع نفسه، ص77.

القبائل والإثنيات والأنواع الاجتماعية المنفصل بعضها عن بعض في العادة، بل والمتعارضة أحيانا، ففي إفريقيا السوداء مثلا استمر الإسلام الطرقي في النهوض بدور أساسي في التوفيق بين العادات المحلية والإسلام العربي"[1].

وقد نبه الحسين بولقطيب إلى أمرين مهمين فيما يخص الأولياء الذين استوطنوا دكالة، وذلك بعد إحصائهم، وتقسيمهم مهنيا من كتاب التشوف إلى رجال التصوف للتادلي، فوجد أن أغلبهم ينتمون إلى فئة العامة، وأن غالبيتهم يمارسون حرفاًبسيطة قليلة الكسب والمردودية، فرتب على هاذين الأمرين استنتاجاً لا يخلوا من تعسف وتعميم، وهو أن هؤلاء الأولياء وجدوا في الولاية، والتصوف منفذاً للهروب من واقعهم المتأزم من جهة، واكتساب الحظوة والنفوذ لدى العامة، والسلطة من جهة أخرى[2]، وهذه الملاحظة المهمة تستدعى الانتباه، وذلك من خلال السعي إلى معالجة علاقة الولي بالعامة من خلال المدونة المناقبية، هل هي علاقة مصلحة ومنفعة أم علاقة دينية مجتمعية.

كما أن سيرة الولي لا تخلف أثرا عليه فحسب بل تتعدى لتشمل أتباعه وكذا المجتمع ككل "كما أن الكمال الولائي الذي تسعى هذه الكتابة المنقبية إلى رسم أنموذج له من خلال شخصية الولي لم يكن المعول في رسمه على ما تتميز به تلك الشخصية من أبعاد فكرية ورؤى صوفية وآفاق ثقافية بقدر ما كان المعول في ذلك على رسم ملامح الأثر الذي يمكن أن يكون قد تركه سلوك الولي وخلفته مواقفه في نفوس معاصريه ومخالطيه"[3].

وذلك من خلال رسم الصورة السلوكية المثالية للولي القائمة على "التقوى والعبادة والاستقامة وفعل الخير"[4] بالإضافة إلى حضور التأييد الإلهي الممثل في الكرامات[5]، وهذا ما تفصح عنه سير الأولياء التي تقدمها كتب المناقب.

إضافة إلى ذلك الصدى الذي تخلفه سيرة الولي في نفوس مريديه والمجتمع ككل، بحيث يؤثر تأثيرا فعالا، في محيطه الجغرافي الذي يعيش فيه حتى بعد مماته، هذه السيرة المليئة بالمحطات يستطيع الباحث من خلالها استجلاء العديد من المعطيات والمعلومات المهمة التي تخص الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بمحيط الولي، والتي تخول له بناء تاريخ المجتمع في ذلك العصر بمختلف تفصيلاته وتمثلاته.

---

[1] _ محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، ص166-167.

[2] _ الحسين بولقطيب، الكرامة والرمز، ص74-75.

[3] _معاد بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، ص217.

[4] _المرجع نفسه، ص218.

[5] _المرجع نفسه، ص218.

وخير مثال على ذلك الطابع الذي يميز مجتمع الولي، وما تقام فيه من أعياد سنوية، واحتفالات دورية للذكر الصوفي في شكل جماعي موسمي أو فردي خاص، هذه الأعمال والاحتفالات في الغالب ما تصبح عنصرا بانياً للمجتمع وموجها له في كثير من تفاصيله[1].

وعلى كل فإن صورة الولي في المجتمع فهو يمثل "رجلا ورعا متقيا فاضلا لدرجة يلمسها الجميع، وشجاعا مثاليا في الاستقامة والأمانة، يتمتع بمصداقية كبيرة لدى مجموع المؤمنين، كما كان بالطبع حكيما وعالما يعترف له في الحياة والممات بالقدرة على المواساة وتخفيف المعاناة روحيا وجسديا وسيكولوجيا"[2].

ويمكن أن نتعرف على المرأة من خلال سيرة الولي[3]،بالإضافة إلى التعرف على قضايا اجتماعية كثيرة كالزواج وقضايا الأسرة وغيرها.

الفرع الثاني: الأزمة والمعطى الاقتصادي

يعتبر الحسين بولقطيب أن التأليف في حقل المناقب لم يكن وليد الصدفة بل يعزوه إلى تردي الأوضاع على عهد الموحدين، فكتاب التشوف للتادلي[4]، مثلا لم يكن عنوانا اعتباطيا، بل وضعه المؤلف متطلعا من ورائه إلى الدور الذي لعبه المتصوفة في تغيير الوضع المتردي إبان حكم الموحدين، مؤكدا على أن الوضع الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي الذي آلت إليه الدولة على عصر الموحدين، وخاصة بعد هزيمة معركة العقاب (609هـ/ 1212م)، جعل المجتمع يلتف حول الأولياء، والمتصوفة معتبرا إياهم الأقدر على تحقيق الوحدة والتضامن والانسجام والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وبالتالي تغيير الواقع المتأزم الذي آلت إليه أوضاع المسلمين.

وخلاصة ما يذهب إليه بولقطيب أن التأليف في جنس المناقب ولد "من رحم الأزمة"[5]، فجاء كتعبير عن واقع اقتصادي واجتماعي وسياسي متردي، ويذهب إلى نفس الرأي؛ إبراهيم القادري بوتشيش إذ يرى أن هناك "ارتباط جدلي بين واقع الأزمة والكتابات المنقبية"[6]، معتبرا أن خطاب المناقب هو نتيجة أزمة عايشها المجتمع، وهذا ما يؤكده مقاله المعنون بواقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات، فكتب

---

[1] ـ محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، ص167-168.

[2] ـ محمد جنبوبي، الأولياء في المغرب، ص12.

[3] ـ سعيدة الأشهب، المرأة في سيرة المحمد بن سليمان الجزولي من خلال: كتاب الطريقة الجزولية لأحمد الوارث، مجلة ليكسوس الالكترونية، عدد01، السنة2016، ص6-17.

[4] ـ بحسب بولقطيب فإن كلمة التشوف من معانيها اللغوية التطلع، وبالتالي فهي عنده توحي بأن المؤلف يتطلع إلى المتصوفة ليقوموا بمهمة تغيير الوضع المتردي في بدايات القرن السابع الهجري، يراجع: الحسين بولقطيب، الكرامة والرمز، ص72.

[5] ـ المرجع نفسه، ص72.

[6] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات-أواخر ق6 وبداية ق7 هـ/ 12-13م-، ضمن أعمال اليوم الدراسي: الإسطوغرافيا والأزمة دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة، المنعقد بتاريخ: 25 فبراير 1989، تنسيق: عبد الأحد السبتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، 1994، ص26.

المناقب عنده من "المصادر المتنوعة التي امتلكت رؤية خاصة حول الأزمة"[1]، إذ يمكنها أن تفيدنا في بناء تصور واضح عن حياة الناس أثناء الأزمات بكل ما يحملونه من هموم وآلام وأحلام وآمال[2].

هذا ما دعا بولقطيب إلى الربط بين كثرة الأولياء وظهور الأزمات والكوارث[3]، سواء تعلق الأمر بالأزمات التي تنتج عن علاقة السلطة بالمجتمع، والتي أسفرت عن تدخل الأولياء لنصرة المظلومين وإعادة التوازن إلى المجتمع، أو ما تعلق بالكوارث الطبيعية فإن للأولياء دوراً كبير في تجاوزها من خلال بركتهم وكراماتهم.

وعليه فإنه يمكن استعمال كتب المناقب من أجل التأريخ للمجتمع، أو لنقل التأريخ للأزمات، غير أننا لا نقصد التاريخ للأزمات بالطريقة التي تفصح عنها كتب المناقب، بل النظر فيما يمكن أن تقدمه هذه النصوص عن علاقة المجتمع بالأزمة، لذلك وجب النظر إلى خطاب المناقب من حيث "مالا يقوله ويتعمد السكوت عنه، وليس ما يحاول قوله"[4]، هذه الرؤية المغايرة يمكنها أن تفتح آفاق للباحثين في مجموعة من القضايا، من خلال تنويع المصادر المستعملة التي ينظَر إليها بشكل تكاملي.

ومن خلال ما سبق يمكن موافقة الرأي الداعي إلى إعادة النظر في الأحكام المسبقة اتجاه الأولياء من أنهم "منزوين على أنفسهم، غير مطلعين على قضايا مجتمعاتهم"[5]، فيمكن القول أن العلاقة بين الأولياء والمجتمع علاقة جدلية فهي نوع من العطاء المتبادل، فلا يمكن حصر أدوارهم ومهامهم في الجوانب السياسية التي تحفظ العلاقة بين السلطان والرعية، بل تتعدى ذلك إلى المهام الاقتصادية والاجتماعية التي تخص المجتمع، حتى أن دورهم وعطاءهم يمتد في كثير من الأحيان حتى بعد موتهم، فبركتهم تخترق الزمان والمكان.

الفرع الثالث: الكرامة والمعطى الذهني

يخصص عبد السلام المنصوري فصلا كاملا في كتابه "بنية الخطاب المناقبي" عن ما سماه إمبراطورية الكرامات، مؤكدا فيه على تغلل الكرامات في قطاع واسع من التراث الإسلامي، وذلك بعد أن يسوق مجموعة من الشواهد التاريخية، حيث يؤكد على "اكتساح ظاهرة الكرامة لجميع القطاعات في التراث الإسلامي، بحيث لم تسلم منها قلعة من القلاع المعرفية"[6]، وهذا ما ينسحب على كتب المناقب، فقد أسهبت هذه المدونة في

---

[1] ـ المرجع نفسه، ص25.

[2] ـ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص90.

[3] ـ في معرض حديثه عن أولياء دكالة لاحظ أن السبب الأساسي في كثرة الأولياء على عهد المرابطين والموحدين هو اشتداد الأزمات. يراجع: الحسين بولقطيب، الكرامة والرمز، ص74.

[4] ـ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص90.

[5] ـ عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسه الهجريين (ق13-15م) –دراسة في التاريخ السوسيوثقافي–، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003، 251.

[6] ـ عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص243.

ذكر كرامات الأولياء، بينما نجد شحاً كبيراً في ذكر حياة وتكوين شخص الولي قبل ظهور ولايته[1]، فكتب المناقب في الغالب أعطت الأولوية للكرامات بغية إثبات حضور الولي في المجتمع، فكما أيد الله الأنبياء بالمعجزات أيد الأولياء بالكرامات، ما يجعل من الولاية استمراراً للنبوة[2].

بغض النظر عن مدى مصداقية هذه الكرامات، إلا أنها لا تخلو من دلالات يمكن استغلالها لفهم واقع المجتمع خلال العصر الوسيط، بيد أننا لسنا إزاء معالجة موضوع الكرامة بقدر ما نتوخى معرفة دور الكرامة في التأريخ للواقع الحضاري للمجتمع، وكذا دورها في التأريخ للأبعاد الاقتصادية والاجتماعية.

يعتبر إبراهيم القادري بوتشيش أن الكرامات ما هي إلا استجابة لواقع اقتصادي واجتماعي، وبالتالي هي تجلي من تجليات الواقع الاجتماعي المتأزم، وإفراز لأوضاع تاريخية يعيشها المجتمع[3]، يبدو هذا القول سليماً، إذا ما أعملنا النظر في بعض الكرامات، والرجوع بها إلى سياقها التاريخي إذ تأتي متوافقة "لأزمنة الفقر والجوع والحاجة والحرمان"[4]، غير أن هذا الأمر لا يمكن تعميمه على جميع الكرامات فأغراضها متنوعة ومناسباتها متفرقة.

رغم تسليمنا بوجود كرامات ذات بعد اقتصادي واجتماعي، غير أن هذا الربط الآلي بين الكرامات والواقع الاقتصادي والاجتماعي، وأنها في حقيقتها ما هي إلا تعبير عن أزمة، هو في الحقيقة تعسف في قراءة النصوص الكرامية، فالدارس للكرامات يجد أنها "لا تتحقق في كل وقت وحين، بل إن لها أوقات معينة ترتبط بعوارض تحدث للولي في خلوته أو في رباطه مع مريديه، أو في معرض مكروه يصيب الناس أو خطر يتهددهم"[5]، وبالتالي فأسباب الكرامات مختلفة، ومضامينها متعددة.

وفي ذات السياق يؤكد مُحَمَّد العمراني أن مضامين الكرامات تدور حول؛ نجدة المستغيث وشفاء المريض والتحكم في الظواهر الطبيعية والتنبؤات والرؤى الصادقة وكف الأذى عن المظلوم وحضور البركة في الطعام

---

[1] ـ مُحَمَّد جنبوبي، الأولياء في المغرب، ص11.

[2] ـ وقد أكد هذه الملاحظة غير واحد من الباحثين يراجع: عبد الفتاح كيليطو، الولي والجمل، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، ص44. حسن حنفي، من الفناء إلى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ج1، ص648. توفيق بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، ص219. عبد السلام المنصوري، بنية الخطاب المنقبي، ص208.

[3] ـ إبراهيم القادري بوتشيش، واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات، ص25-26.

[4] ـ مُحَمَّد حلمي عبد الوهاب، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص103.

[5] ـ يوسف الإدريسي، كرامات سيدي رحال في المتخيل الشعبي، ضمن أشغال الندوة الجهوية: مناقب الزاوية الرحالية التباعية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2006، ص85.

وتقويم السلوك الأخلاقي والتوسعة على المعسرين[1]، بالإضافة إلى إثبات الولاية وقبولها لدى المجتمع باعتبارها خوارق "دالة على الولاية الصوفية"[2]، فالكرامات كما قدمنا سابقا؛ ووفق هذه المضامين تؤدي وظائف شتى.

غير أن الكرامات كما ترد في كتب المناقب فإنه يكثر انتشارها بين العامة، فهي في الغالب تتناقل شفاهة بين أفراد المجتمع، ما يجعلها مورداً هاماً للباحثين، حيث تمكنهم من التأريخ للعامة، وذلك عن طريق تتبع "معطيات المعاش من سكن وغذاء ولباس ومختلف جوانب الحياة اليومية"[3] التي ترد في سياق ذكر الكرامات.

وحتى تتضح الرؤية أكثر نؤكد على ضرورة فهم المرحلة التاريخية من أجل فهم العوامل والأسباب الكامنة وراء انتشار الكرامات وظاهرة الولاية عموما[4]، وكذا العمل على جمعها وتصنيفها وتحليل مضامينها[5]،حتى لا نقع في الخلط المؤدي إلى تفسيرها تفسيرا تعسفيا[6]، فكما يمكن أن نرد بعض الكرامات إلى البعد الاجتماعي والاقتصادي، كذلك يمكن ربطها بالبعد الذاتي للولي[7] إضافة إلى البعد الديني الغيبي.

الفرع الرابع: إسهام كتب المناقب في دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

تناسلت العديد من الدراسات التاريخية المعاصرة والتي تستند إلى المدونة المناقبية في معالجة قضايا اقتصادية وأخرى اجتماعية. من مثل: المهن والحرف والنشاط الاقتصادي[8]، كما تقدم معلومات قيمة عن النشاط الاقتصادي ككل[9]، بل تلقي معلومات دقيقة عن بعض الجزئيات الصغيرة كالحرف المنتشرة في

---

[1] ـ يراجع: مُحَمَّد العمراني، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، ص49-69.

[2] ـ معاد بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، ص218.

[3] ـ عبد الأحد السبتي، مفاتيح النص المقبي، ص 100.

[4] ـ الحسين بولقطيب، الكرامة والرمز، ص70-71.

[5] ـ ننوه هنا بدراسة قيمة للباحثة غرزول عفاف حاولت من خلالها تصنيف وتحليل هذه الكرامات من خلال تشكلاتها التاريخية. يراجع: عفاف غرزول، الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (06-07هـ/ 12-16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد02، عدد01، جانفي2019، 238-255.

[6] ـ يقترح الباحث عبد الله أحمد بن عتو في دراسة له: شرطين أساسين من أجل استغلال جيد للكرامة؛ يتمثل الشرط الأول في جمع هذه المادة الكرامية وتصنيفها وتحقيقها، وأما الشرط الثاني فيتمثل في تجنيس هذه النصوص الكرامية. يراجع: عبد الله أحمد بن عتو، مشكل المنهج في قراءة بعض الكتابات المنقبية بالمغرب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد25، عدد02، أكتوبر-ديسمبر1996، ص244-245.

[7] ـ ونقصد هنا بالبعد الذاتي، الكرامات التي تتعلق بشخص الولي، من خلوة وصيام وكرامات تثبت ولايته وغيرها.

[8] ـ كوثر بن قري وإبراهيم بن مهية، متصوفة تلمسان وممارسة المهن والحرف من خلال كتاب المناقب المرزوقية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد34، عدد01، السنة2020، ص988-1016.

[9] ـ عبد الكريم بصديق، أهمية النصوص المنقبيةالوسيطية في دراسة النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط كتاب المناقب المرزوقيةأنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد 02، عدد 01، جانفي 2019، ص182-206.

العصر الوسيط والحرفيون[1]، ما حذا بباحث متمرس في التراث المنقبي والصوفي عموما إلى اعتبارها أكثر القضايا حضورا في النصوص المنقبية[2].

كما تعرفنا بالقضايا الاجتماعية بمختلف تجلياتها[3]، كقضايا العنف[4]والظلم[5]، وغياب الأمن والأزمات[6]، الوفيات والموت[7]، المرأة[8] واللباس[9]، العامة[10] والحياة اليومية للمجتمع[11]، الطقوس والاحتفالات[12].

---

[1]_ الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، الجزائر، عدد 04، جوان 2013، ص165-211.

[2]_المرجع نفسه، ص165.

[3]_ الطاهر بونابي، أهمية الكتابة المناقبية المخطوطات في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، ضمن كتاب: مظاهر المجال والدين والمجتمع، ص57-76.

[4]_ محمد اسموني، العنف الصوفي المقدس نماذج من المدونات المناقبية المغربية (6-13هـ/ 12-19م)، منشورات مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2018.

[5]_ هشام البقالي، دور المتصوفة في معالجة قضايا الظلم خلال العصر المرابطي بالمغرب والأندلس من خلال كتب المناقب، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد02، عدد02، أكتوبر2019، ص22-36.

[6]_ آمال لدرع، الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي..غياب الأمن –غزو تلمسان وحصاراتها خلال العصر الزيانيأنموذجا-، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، عدد18، جوان2016، ص163-189.

[7]_ محمد ياسر الهلالي، الموت في كتب المناقب بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (من القرن السادس هـ/ 12م إلى القرن التاسع هـ/ 14م)، ضمن كتاب: الوفيات والموت مقاربات تاريخية وانتروبولوجية، تنسيق: محمد استيتو وآخران، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس الرباط، 2017، ص99-121.

[8]_رشيد قطان، المرأة المغربية في أدب المناقب التشوف إلى رجال التصوف نموذجا، مجلة أمل، المغرب، عدد 13-14، السنة 1998، ص129-138.

[9]_ ياسر بنهيمة، لباس المتصوفة في المغرب الوسيط من خلال المصادر المناقبية، ترجمة: رابحي رضوان، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2018. زهوة أعزيبي والطاهر بونابي، القيم الجمالية والروحية في لباس صوفية المغرب الأوسط الزياني من خلال نصوص المناقب، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، عدد12، جوان2017، ص227-239.

[10]_ دلال لواتي، القيروان والعامة في الخطاب المنقبي الكرامي.. من كرامات الصحابة والتابعين إلى كرامات الزهاد والعابدين، مجلة دراسات تارخية، الجزائر، عدد04، ص41-57.

[11]_ هشام البقالي، الحياة اليومية لمتصوفة العصر المرابطي من خلال كتب المناقب والتراجم، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، مجلد04، عدد03، سبتمبر2019، ص46-97.

[12]_ رضوان باتو، سيرة صوفي أمي (أبي يعزى الهسكوري) وردود أفعال المجتمع تجاه طقوس الاحتفال بموسمه الديني، مجلة الجزائر، مجلد06، عدد01، السنة2020، ص94-122.

اضافة إلى كونها تلقي أضواء على الأمراض والأوبئة المنتشرة وأثرها[1]، وطرق العلاج وأنماطه وأساليبه، والغالب على طرق العلاج أنها تأخذ طابعاً دينياً، كالدعاء والرقية عن طريق قراءة القرءان والمسح على موضع الداء وكتابة العزائم والتمائم، ففيها تحل بركة الولي وكرامته بدل الدواء الذي يصفه الطبيب[2].

أيضا من بين القضايا التي تعرفنا بها كتب المناقب المزارات وأضرحة الأولياء، والآثار المباركة والأماكن المقدسة[3].

كل هذه القضايا المعالجة من خلال مدونة المناقب تفيد بما لا يدع مجالا للشك، عن وفرة المعطيات الخاصة بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية؛ رغم ما يتخلل استخراجها وتصنيفها وتحليلها من صعوبات نظرا لخصوصية النصوص المنقبية.

[1] _ عبد الكريم بصديق، أهمية النصوص المنقبيةالوسيطية، ص195.

[2] _ سمية مزدور، التراث المخطوط وأهميته في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط: مخطوط بستان الأزهار لابن الصباغ القلعي أنموذجا، مجلة البحوث والدراسات، الجزائر، مجلد15، عدد01، شتاء2018، ص332-334.

[3] _ المرجع نفسه، ص334.

نتائج الفصل:

مما سبق نستخلص أن التاريخ بمفهومه الحديث "لاتشكله الوقائع المادية التي كشفت عن حصولها الشواهد الأثرية وكتب الأخبار ودفاتر الأرشيف فحسب، بل صنعته مجمل الأحلام والأوهام والمعتقدات والرموز التي تزامنت مع الحادثة أو تقدمتها أو نسلت من رحمها"[1]، وكذلك التاريخ بمفهومه الحديث لا نستند في كتابته، لمجرد الوثائق الأرشيفية وكتب الأخبار، بل تساهم فيه كل المدونات التراثية بمختلف أصنافها وفق رؤية تكاملية.

هذه الرؤية التكاملية للمعرفة الإسلامية ومدوناتها التراثية، والنظر لسياقات تشكلها، تجنبنا السقوط في تلكم الأحكام العامة والقوالب الجاهزة، التي الصقها رواد دعوى التغييب والتهميش بالمدونة التراثية.

وهذا ما ينبغي أن تنصب إجابتنا عليه في الفصل المتبقي من الدراسة، الذي سوف نتطرق فيه لرؤية المؤرخين للتاريخ في العصر الوسيط، وتطور مفاهيم التاريخ بين المعاصرين والتقليديين.

بعد وقوفنا في الفصل الثاني والثالث على العديد من المدونات التراثية التي وجدنا أنها تولي أهمية كبيرة للجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وكذا الدراسات التي تناولت هذه الجوانب من خلال هذه المدونات، بما لا يدع مجالا للشك، بأن هذه المعطيات ترد بشكل مستفيض في ثنايا هذه المصادر.

لهذا وجب التساؤل؛ عن صحة دعوى تغييب وتهميشالمعطيات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة التراثية، وأن هناك طمس متعمد مارسه المؤرخ على هذه المعطيات؟

وللإجابة عن هذا التساؤل: نحاول التطرق لمفهوم التاريخ عند المؤرخين المسلمين التقليديين وعند المؤرخين الغربيين المعاصرين، بغيةفض الاشتباك بين المفاهيم المعاصرة والمفاهيم التقليدية للتاريخ وطريقة ممارسته.

[1] _محمد ياسر الهلالي، المستفاد في مناقب العباد، ص87.

الفصل الرابع:

مفاهيم التاريخ.. بين دعوى التغييب والتهميش والرد عليها.

المبحث الأول: مفهوم التاريخ في الكتابة التاريخيةالتقليدية عند المسلمين

المطلب الأول: نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين

المطلب الثاني:مفهوم التاريخ عند المؤرخين المسلمين

المبحث الثاني: تأثيرات مفاهيم التاريخ المعاصر على رواد دراسات التغييب والتهميش

المطلب الأول:مفهوم التاريخ.. من تاريخ الأحداث إلى تاريخ البنيات

المطلب الثاني: نقض دعوى التغييب والتهميش

شهدت الكتابة التاريخية عموما منذ نشأتها تطورات عديدة وتراكمات معرفية متباينة، حملت معها أشكالا عديدة وممارسات مختلفة، ترجع بالأساس إلى ظروف نشأة المعرفة التاريخية ومفهوم التاريخ لكل عصر من العصور، إضافة إلى اختلاف الغاية والهدف من تدوين التاريخ.

وهذا ما يطرح اليوم أمام الباحثين وخاصة في طريقة معالجتهم للمدونة التاريخيةوالتراثية عموما وطريقة تعاطيهم مع المعارف الإسلامية المتشعبة والمتداخلة والمركبة، وهذا مما ينبه إليه أحد الفلاسفة المعاصرين من "أن المعرفة الملائمة يتوجب عليها أن تواجه ما هو مركب وأن تصل بين مختلف العناصر المكونة للكل الاقتصادي السياسي النفسي السوسيولوجي الوجداني الأسطوري"[1]،وعلى هذا لا يمكن إسقاط مفاهيم معاصرة للمعرفة على مفاهيم تقليدية لها سياقة الخاصة.

ومن الدعاوى التي تطرح اليوم على مستوى الدراسات التاريخية؛ بل نستطيع القول أنها أصبحت من المسلمات التي يرددها الباحثون، أن الكتابة التاريخية الإسلامية هي كتابة طبقية اهتمت "بأهل السيف والقلم"، ومارست نوع من التهميش والتغييب المتعمد على باقي الطبقات والفئات الاجتماعية.

مع إقرارنا بأهمية هذا التساؤل ومشروعيته، ولفظ هذا الاشتباك وتبيين صحة دعوى التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية الإسلامية التقليدية، وجب تحديد موضوع التاريخ وحدوده،ومراعاة التطورات الحاصلة على مستوى مفهوم التاريخ، وتعدد ممارساته بين المعرفة الإسلامية والمعرفة الغربية الحديثة.

قبلالإجابة عن هذه الإشكالية وجب علينا طرح الأسئلة الآتية:

كيف نشأة علم التاريخ عند المسلمين؟وما مفهوم التاريخ عندهم؟ وما هي حدود هذا العلم وموضوعه؟ وما مفهوم التاريخ في المعرفة التاريخية الحديثة؟ وما هي تطورات مهنة المؤرخ؟ وهل يمكننا في ظل هذه التحولات في المعرفة التاريخية الحكم على التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ طبقي؟أم أن الأمر لا يعدو سوى إسقاط لجهاز مفاهيمي معاصر على معرفة لها خصوصياتها التاريخية وإطارها الثقافي ونسقها المعرفي الذي تشكلت فيه؟

1_ إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص37.

المبحث الأول: مفهوم التاريخ في الكتابة التاريخيةالتقليدية عند المسلمين

لقد شهدت الكتابة التاريخية الإسلامية في عصورها الكلاسيكية، أشكالا متعددة وطرقا مختلفة، ويرجع ذلك بالأساس إلى ظروف النشأة، ما أنعكس على مفهوم المؤرخين للتاريخ في ذلك الزمن وتمثلهم له.

وهذا من أجل التعرف على نقاط الاختلاف بين المؤرخين المعاصرين والقدماء في نظرتهم للتاريخ وتمثلهم له، حتى لا نحكم على مفاهيمهم للتاريخ من خلال مفاهيم معاصرة، نشأة في ظل المعرفة التاريخية المعاصرة.

وعليه سنحاول التعرف على ظروف نشأة الكتابة التاريخية الإسلامية، وكيف أثرت على مفهوم التاريخ عند المؤرخين المسلمين؟ وكيف دوَّنَ المؤرخون التاريخ؟

المطلب الأول: نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين

الفرع الأول: ظروف نشأة الكتابة التاريخية الإسلامية

إن الظروف التاريخية التي شهدتها الجزيرة العربية مع ظهور الإسلام[1]، واختلاط العرب مع غيرهم بعد سلسلة التوسعات التي حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، حتم عليهم الانتقال من التواريخ الشفوية التي تقتصر على ذكر أنساب العرب وأخبارهم ومآثرهم، إلى التواريخ المدونة العالمية والمحلية.

إضافة إلى التجاذبات السياسية والمذهبية التي عرفتها فترة تدوين العلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية، مما أخر استقلال التاريخعن غيره من العلوم، بالإضافة إلى الزخم الذي شهدته المراحل الأولى من التدوين وخاصة في ظل الأدب وتدوين الحديث، ما شكل صعوبة لاستقلال التاريخ بموضوعه ومنهجه.

وهذا حال المعرفة التاريخية في الحضارات الإنسانية عموما، فهي "جزء لا يتجزأ من معارف الإنسان الفلسفية والسياسية والأخلاقية، كما شكلت جزءا من ذوقه الأدبي والفني وذاكرته ومتعته القصصية"[2]. وهذا ما يمكن أن ينطبق على المعرفة التاريخية في الحضارة الإسلامية، فهي "إما جزء من سجلات سياسية وإدارية وعسكرية ومالية تخص الدولة وملوكها وسلالتها كما هو الحال بالنسبة للحضارة المصرية القديمة أو البابلية، أو جزء من الأدب السياسي والخطابي والقصصي كما هو الحال بالنسبة للحضارتين اليونانية والرومانية"[3].

---

[1] ـ أيمن فؤاد سيد، الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2017، ص18.

[2] ـ وجيه كوثراني، بعض إشكاليات المنهج في الكتابة التاريخية العربية، ص55.

[3] ـ المرجع نفسه، ص55.

وهذا ما يشير إليه بعض الباحثين المعاصرين[1] من أن المؤرخ التقليدي، لم يستطع الخروج من عباءة الأدب وعلم الحديث في طريقة نقل الأخبار، فبقي الأدب متحكماً في طريقة نقل الأخبار التاريخية[2]، وحتى في طريقة صياغة عناوين الكتب والتآليف التاريخية.

بينما ينبه آخرون إلا أن التاريخ تشكل في إطار خدمته للدين، ونقل بطرق ومنهج أهل الحديث في ظل نقلهم لأحاديث النبي وسيرته، وعليه فالتاريخ عندهم يقتصر على الأغراض والمتطلبات الدينية الصرفة[3].

وبين الاتجاهين، بقَيَّ التاريخ يصارع حتى يظفر لنفسه بمكانة مميزة داخل الحقول المعرفية في ذلك العصر.

والقضية التي وقع فيها أصحاب دعوى التغييب والتهميش، والتي يقع فيها الكثير من الباحثين الآخرين، أثناء محاولتهم تقييم تجربة المؤرخين القدماء هي : تجاهل عاملين مهمين[4]؛

العامل الأول المتمثل في ظروف نشأة الكتابة التاريخية

العامل الثاني المتمثل في ذهنية المؤرخ التقليدي

وعليه فإن ظروف تلك النشأة التي غلبت اهتمامات الأديب والمحدث على اهتمامات المؤرخ ورؤيته، باعتبار علم التاريخ نشأ في ظل رواية الحديث وقصص أيام العرب، لم تعطي الانطلاقة الصحيحة للمعرفة التاريخية، بالإضافة أنها لم تخول لهذه المعرفة حجز مكانة مرموقة بين العلوم والمعارف الأخرى، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الإطلاع على مكانة المعرفة التاريخية في كتب تصانيف العلوم في التراث الإسلامي خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى[5].

لقد نبهنا فيما سبق؛ أن نشأة علم التاريخ هي التي تحكمت في مفهوم التاريخ وطريقة تدوينه، وعلى اعتبار أن التاريخ تشكل في ظل علوم جامعة كالأدب والحديث النبوي والجغرافيا، فلم تكن له فرصة أن يستقل بموضوع ومنهج خاص به، هذا إلى جانب التأثر بالحضارات السابقة ورصيدها في إطار المعرفة التاريخية.

---

[1] ـ جعفر بن الحاج السلمي، التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية، ص37

[2] ـ ويطلق عبد العزيز الدوري على هذا الصنف اسم الاتجاه القبلي أو اتجاه الأيام. يراجع: عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، منشورات مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/ 2000م، ص22.

[3] ـ يراجع: فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين،ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ/ 1983م ص267. أيمن فؤاد سيد، الكتابة التاريخية، ص41.

[4] ـ عبد الأحد السبتي، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، ص93.

[5] ـ إن الاطلاع على كتب تصنيف العلوم عند القدماء، يوحي لنا بحجم وقيمة المعرفة التاريخية في مجموعة الكتابة الإسلامية، إذ دائما ما نلاحظ أنها معرفة ثانوية ملحقة بغيرها أو مكملة لها، وخاصة في الثلاثة قرون الأولى. يراجع: الكندي في (كتاب ماهية العلم وأقسامه)، الفارابي في كتاب (إحصاء العلوم)، الخوارزمي في كتاب (مفاتيح العلوم).

لهذا في رأينا فإنه اقتصر في نقل الأخبار على ذكر أخبار السلاطين والأحداث السياسية والعسكرية ورجال العلم والدين، وعليه فإن التاريخ مثله نوعين من التأليف: كتب الحوليات ودونت الأحداث السياسية والعسكرية، وكتب الطبقات والتراجم وقد دونت أخبار العلماء والعظماء.

الفرع الثاني: أشكال وأصناف الكتابة التاريخية الإسلامية

يمكننا القول أن الكتابة التاريخية التقليدية عند المسلمين اتخذت أشكالا وطرقا عدة مشرقا ومغربا[1]، غير أن القاسم المشترك بينها هو: الموضوع والمنهج.

وقد أختلف الباحثون المعاصرون المهتمون بالكتابة التاريخية الإسلامية في وضع تصنيف معين لهذه الأشكال والطرق، وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف المنطلقات والتصورات حول هذه الكتابات.

ومن هذه التصنيفات التي وقفنا عليها؛ ما قدمه المستشرق فرانز روزنثال، وهو من أوائل الذين اهتموا بالتراث التاريخي الإسلامي وظروف نشأته وأصنافه. وقد جعلها في ثلاث أشكال كبرى[2]: تمثلت في كل من؛ التواريخ العالمية، والتواريخ المحلية (المدن والأقاليم)، والتواريخ المعاصرة والمذكرات.

ومن الباحثين أيضا الذين اهتموا بالكتابة التاريخية الإسلامية عموما والمغربية على وجه الخصوص، محمود إسماعيل في موسوعته المهمة "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي"[3]، بالإضافة إلى كتابه الذي خصصه للكتابة التاريخية المغربية وقد نشر تحت عنوان "الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي"[4]، وقد قدم تقسيما يستند إلى الواقع الاقتصادي والاجتماعي، حيث يعتبر أن البنية التحتية هي التي تفرز ذلك النمط الثقافيمن الكتابة[5]، وهذا يحيل على الخلفيات والرؤية المادية التي ينطلق منها في تفسير أحداث التاريخ الإسلامي ووقائعه.

وعليه فقد قسمها إلى كتابات برجوازية ليبرالية متحررة وكتابات نصية إقطاعية، تظهر وتخبوبحسب الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي.

---

[1] ـ يمكننا القول أن أشكال التأليف اتخذت نسقاً واحداً فيما يخص موضوع التاريخ ومنهجه، من خلال اتخاذ الأحداث السياسية والفعليات العلمية موضوعاً للتاريخ، باستثناء ما قدمه ابن خلدون في كتابه العبر، من خلال محاولة صياغة علم جديد يستفيد من المناهج السابقة في التدوين، إلا أنه يختلف معها في تحديد موضوع التاريخ ومنهجه، وفي رأينا أن ما قدمه ابن خلدون هو محاولة تأسيس علم جديد –تحت مسمى علم العمران البشري–، يختلف عن علم التاريخ كما مارسه وفهمه المؤرخون الأوائل في الحضارة الإسلامية، ويمكن الاستناد في تتبع موضوع تطور ونشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين إلى مجموعة من الدراسات المهمة التي أنجزها ثلة من الباحثين العرب والمستشرقين. يراجع دراسات كل من: فرانز روزنثال، هاملتون جب، عبد العزيز الدوري، شاكر مصطفى، وجيه كوثراني، محمود إسماعيل، علاوة عمارة، عبد الله العروي...الخ.

[2] ـ فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ص183.

[3] ـ قد سبق الحديث عن هذه الموسوعة الضخمة التي تقع في عشرة أجزاء (10) في الفصل الأول من الأطروحة.

[4] ـ محمود إسماعيل، الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، 2001.

[5] ـ محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور التكوين–، ج1، ص196.

بينما نقف على تقسيما آخر لأيمن فؤاد سيد، في كتابة "الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي"، حيث يقسمها إلى ستة أنواع أساسية[1]: تتمثل في التاريخ الحولي، وتاريخ الدول والأسرات الحاكمة، وتاريخ المدن، ثم التراجم والطبقات، إلى جانب كتب الخطَط، وأخير كتب الزيارات.

وأما الباحث علاوة عمارة في مقاله القيم عن "الكتابةَ التاريخية في الغربَ الإسلامي الوسيط"[2]، فقد استند في تقسيم طرق وأنواع الكتابة التاريخية المغربية، على معيار التأثير الذي مارسته هذه الكتابة على المستوى الاجتماعي والمذهبي والسياسي، بالإضافة إلى الروافد التي ساهمت في نشأتها في المغرب.

المطلب الثاني: مفهوم التاريخ عند المؤرخين المسلمين

مر معنا فيما سبق؛ أن مفهوم التاريخ لم يكن واحداً بل تعددت مفاهيمه واختلفت الرؤى والتصورات حوله، وبالتالي تعددت أشكاله وطرق ممارسته، لهذا سوف نحاول التطرق لمفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية الإسلامية، حتى نستطيع الحكم على مدى تطابق تصوراتهم للتاريخ وممارستهم له.

غير أن هدفنا الأساسي من هذا العرض، ينصب بالدرجة الأولى؛ على وضع هذه المفاهيم في سياقها التاريخي، من أجل الإجابة على إشكالية الرسالة، وبالتالي الفصل بين مفهوم التاريخ في الكتابة التاريخية الإسلامية وبين مفهوم التاريخ في الكتابة التاريخية المعاصرة.

يمكننا القول بداية؛ أن الكتابة التاريخية في الاصطلاح الإسلامي تضم كل الأجناس التي تتحدد بعنصر الزمن، ويدخل ضمن ذلك كتب الأخبار والتراجم والأنساب وتواريخ البلدان والمدن[3]، على أنها تطورت تدريجيا مع تطور واتساع الحضارة والمعرفة الإسلامية.

الفرع الأول: مفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية المشرقية

من أوائل أصناف كتب التاريخ كتب السيرة والمغازي، التي اقتصر مفهوم مؤلفيها للتاريخ على ذكر حياة النبي وأعماله وغزواته[4]، وبالتالي فإنَ هَذا الاتجاه الذي نشأ في المدينة، مع كل من عروة بن الزبير (ت94هـ/ 712م)، ومُحَمَّد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت124هـ/ 742م)، ثم تبعه بعد ذلك مُحَمَّد ابن إسحاق (ت150هـ/ 767م)، والواقدي (ت207هـ/ 823م).

---

[1] _ يراجع: أيمن فؤاد سيد، الكتابة التاريخية، ص189-237.

[2] _ وقد أستندت على هذا المقال المتميز لتتبع تطور مفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية المغربية. يراجع: علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، عدد23، خريف2004، ص329-370.

[3] _ عبد الأحد السبتي، مفاتيح النص المنقبي، ص99.

[4] _ ولعل هذا راجع بالأساس إلى أن كتب المغازي والسير وضعت بغرض معرفة أقوال النبي وأفعاله، للاهتداء بها أو الاعتماد عليها في التشريع والتنظيم الإداري وشؤون الحياة، وعليه فابن الصلاح يدرجهما ضمن علم الحديث. يراجع: عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ، ص22-23. أيمن فؤاد سيد، الكتابة التاريخية، ص44.

وقد اقتصر اتجاههم في التأليف على ذكر حياة النبي مُحَمَّد ﷺ ومغازيه، بغرض تخليد سيرة النبي مُحَمَّد ﷺ والاقتداء به.

أما الاتجاه الثاني الذي نشأ في العراق، ومثله أصحاب التاريخ القبلي أو اتجاه الأيام[1]، حيث اقتصر مفهوم التاريخ عندهم على ذكر المعارك والفتوحات الإسلامية، وما تعلق بها من الأحداث السياسية[2] ، وكان استمراراً مباشراً لقصص الأيام وأخبار الأولين من الأقوام والأنبياء وأنساب العرب وأيامهم.

ثم تطورت المؤلفات التاريخية وأخذت بعداً أخر في القرن الثالث الهجري، عند كل من اليعقوبي (ت292هـ/ 905م) في كتابه "تاريخ اليعقوبي"، والطبري (ت310هـ/ 922م) في "تاريخ الأمم والرسل"، حيث شهدنا في هذه الفترة ظهور التواريخ العالمية التي دمجت بين الاتجاهين السابقين.

وأما شكل الأنساب الذي كان قبلياً في إطار ذكر أنساب قبيلة واحدة[3]، وقد مثله كل من الكلبي (ت204هـ/ 819 م) في كتابه "جمهرة الأنساب"، والزُّبيري (ت236هـ/ 851م)، في "نسب قريش"، وبن بكار (ت256هـ/ 869م)، في "جمهرة نسب قريش وأخبارها"[4]. فقد شهد إعادة صياغة من خلال بعده العالمي مع البلاذري (ت279هـ/ 892م)، في كتابه "أنساب الأشراف".

بينما شهد القرن الرابع الهجري أشكال جديدة من الكتابة عبرت بدقّة عن الحالة السياسية والاجتماعية والمذهبية التي تعيشها الدولة العباسية، وظهرت بذلك التواريخ المحلية وتواريخ المدن والمذكرات الشخصية، التي كان مفهوم أصحابها للتاريخ يقتصر على القضايا السياسية والمذهبية، المعاصرة لزمن المؤلف[5].

وأما أهم الأشكال الجديد في الكتابة التاريخية في القرن السادس الهجري، هو ما أبتكره المؤرخون المحدثون، من خلال "الجمع بين الحوليات السياسية والحوليات القائمة على التراجم"[6]، وأغلب هؤلاء المؤرخين كانوا من أتباع المذهب الحنبلي، الذين زاد اهتمامهم بالتراجم على حساب

---

[1] _ ومثل هذا الاتجاه كل من: عوانة بن الحكم (ت147هـ/ 764م)، وأبو مخنف لوط بن يحي (ت157هـ/ 774م)، وسيف بن عمر (ت180ه/ 796م)، والمدائني (ت225ه/ 839م).

[2] _ كأخبار الردة والفتوحات وأحداث الفتنة وأحداث صدر الإسلام..وغيرها من الأحداث السياسية. يراجع: عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ، ص132-135.

[3] _ عبد العزيز الدزري، نشأة التاريخ عند العرب، ص141.

[4] _ أيمن فؤاد سيد، الكتابة التاريخية، ص52.

[5] _ مُحَمَّد العربي الصديقي، التعريف التاريخي في منهج المؤرخ: إضاءة ابستيمولوجية ومساهمة في ديداكتيكية التاريخ، مطبة الرباط نت، الرباط، [2013]، ص32.

[6] _ هاملتون جب، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد يونس وآخران، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، ص90-91.

الأحداث التاريخية[1]، وقد برز منهم ابن الجوزي (ت597هـ/ 1201م)، في كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم".

وشمس الذين الذهبي (ت748هـ/ 1347م)، في كتابه "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، وقد أقتصر على ذكر الأحداث السياسية والفعاليات العلمية، وعلى هذا "أراد أن يجعله تاريخا من ظهور الإسلام إلى عصره، ويشتمل كذلك على وفيات الكبار من الخلفاء والقراء والزُّهاد والفقهاء والمحدّثين والعلماء والسَّلاطين والوزراء والنُّحاة والشُّعراء ومعرفة طبقاته وأوقاتهم وشيوخهم وبعض أخبارهم"[2]. وعلى هذا فمفهوم التاريخ عنده عبارة عن "سجلٍ للوفيات"[3] وتراجم للعلماء.

ويمكننا القول أن مفهوم التاريخ عند المؤرخين المشارقة في تلك الفترة هو سجل للعظماء والقادة والسلاطين والعلماء والأدباء، وغيرهم ممن كانت لهم أعمال ظاهرة ملموسة.

الفرع الثاني: مفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية المغربية:

بدأت الكتابات التاريخية الأولى عن الغرب الإسلامي من لدن مؤرخين مشارقة، وخاصة مع كتب المغازي والفتوح والتواريخ العالمية، ثم توسعت الكتابة لتشمل التواريخ المحلية والأسر الحاكمة، وذلك بعد قيام الدول المستقلة في بلاد الغرب الإسلامي، ثم توالت الكتابات مع ظهور أشكال جديد كالتراجم وكتب الطبقات وتواريخ المدن، وهذا ما جعل موضوعات التاريخ لا تخرج عن نظيرتها المشرقية بل تكاد تكون متشابهة موضوعاً ومنهجاً.

وأولى هذه الكتابات التي حاولت إرساء معالم الكتابة التاريخية بالغرب الإسلامي، مؤلفات عبد الملك بن حبيب (ت 238هـ/ 853م) التاريخية[4]، وقد تعددت الموضوعات التاريخية التي كتب فيها ابن حبيب، "فمن التاريخ العام إلى التاريخ الخاص، ومن التراجم إلى الطبقات والفضائل والأنساب"[5]، ويمثل كتابه "كتاب التاريخ"[6]، محاولة لكتابة تاريخ عالمي وفق وجهة نظر أحد رواد

---

[1] _ أيمن فؤاد سيد، الكتابة التاريخية، ص193.

[2] _ المرجع نفسه، ص194.

[3] _المرجع نفسه، ص197.

[4] _ لخضر بولطيف، جدل الفقه والتاريخ في تراث عبد الملك بن حبيب الأندلسي –الفقيه المؤرخ أو المؤرخ الفقيه–، ضمن كتاب: الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي.. مقاربات منهجية، لخضر بولطيف، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، وهران، 2014، ص63-65. عبد الواحد دنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1988، ص07.

[5] _ لخضر بولطيف، جدل الفقه والتاريخ في تراث عبد الملك بن حبيب، ص77.

[6] _ عبد الملك بن حبيب السَّلمي الأندلسي، كتاب التاريخ، نشره: عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م.

الكتابة التاريخية بالغرب الإسلامي، ويبدو أنه كان من السباقين إلى الكتابة في التواريخ العالمية[1]، وهذا ما يدل عليه عنوانه المدون على الورقة الأولى من نسخته المخطوطة، ومما جاء فيه:

"كتاب في ابتدا خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتدا خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنة والنار، وخلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس، وعدة الأنبياء نبيًّا نبيًّا إلى مُحَمَّد ﷺ وعليهم أجمعين، وعدة الكتـ ب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين استفتاح الأندلس، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والأمتعة وما أخرج منها، وعدة ملوكها ومن وليها ومن يليها وذكر شيء من الحدثان وما يعلم منها في بعض البلدان، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة"[2]، ويمكننا القول أن ابن حبيب كان مؤرخا استوعب مفهوم التاريخ في ذلك العصر، الذي اقتصرت موضوعاته في نظره على "بدا الخلق ورسالات السماء ومغازي النبي وسير الخلفاء وفتوح الإسلام وطبقات العلماء"[3].

ثم توالت الكتابات التاريخية، التي اعتنت بتاريخ الأسر الحاكمة بالغرب الإسلامي. بدا بمؤرخ الدولة الرستمية، ابن الصغير (ت. بعد 294هـ/ 906م)، في كتابه "أخبار الأئمة الرستميين"، ويعتبر كتابه هذا أقدم المصادر المتعلقة بالدولة الرستمية[4].

بينما شهدت المرحلة الفاطمية تزايداً وتطوراً ملحوظاً في عدد الكتابات التاريخية[5]، مع كتابات القاضي النعمان (ت 363هـ/ 974م)، ومن أهمها كتاب "المجالس والمسايرات"، و"كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"، وكذاكتاب "افتتاح الدعوة"[6]، وهو كتاب تنحصر موضوعاته

---

[1] _ تتسم التواريخ العالمية بشمولية موضوعاتها وطابعها العالمي الذي يتناول تاريخ الأمم قبل الإسلام وأيام العرب وأنسابهم، إضافة إلى السيرة والمغازي وتنتهي بسرد حوادث التاريخ الإسلامي، وابن حبيب كان الباقين في الكتابة في هذا النمط إلى جانب الكتابات المشرقية لكل من خليفة بن خياط (ت 240هـ/ 854م) صاحب كتاب "التاريخ"، والدينوري (ت252هـ/295م) صاحب كتاب "الأخبار الطوال" يراجع: الطيب بوسعد، المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي خلال القرون الهجرية الأولى (2و 3 و4هـ/ 8 و9 و10م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، عدد06، سنة2009، ص140.

[2] _ آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، [1955]، ص194.

[3] _ لخضر بولطيف، جدل الفقه والتاريخ في تراث عبد الملك بن حبيب، ص82.

[4] _ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، [1985]، ص14.

[5] _ يذهب محمود إسماعيل إلى أن الكتابات التاريخية الإسماعيلية كانت أكثر تطوراً ورقياً من كتابات خصومهم السنة والخوارج، ويرجع هذا حسب رأيه إلى عاملين أثنين: الأول تعاظم النفوذ السياسي الفاطمي وما ترتب على ذلك من هجرة الكثير من المؤرخين المشارقة إلى المهدية، الثانية اشتغالهم في دواوين الدولة الفاطمية في المغرب واطلاعهم على الكثير من الوثائق الموجودة في المكتبة الفاطمية. يراجع: محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور الازدهار (4) الفكر التاريخي–، ص179.

[6] _ علاوة عمارة، الكتابة التاريخية، ص337.

في ذكر بدايات الدعوة الفاطمية، وما أعقب ذلك في مرحلة بناء الدولة بالإضافة إلى تخليد أخبار الخلفاء الفاطميين ومنجزاتهم.

بالإضافة إلى الكتاب المفقود الذي ألفه الرقيق القيرواني (ت420هـ/ 1029م)، والذي وضعه كتاريخ شامل لبلاد المغرب والذي عنونه بـ"تاريخ إفريقية والمغرب"[1].

وأما الكتابات التاريخية في ظل الدولة الأموية بالأندلس، فلم تخرج عن سياق المواضيع التاريخية السابقة، ومفهوم المؤرخين السابقين للتاريخ، إذ توزعت على دراسات تخص، موضوعات الفتح الإسلامي للأندلس، والأسر الحاكمة وتراجم العلماء[2].

ونفس الأمر نلاحظه على الكتابات التاريخية على عهد المرابطين والموحدين، فالمواضيع انحصرت في جانبين اثنين؛ جانب الأخبار السياسة والعسكرية ودونت في كتب التواريخ المحلية والعالمية، وجانب الفعاليات العلمية والدينية ودونت في كتب التراجم والطبقات.

وقد برز خلال هذه المرحلة، في صنف الحوليات السياسية والعسكرية، كل من ابن صاحب الصلاة (ت بعد 594هـ/ 1197م)، وعبد الواحد المراكشي (ت بعد 621هـ/ 1224م)، وابن القطان المراكشي (ت بعد 628هـ/ 1230م)، وابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م).

فكتاب "المن بالإمامة"[3]، لابن صاحب الصلاة، كان الداعي إلى تأليفه هو تخليد أخبار أبي يعقوب الخليفة الموحدي[4]، ولعل ما يزيد من بيان موضوع التاريخ ومفهومه عن ابن صاحب الصلاة، عنوان كتابه الطويل الذي اختاره لكتابه بما يوحي بمحتوياته وموضوعه وكان على الصيغة التالية: "كتاب تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وأخيراً الخلفاء الراشدين"[5]، فالتاريخ كما يتصوره ابن صاحب الصلاة هو تخليد أخبار السلاطين والأمراء وذكر مآثرهم وانجازاتهم.

---

[1] _ المرجع السابق، ص343-344.

[2] _ المرجع نفسه، ص338-343.

[3] _ عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة -تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين-، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987.

[4] _ المرجع نفسه، ص26.

[5] _ المرجع نفسه، ص27.

وعلى هذا النحو ما كتبه عبد الواحد المراكشي(ت بعد 621هـ/ 1224م)، في كتابه"المعجب في تلخيص أخبار المغرب"[1]،إذ يحدد موضوع التاريخ بذكر "بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره، وشيء من سير ملوكه، وخصوصاً ملوك المصامدة بني عبد المؤمن، من لدن ابتداء دولتهم إلى وقتنا هذا -وهو سنة 621هـ-، وأن ينضاف إلى ذلك نبذة من ذكر من لقيته أو لقيت من لقيه أو رويت عنه بوجه من وجوه الرواية، من الشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل"[2]، ويبين أيضا أنه ضمن كتابه هذا "ما تدعو الحاجة إليه...، من غير تعرُّض إلى مالا حاجة بنا إليه"[3].

ونفس الأمر نلاحظه على كتاب "نَظْم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان"[4]، لابن القطان المراكشي الذي "يعرض لنا جغرافية المغرب وتاريخه العام على طول ستة قرون"[5]، وقد أخذت الأحداث السياسية حيزا كبيرا من الكتاب، بحسب ما نقل عنه المؤرخون المتأخرون[6].

وكذا نسج على منوالهم ابن عذاري(ت بعد 712هـ/ 1312م)، في كتابه "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب"[7]، حيث جمع فيه "نبذا ولمعا من عيون التواريخ والأخبَار"[8]، وعليه فإن مفهوم التاريخ عنده، يقتصر على ذكر مواضيع تخص أخبار الملوك وما عاصرهم من الأخبار الجسام، والحوادث العظام التي تقع في الزمان والمكان.

أما بعد المرحلة الموحدية؛ فقد برز في صنف الحوليات السياسية والعسكرية مؤلفات تاريخية عديدة، اختصت بذكر الأسر والسلالات الحاكمة، وقد اقتصر مفهوم التاريخ وموضوعه على ذكر الأحداث السياسية وتراجم العلماء، ومن ذلك:

---

[1] _ وقد كان السبب في تأليف عبد الواحد المراكشي (توفي بعد 621هـ)، لكتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، هو لقائه ببلاد المشرق وزيرا من خاصة أمير المؤمنين أبي العباس أحمد الناصر لدين الله العباسي، أين طلب منه هذا الوزير أين يملئ له أوراقاً عن تاريخ بلاد المغرب والأندلس. يراجع: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: مُحَمَّد سعيد العريان، منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت، ص14.

2_ المرجع نفسه، ص23.

[3] _ المرجع نفسه، ص414.

[4] _ حسن أبو مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الملك ابن القطان المراكشي، نَظْم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

[5] _ المرجع نفسه، ص46.

[6] _ المرجع نفسه، ص40-46.

[7] _ أحمد أبو العباس بن مُحَمَّد بن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/ 2013م. (ثلاث أجزاء).

[8] _ المرجع نفسه، ج1، ص22.

ما نلمسه عند ابن أبي زرع (ت بعد 726هـ/ 1326م)، من خلال كتابه "الأنيس المطرب بروض القرطاس"[1]، حيث يذكر أن موضوع كتابه التاريخي هذا "يحتوى على غرر التاريخ وعجائبه، ونوادر الأثر وغرائبه ويخبر بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين، وأمرائه الماضين، وأممه السالفين، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم، وغزواتهم وأحوالهم في دولتهم، وما رسموه بالمغرب من المراسم، وصنعوا من المصانع والمكارم، وفتحوا من البلاد والأقاليم، وبنوا من الحصون والمدن والمكارم، وأذكرهم أميرا بعد أمير، وملكا بعد ملك، وخليفة بعد خليفة، وأمة بعد أمة، على حسب تواليهم في أعصارهم ومراتبهم في دولتهم وأزمانهم كما وقع في الزمان، من أول دولة الإمام إدريس بن عبد الله الحسنى إلى هاذا الأوان"[2]، ومن خلال هذه المقدمة التي يضعها ابن أبي زرع لكتابه، يتضح مفهومه للتاريخ وموضوعه، فهو عنده يقتصر على ذكر أخبار السلاطين وإنجازاتهم، السياسية والعسكرية.

وقد سار التأليف على هذا النهج، عند كل من الوزير لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/ 1374م)، في كتابه "اللمحة البدرية في الدولة النصرية"[3]، وقد أرخ ابن الخطيب في هذا الكتاب لسلاطين دولة بني نصر أو بني الأحمر في غرناطة من لدن أولهم مؤسس الدولة أبي عبد الله مُحَمَّد بن يوسف إلى عهد السلطان مُحَمَّد الغني بالله[4]، وكتاب "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب"[5]، لمؤلف مجهول.

وعلى نهج سابقيه ألف ابن الأحمر الغرناطي (ت807هـ/ 1406م)، كتابيه "روضة النسرين في دولة بني مرين"[6]، و "تاريخ الدولة الزيانيةبتلمسان"[7]، وقد أتى،على ذكر "أنساب بني مرين

---

[1] ـ علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

[2] ـ المرجع نفسه، ص13.

[3] ـ مُحَمَّد أبو عبد الله لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: مُحَمَّد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009.

[4] ـ المرجع نفسه، ص29.

[5] ـ مؤلف مجهول، كتاب نَبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، نشره: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1323هـ/ 2002م.

[6] ـ إسماعيل أبو الوليد ابن الأحمر الغرناطي، روضة النّسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1382هـ/ 1962م.

[7] ـ إسماعيل أبو الوليد ابن الأحمر الغرناطي، تاريخ الدولة الزيانيةبتلمسان، تحقيق: هاني سلامية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1421هـ/ 2001م.

وفرهم الله تعالى، وتشعب قبائلهم، وأتيت بالتعريف بهم إلى أواخرهم من عهد أوائلهم"[1]، بينما تتبع في الثاني، علاقة الدولة المرينية بالدولة الزيانية وما دار بينهما من حروب ووقائع عسكرية.

ويندرج ضمن هذا الصنف أيضا كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، ليحيى ابن خلدون (ت 780هـ/ 1379م)، وهو كتاب ألفه في شأن الأسرة الزيانية[2]، ويلحق به كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان"[3]، لمحمد بن عبد الله التنسي (ت899هـ/ 1494م)، وكلها كتب خصصت للتعريف بالأسر والسلالات الحاكمة بعد دولة الموحدين.

وقد اشتهرت أيضا كتابات تاريخية خصصها المؤرخون للدولة الحفصية والأسرة الحاكمة لها، بغية تخليد مآثر هذه الأسرة، ومن ذلك كتاب "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"[4]، لابن قفنذالقسنطيني (ت 810هـ/ 1407م)، وكتاب "تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية"[5]، للزركشي (ت بعد894هـ/ 1485م)، وينبه ابن قنفذ في مقدمة كتابه أنه يعتني بـ"مهمَّات الوقائع الجليلة"[6]، وهذا يوضح مفهومه للتاريخ، على أنه يقتصر على ذكر الوقائع الجليلة والأحداث العظيمة، وذلك ما دونه في هذا الكتاب من خلال إبراز مناقب الدولة الحفصية وخاصة منها ما اتصف به السلطان أبو فراس عبد العزيز (ت837هـ/ 1434م).

بينما يعتني الثاني بذكر الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بها الدولتين الموحديةوالحفصية.

من خلال استعراضنا لجملة المؤلفات التاريخية بالغرب الإسلامي، يتضح لنا أن الغالب على الموضوعات التاريخية هي الجوانب السياسية والعسكرية للدول والإمارات المتعاقبة على المنطقة، ويمكننا القول أيضا من خلال تتبعنا لمفهوم التاريخ عندهم هؤلاء المؤرخين أنه يقتصر على ذكر وتخليد الأحداث السياسية و الفعاليات العلمية والدينية.

وبما أن الشق الأولى الذي يعنى بالأحداث السياسية والعسكرية دون في شكل تواريخ عالمية ومحلية أسرية، فإن الشق الثاني الذي يهتم بالفعاليات العلمية والدينية، قد دون ضمن كتب التراجم

---

[1] _ ابن الأحمر، روضة النسرين، ص08.

[2] _ علاوة عمارة، الكتابة التاريخية، ص355.

[3] _ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بوعياد، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985.

[4] _أحمد أبو العباس بن حسين بن علي بن الخطيب ابن القنفذالقسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

[5] _ محمد أبو عبد الله بن إبراهيم المعروف بالزركشي، تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضوى، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

[6] _ ابن قنفذ، الفارسية، ص99.

والأعلام بمختلف أصنافها[1]، وذلك من خلال التعرض للأعلام وتتبع سيرهم وحياتهم ومؤلفاتهم العلمية والأدبية، وشيوخهم وتلاميذهم[2].

وكتب التراجم والأعلام[3]، رغم اختلاف واضعيها في طريقة ترتيب وتجميع المعلومات ضمن هذه المصنفات، إلا أنها تبقى صورة أخرى من صور وعي المؤرخ بالتاريخ وصانعيه.

وعلى كل فإن الكتابة التاريخية المغربية بمختلف مراحلها وتطوراتها، احتفظت بنفس الموضوعات التي تناولتها نظيرتها المشرقية، "فألفوا في حفظ الأنساب وأيام العرب وبدء الخليقة وتاريخ الأنبياء، كما اهتموا بدراسة السيرة النبوية والمغازي فضلا عن كتب الطبقات والتراجم والتواريخ المحلية والعامة"[4]، وعليه يمكننا القول بنوع من الارتياح أن مفاهيم التاريخ عند المؤرخين المسلمين مشرقا ومغرباً، اقتصرت على ذكر الأحداث السياسية والعسكرية، والفعاليات الدينية والعلمية.

الفرع الثالث: مفهوم التاريخ وموضوعه عند مصنفي العلوم في الحضارة الإسلامية

إن إلقاء نظرة على كتب تصانيف العلوم في الحضارة الإسلامية، يوحي بحجم ومكانة علم التاريخ في المنظومة المعرفية الإسلامية خلال الثلاثة قرون هجرية الأولى، فقد جاء عند الكندي (ت حوالي 252هـ/ 866م)، في رسائله الفلسفية "كتاب ماهية العلم وأقسامه"[5]، وأبو نصر الفارابي (ت339هـ/ 950م)، في كتابه "إحصاء العلوم"[6]، بما يفيد أن علم التاريخ لم يرد ضمن أقسام العلوم المشهورة في تلك الفترة، فالتاريخ عندهم إما يلحق بالعلوم الشرعية، وإما يضم إلى الفنون.

في حين شهد التاريخ مع ابن النديم (ت 380هـ/ 990م)، في كتابه "الفهرست"، مكانة مرموقة فقد اعتبره ضمن المعارف الأساسية، فجعل موضوع التاريخ هو كل ما دونه الإخباريون

---

[1]- تتعدد أصناف كتب التراجم بحيث تشمل العديد من المصنفات، ككتب الطبقات وكتب الوفيات، وكتب البرامج والأثبات، وكتب البيوتات، وكتب الأنساب... وغيرها. يراجع: مُحَمَّد البركة، الكتابة التاريخية وكتب التراجم والأعلام.. دواعي النظر ومبررات الفكر، ص21-46.

[2]_ والملاحظ أن كتب التراجم قد أتت على التعريف بمختلف الشخصيات العلمية من فقهاء وأطباء وشعراء وأدباء ونحاة ووزراء وسلاطين وحكماء ومتصوفة وقراء ومفسرين ومتكلمين وقضاة.

[3]_ تختلف هذه المؤلفات في طريقة ترتيبها فمنها ما يرتب بحسب الوفيات، ومنها ما يرتب بحسب الحروف، ومنها ما يرتب بحسب البلدان، ومنها ما يرتب بحسب الطبقات...الخ. يراجع مقدمة كتاب: التاريخ وأدب التراجم، تنسيق: مُحَمَّد البركة وأحمد إيشرخان، ص9.

[4]_ الطيب بوسعد، المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي، ص130.

[5]_ مُحَمَّد بن أبي بكر المرعشي الشهير بساجقلي زاده، ترتيب العلوم، تحقيق: مُحَمَّد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/ 1988م، ص14-16.

[6]_ يراجع: أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص15-16.

والنّسّابون وأصحاب السّير والأحداث[1]، وأما التاريخ عند الخوارزمي (ت387هـ/ 997م)، هو نقل أخبار الملوك والدول والخَلفاء وألقابهم ونعوتهم وكل ما تعلق بهم من أخبار ومعارك وانجازات[2].

بينما جاء عندابن الأكفاني (ت749هـ/ 1348م)، بما يفيد أن "كتب التَّواريخ ينتفع بها في الاطلاع على أخبار الملوك والعلماء والأعيان، وحوادث الحدثان، في الماضي والزمان"[3]، ويبدو من خلال قوله أن موضوع التاريخ يقتصر على ذكر الجوانب السياسية والعسكرية والعلمية.

إنّابن الأكفاني (ت749هـ/ 1348م)،إضافة إلى ما ورد عند سابقيه من المشتغلين بتصنيف العلوم، يأتي على سرد أخبار الحكام والملوك، فإنه أضاف طبقة العلماء وما تعلق بهم من أخبار، تخص نشأتهم وشيوخهم وتلاميذهم وإنتاجهم العلمي، ولعل ذلك راجع إلى تشكل علم التراجم وما انجر ذلك من تآاليف.

وإذا ما نظرنا إلى المشتغلين بتاريخ التأريخ، كالكافيجي (ت879هـ/ 1474م) والسخاوي (ت902هـ/ 1497م)، وكلاهما متأخران من الناحية الزمنية، مقارنة بحجم الإنتاج التاريخي السابق لهما في المعرفة الإسلامية، وهذا ما خول لهما نوع من المصداقية والإحاطة في الحكم على موضوع التاريخ ومفهومه خلال الفترة التي سبقتهما من عمر الحضارة الإسلامية

فإن موضوع التاريخ عند الكافيجي(ت879هـ/ 1474م)هو عبارة عن "أمور حادثة غريبة، لا تخلو من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال، بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد، وتقرير تعيين، وتوقيت لغرض صحيح في ذلك"[4].

أما موضوع التاريخ عند السخاوي (ت902هـ/ 1497م)،فيأتي بمعنى "التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق

---

[1] ـ يراجع: مُحَمَّد أبو الفرج بن إسحاق النّديم، كتاب الفهرست، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1430هـ/ 2009م، مج 1، ج 3، 277.

[2] ـ وقد جعل الأخبار في تسعة فصول "الفصل الأول: في ذكر ملوك الغرب وألقابهم. الفصل الثاني: في ذكر الخلفاء وملوك الإسلام ونعوتهم وألقابهم. الفصل الثالث: في ذكر ملوك اليمن وألقابهم في الجاهلية وألقابهم. الفصل الرابع: في ذكر من ملك معدا من ملوك اليمن. الفصل الخامس: في ذكر ملوك الروم واليونانيين. الفصل السادس: في ألفاظ يكثر جريها في أخبار الفرس. الفصل السابع: في ألفاظ يكثر ذكرها في الفتوح والمغازي وأخبار عرب الإسلام. الفصل الثامن: في ألفاظ يكثر ذكرها في أخبار ملوك عرب الجاهلية. الفصل التاسع: في ألفاظ يكثر ذكرها في أخبار ملوك الروم". يراجع: مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ/ 1989م، ص119-149.

[3] ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الشهير بابن الأكفاني، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم مُحَمَّد عمر وأحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، [1990]، ص101.

[4] ـ محي الدين الكافيجي، المختصر في علم التاريخ، تحقيق: مُحَمَّد كمال الدين عز الدين، عالك الكتب، بيروت، ط1، 1410هـ/ 1990م، ص65.

به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، ومن ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها ومما سيأتي. أو دونها كبناء جامع، أو مدرسة أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها، مما يعم الانتفاع به مما هو شائع ومشاهد، أو خفي سماوي، كجراد وكسوف وخسوف، أو ارضي كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان، وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام"[1].

بينما شهد مفهوم التاريخ وموضوعه مع ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م)، شكل آخر خاصة في كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر".

وبناء على ما سبق؛ فإن ا لتاريخ كما "اتفق عليه المؤرخون القدامى شرقاً وغرباً، هو مجموع العوارض والطوارق التي كانت تستحق أن تحفظ. وما لم يذكر فلسبب عدم أهميته، أو كما قيل فيما بعد، لأنه لم تكن له نتائج ظاهرة"[2] ، وعليه فالتاريخ عندهم هو "ما كان شاذاً أو دراميا أو حماسيا"[3].

ويمكننا القول أن التاريخ عند القدماء هو تاريخ الحوادث الجسيمة والوقائع المدوية التي لها أثر واضح وجلي، ولا ينفك ذلك عن سرد سير الملوك والسلاطين والعلماء والأدباء، أو بعبارة أدق هو تاريخ السلطتين؛ السلطة السياسية والعلمية.

وعلى هذا فإن الكتابة التاريخية الإسلامية، اقتصرت على ذكر الأحداث السياسية والعسكرية والفعاليات العلمية، من خلال الجمع بين التراجم وبين الحوليات السياسية، وهذا مما أنعقد عليه إجماع المؤرخين المسلمين في ذلك العصر[4]، وغدا من مميزات كتاباتهم التاريخية، وأما الجوانب الاجتماعية والاقتصادية فلم تكن من اهتمامات المؤرخ ومفهومه للتاريخ، غير أن مفهوم التاريخ وموضوعه، شهد تحولا جذريا مع الرؤية الخلدونية، من خلال تأسيسه لعلم العمران البشري.

بما أننا تعرفنا على تطور فكرة التاريخ في الرؤية التقليدية عند المؤرخين المسلمين، كان لزاماً علينا التعرف على تطور هذه الفكرة في المعرفة التاريخية الغربية، وتأثيراتها على رواد كتابات التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية.

---

[1] _ محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدّين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ضمن كتاب: علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1986م، ص18-19.

[2] _ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ج1، ص35.

[3] _ محمد المازوني، من قضايا البحث التاريخ –مقدمات أولية–، منشورات جامعة ابن زهر، أكادير، [2012]، ص10

[4] _ هاملتون جب، علم التاريخ، ص100.

وعليه ينبغي التساؤل في نهاية هذا المبحث؛ عن سبب هذا الحكم من طرف رواد مدرسة التغييب والتهميش على الكتابة التاريخية عند المسلمين، ونعتها بأنها كتابة متحيزة طبقية همشت الفئات الدنيا، وبالتالي همشت الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية.

وهذا ما سوف نستعرضه في هذا المبحث؛ من أن هذه الأحكام جاءت اثر تبني مفاهيم معاصرة نشأت في الحقل التاريخي الغربي، وإسقاطها على منظومة معرفية لها سياقها التاريخي وخصوصياتها المعرفية

المبحث الثاني: تأثيرات مفاهيم التاريخ المعاصر على رواد دراسات التغييب والتهميش

كما مر معنا في الفصل الأول، فإن التحولات على مستوى المعرفة الغربية، كانت من أسباب تكون نظرة جديدة إلى التاريخ، حيث انتقلت من التجديد في مفهوم التاريخ وتوسيع دور المؤرخ، إلى التجديد في الإشكالات والمناهج والمظان المصدرية التي يشتغل عليها المؤرخ.

ولهذا فإنه من اللازم التطرق للتطورات التي مر بها مفهوم التاريخ في المعرفة الغربية، ورصد تأثيراته على الكتابات التاريخية على رواد مدرسة التغييب والتهميش، بغية التعرف على مظاهر التأثر، وذلك لمعرفة أسباب التي أدت إلى إطلاق حكم التغييب والتهميش على المدونة التراثية الإسلامية.

المطلب الأول: مفهوم التاريخ.. من تاريخ الأحداث إلى تاريخ البنيات

إن التاريخ بمفاهيمه التقليدية لم يكن في جوهره سوى سرد لأحداث شاذة وعجيبة ومتفردة في التاريخ، تتمثل في سير الحكام والسلاطين والعظماء والعلماء، غير أن الموجة التي أحدثتها المعرفة الغربية جعلت من التاريخ يتعدى مفهومه التقليدي إلى رؤية أوسع على مستوى الموضوعات والمقاربات والمناهج والمظان.

الفرع الأول: التحول على مستوى مفهوم التاريخ

شهد مفهوم التاريخ في المعرفة الغربية تحولات جذرية مع بداية القرن العشرين، لكن قبل ذلك لم يعرف مفهوم التاريخ في الفكر التاريخي الغربي كثيرا من التغيرات، حيث التصق في بداية الأمر مع الحضارة اليونانية والرومانية "بالأساطير والقصص الخرافية وبالعالم الغيبي"[1]، إلى جانب الاهتمام بالأشخاص المرموقين والمحاربين، وقد استمر على هذه الحالة في الفترة الوسيطة، فلم يخرج من حيث اهتماماته عن ذكر الحكام والأبطال في المعارك[2] ، وعليه فقد بقي التاريخ محصوراً في الحوادث المدوية والمفاجئة، في ظل انجازات الفرد البطل الذي يصنع التاريخ.

بينما تأثر علم التاريخ ومفهومه، بالثورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الحديثة، التي حملها عصر النهضة وفلسفات عصر الأنوار، وقد وظهر ذلك جلياً في توسع فروع التاريخ وفلسفته واتجاهاته[3].

فظهرت أولى بوادر هذا التغيير الحقيقي والواضح، مع ما دعا إليه فولتير"سنة 1744م في مؤلفه تحت عنوان تأملات جديدة حول التاريخ ما يلي: قد يحدث قريبا للكتابة التاريخية ما حدث للفيزياء. لقد أدت الاكتشافات الجديدة إلى التخلي عن الأنظمة القديمة. ويمكن أن نتعرف على

[1]_ محمد العربي الصديقي، التعريف التاريخي، ص35.

[2]_ المرجع نفسه، ص35.

[3]_ عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص07.

الجنس البشري من خلال هذه الجزئيات الهامة التي تعتمد عليها الفلسفة الطبيعية اليوم، إنه من المستحسن أن توجد أرشيفات لكل شيء حتى يتسنى استعمالها كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فأنا أنظر اليوم إلى المجلدات الضخمة وكأنها قواميس. ولكن بعد مطالعة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف وصف لوقائع حربية، وبعد التمعن في محتوى مئات المؤلفات، وجدتني غير مطلع أكثر من ذي قبل. فأنا لا أعرف الفرنسيين والمسلمين من خلال معركة شارل مارتال (Charles Martel)، أكثر مما أعرف المغول والأتراك من خلال انتصار تيمورلنك على بيازيد. أود أن أتعرف على قوى بلد ما قبل الحرب لأتبين ما ساهمت به هذه الحرب في تزايدها أو نقصانها"[1].

وقد قدم وجهة نظر نقدية للتواريخ الأوروبية، التي كتبت في ظل الكنيسة والعصر الإقطاعي في أوروبا، حيث اعتبرها "محضر جلسة طويل يعج بعقود الزواج وتواريخ أصول العائلات والصراع على الألقاب الشرفية، وهو ما جعل هذا التاريخ عالماً دامساً وجافاً، كما طمس الأحداث الكبرى وحال دون معرفة القوانين والعادات ، وهي أشياء جديرة بالاهتمام"[2].

ويزيد فولتير أن الإنسان المعاصر لن يكتفي بمثل هذه المعطيات، بل سيتطلع لما هو أكثر، يتطلع إلى معرفة نشأت الفنون والصناعات، والتحولات على مستوى عادات الناس وتقاليدهم[3]، ويبدو أن فولتير قد تفطن لذلك الزمن البطيء والتغيرات غير المحسوسة التي تحدث على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

وعليه فإن التاريخ عنده هو "التاريخ الاقتصادي والديمغرافي، وتاريخ التقنيات، وتاريخ العادات، وليس فقط التاريخ السياسي والعسكري والدبلوماسي. وهو أيضا تاريخ الناس، كل الناس، وليس فقط تاريخ الملوك والعظماء. إنه تاريخ البنى، وليس فقط تاريخ الأحداث. إنه تاريخ الحراك يهتم بالتطورات والتغيرات، وليس تاريخ الثبات يقدم على غرار اللوحة. إنه تاريخ تفسيري، وليس تاريخاً سردياً وصفياً ود غمائياً. وفي النهاية أنه التاريخ الكلي"[4]، لقد دعا فولتير إلى التاريخ الشامل الذي يدرس كل جوانب الحياة "وهكذا وقع التحول من السياسة إلى الحضارة، ومن الفرد إلى الجماعة"[5]، ويمكننا القول أنه صاحب الرؤية التاريخية التي تبنتها مدرسة الحوليات الفرنسية مع لوسيان فيفر ومارك بلوخ، وانتقالها من التاريخ للملوك إلى التاريخ للمجتمع.

---

[1] _ جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص99.

[2] _ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، ص61.

[3] _ جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص100.

[4] _ المرجع نفسه، ص100.

[5] _ الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، ص61.

هذه التحولات المعرفية التي شهدتها الحضارة الغربية، انعكست على رؤية المؤرخين للتاريخ ومفهومه، حيث عرف القرن التاسع عشر أو قرن التاريخ كما يسمى، انفجار في تعريفات التاريخ إلى درجة "تخطّت فيها المتعارف عليه لتشمل.. كل شيء يمكن إدراكه"[1]، بحيث لم يعد له تعريف جامع مانع بل أصبح كل نشاط حيا كان أو جامدا، يقبع تحت مسمى التاريخ، وعلى حد قول روزنتال فإن التاريخ أصبح يدعي أن بمقدوره دراسة كل شيء مثل ما تدعيه الفلسفة[2].

هذا ما حتم على علم التاريخ الانتقال من كونه ذلك العلم المنزوي المحصور والمفصول عن غيره من العلوم إلى "تاريخ منبث داخل العلوم الاجتماعية الإنسانية عموما"[3]، حيث استعار منها مجموعات من المناهج والطرائق التي تساعده في الهيمنة على هذه العلوم من جهة ودراسة هذه القضايا الجديدة من جهة ثانية.

هذه التحولات على مستوى مفاهيم التاريخ وطريقة ممارسته، فرضتها العلوم المعاصرة ولكن قبل ذلك؛ يمكنا الإشارة إلى دور الثورة المنهجية والوثائقية التي أحدثتها المدرسة الوثائقية[4]، في تغيير ممارسة المؤرخين للتاريخ من خلال الاعتماد على الوثيقة كسند وحيد لإثبات الوقائع التاريخية[5]وموضوعيتها[6]، وبالتالي فقد أقصت الرؤية الأسطورية والخرافات من التاريخ، وقد أمن رواد هذه المدرسة بقدرتهم على كتابة الحقائق التاريخية كما كانت في ظل وجود الوثائق التاريخية، فلا تاريخ بدون وثيقة.

في ظل تلك القيود المنهجية التي فرضتها المدرسة الوثائقية على مهنة المؤرخ، تشكلت رؤية جديدة أكثر انفتاحا على العلوم المعاصرة، وبالتحديد مع مدرسة الحوليات، التي حاول روادها

---

[1] _ محمد أحمد ترحيني، المؤرخون و التأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص06.

[2] _ فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ص17.

[3] _ دوس فرانسوا، التاريخ المفتّت، ص12.

[4] _ صحيح أن الثورة المنهجية في ظل المدرسة المنهجية هي من نتائج العلوم الوضعانية، غير أن أهميتها تكمن في بعده الوثائقي الذي ابعد كل أشكال الخرافات والأساطير عن التاريخ، بحيث يتلخص عمل المؤرخ في ظل هذه المدرسة في أربع مراحل: أولا: تجميع الوثائق. ثانيا: نقدها. ثالثا: ضبط الأحداث. رابعا: تنظيم هذه الأحداث ضمن سياق سردي كرونولوجي. يراجع: الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، ص89.

[5] _ يؤكد أصحاب هذه المدرسة أن الوقائع التاريخية لا تثبت إلا بالوثائق، "فالتاريخ يصنع من وثائق. والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم, والقليل جد ا من الأفعال والأفكار هو الذي يترك آثاراً محسوسة، وإن وجدت فنادراً ما تبقى: لأن عارضاً بسيطاً قد يكفي لزوالها. وكل فكرة أو فعل لا يخلف أثراً مباشرا أو غير مباشر، أو طمست معالمه هو أمر ضائع على التاريخ: كأن لم يكن البتة. وبفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطا ولة من ماضي الإنسانية مجهولا أبداً، إذ لا بديل عن الوثائق: وحيث لا وثائق فلا تاريخ". يراجع: لانجلوا وسنيوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، ص05.

[6] _ يؤكد بول ريكور على أن العمل من خلال الوثائق كان السند الوحيد لموضوعية المعرفة التاريخية والابتعاد عن ذاتية المؤرخ في نظر أصحاب المدرسة الوثائقية. يراجع: بول ريكور، الذاكرة.. التاريخ.. النسيان، ص257.

الأوائل الاستعانة بالعلوم الاجتماعية من اقتصاد وسوسيولوجيا وجغرافيا وسيكولوجيا ولسانيات[1]، لأجل إخراج التاريخ من بعده التخصصي والانفلات من اسر الأصنام الثلاثة لدى قبيلة المؤرخين التقليديين[2]: الصنم السياسي والصنم الفردي والصنم الكرونولوجي.

ويعتبر الصنم السياسي المهيمن على الدراسات التاريخية، إذ ينصب أهتمام المؤرخين بالتاريخ السياسي وتاريخ الأحداث السياسية والحروب وغيرها،دون غيرها من الموضوعات.

أما الصنم الفردي، فقد اعتاد المؤرخون على تصور التاريخ بوصفه تاريخا للأفراد، وليس بوصفه دراسة للأحداث، وهي عادة تقوم على إعطاء الدور المحوري للفرد، وتنسق حوله الأحداث عوضا عن محورتها حول مؤسسة أو ظاهرة اجتماعية أو لتحديد علاقة ما.

ليأتي الصنم التاريخي وهي عادة الإغراق في البحث عن الأصول والتوغل في أبحاث خصوصية، عوضا عن دراسة ما هو طبيعي وفهمه أولاً، وذلك بالبحث عنه والتقصي لتحديد موقعه في المجتمع، وفي الإطار الزمني الذي يعيش فيه.

هذه الرؤية الجديدة للتاريخ والتي تشكلت مع ثلة من الباحثين من مختلف التخصصات في العلوم الاجتماعية، قادت إلى "انقلاب في نظام التفكير في الرؤية في الأسلوب. فتحويل الاهتمام من الأحداث إلى البنيات هو تحول في المرجعية ككل. فالتاريخ التقليدي وهو يهتم بالأحداث والبلاطات والشخصيات كان يقوم على مرجعية التطور والارتقاء والغائية: العقل، التقنية، الثورة. والحال أن التطورات السياسية والمعرفية، في منتصف القرن العشرين، خلقت نزعة تشكيكية في القيم. فمن جهة كان لمآسي الحرب العالمية الثانية ومآزق الحركات التحريرية وأزمة الماركسية، كبير الأثر في فعفعة يقين المثقفين حول فكرة التقدم، حول مفهوم الارتقاء، حول منحى التاريخ. ولذلك بدأ يتقلص اهتمام المؤرخين بالتاريخ السياسي. ومن جهة ثانية كان للإثنولوجيا مفعول كبير على التاريخ عبر توجيه اهتمامه نحو المستويات الباردة في المجتمعات، أي الثوابت السوسيو- ثقافية من موروثات وتقاليد وطقوس ومعتقدات وأنساق القيم"[3].

وبالتالي انتقل مفهوم التاريخ من البحث في حوادث الماضي إلى البحث في علاقة البشر بالزمان والمكان.

---

[1]_ يراجع مقدمة محمد حبيدة لكتابه، الكتابة التاريخية -التاريخ والعلوم الاجتماعية التاريخ والذاكرة تاريخ العقليات-، ترجمة: محمد حبيدة، أفريقيا الشرق، ط2، 2015، 7-8.

[2]_ هذا التعبير لعالم الاقتصاد فرونسواسيميان (1873-1935)، صاحب المقال خالد الذكر حول "المنهجية التاريخية والعلم الاجتماعي". يراجع: جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص107.

[3]_ محمد حبيدة، الكتابة التاريخية، ص09.

وهذا ما شهدته الكتابة التاريخية بعد المدرسة المنهجية، من حيث تطور مفهوم التاريخ، وطريقة تناوله، فمفهوم التاريخ بالنسبة لمارك بلوخ -أحد الرواد الأوائل لمدرسة الحوليات-، هو "علم البشر في الزمن"[1]، بدلا من ذلك المفهوم المتداول على أن التاريخ هو علم الماضي، والذي يعد في نظره فكرة عبثية من قبيل اللغو[2]، مؤكداً في ذات الصدد أنه "ليس هناك إلا علم واحد للإنسان في الزمن، وهذا العلم يحتاج باستمرار إلى ربط دراسة الأموات بدراسة الأحياء"[3].

وغاية مارك بلوك من هذا التعريف هو التأكيد على السمة البشرية للتاريخ، في مقابل التاريخ الطبيعي والديني، هذا التصور أوحى لكثير من المؤرخين بأن الجزء الأساسي في التاريخ هو التاريخ الاجتماعي، وهذا ما يؤكده صديقه لوسيان فيفر على وجه أدق بأن التاريخ هو تاريخ المجتمعات البشرية والمجموعات المنظمة[4].

وهذا ما أدى بأجيال مدرسة الحوليات من بعدهما إلى توسيع مسارات التاريخ، من خلال الانفتاح على محاور مهمة للدراسات التاريخية، تمثلت في[5]:

- تاريخ البوادي وإنتاجاتها وعقليات فلاحيها.
- تاريخ التقنيات والسكن واللباس والأغذية.
- تاريخ المهمشين والأقليات والنساء.
- تاريخ الحساسيات الجماعية والسلوكيات والعقليات.
- تاريخ المخيال والتمثلات والذاكرة.

وقد استمرت هذه المسارات على ثلاث أجيال مهمة من تاريخ هذه المدرسة بدأ بالتاريخ الاجتماعي، مع مارك بلوك ولوسيان فيفر، ثم مرحلة التاريخ الاقتصادي مع الرؤية التي كرسها فرناند بروديل، ثم المرحلة الثالثة مع التاريخ الثقافي وتاريخ العقليات والتمثلات مع كل من جاك لوغوفوجورج دوبي ولوروالادوري.

والملاحظ على هذه المحاور أنها مركبة من عدة تخصصات وتتقاطع مع عديد الإشكالات من مختلف العلوم، وقد أبان مؤرخي مدرسة الحوليات من خلال هذه الموضوعات على "قدرة كبيرة على

---

[1] _ مارك بلوخ، دفاعا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ص104.

[2] _ المرجع نفسه، ص101.

[3] _ محمد العيادي، المدارس التاريخية الحديثة، ص36.

[4] _ جاك لوغوف، التاريخ والذاكرة، ترجمة: جمال شحيد، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2017، ص177-178.

[5] _ محمد حبيدة، الكتابة التاريخية، ص10.

محاورة العلوم الاجتماعية، بل رغبة في الهيمنة عليها"[1]، وهذا ما نبه إليه فرانسوا دوس -أحد أهم المشتغلين بمدرسة الحوليات- ، من أن مارك بلوخولوسيان فيفر قد اتبعاً برنامجاً خاصاً يشبه كثيراً إستراتيجية علماء الاجتماع، وذلك من خلال الأخذ من كل شيء[2].

وقد كان هدف رواد مدرسة الحوليات منذ البداية هو "تكسير عقلية التخصص"[3]، لدى مؤرخي المدرسة الوضعية، وذلك من خلال التشديد على ضرورة تعلم العلوم الاجتماعية، كالجغرافية والاثنوغرافيا[4] والديمغرافية والاقتصاد والسوسيولوجيا واللسانيات، وفي حالة تعذر ذلك يؤكد مارك بلوخ على ضرورة تكوين فرق بحث متعددة التخصصات[5].

وبرز انفتاح مؤرخي مدرسة الحوليات على العلوم الاجتماعية من خلال ثلاث مستويات[6]:

- مستوى المقولات الكبرى المستعارة من السوسيولوجيا والتي فرضت نفسها في ميدان التاريخ (الطبقة، النخبة، الرأسمالية، الفيودالية...الخ).
- مستوى المفاهيم النظرية (مفهوم البنية، مفهوم الظرفية، مفهوم الأزمة... الخ).
- مستوى المناهج الإحصائية والكمية، كتقنية العينات، وتحليل المضمون بالإضافة إلى التقنيات الإعلامية واستعمال الحاسوب.

كما لا يفوتني أن أذكر بفضل وتأثير مدرسة "التاريخ من أسفل"، ودورها في تجديد المفاهيم التاريخية، وتحويل اهتمام المؤرخين والباحثين من الاهتمام بتاريخ الجالسين على القمة إلى الاشتغال على تاريخ الكادحين[7]، "وأن هناك إمكانية لاستكشاف وجهات نظر جديدة عن الماضي...،

---

[1] _ محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص12.

[2] _ صحيح أن إستراتيجية رواد الحوليات تشبه كثيرا المشروع السوسيولوجي الدوركايمي الذي حاول أن يجعل من علم الاجتماع علم العلوم، غير أنهم يختلفون عنه في فكرة توحيد هذه العلوم، فقد عمل أصحاب مشروع الحوليات على تكسير الحدود بين العلوم بدل دمجها وتوحيدها في علم واحد. يراجع: دوس فرانسوا، التاريخ المفتت، ص48. محمد العيادي، المدارس التاريخية الحديثة، ص30-37.

[3] _ محمد العيادي، التاريخ الاقتصادي مدارسه ومناهجه، ضمن أعمال ندوة: التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، المنعقدة بتاريخ: 23/21 فبراير 1989، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق الدار البيضاء، المغرب، ج1، ص53.

[4] _ الاثنوغرافيا (Ethographic)،هي أحد علوم الإنسان، يهتم بدراسة المظاهر المادية للنشاط الإنساني من عادات وتقاليد كالمأكل والمشرب والملبس. يراجع: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون الطابع الآميرية، القاهرة، مصر، 1403هـ/ 1983م، ص03.

[5] _ المرجع نفسه، ص52.

[6] _ المرجع نفسه، ص50-51.

[7] _ محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص10.

[وقد] شدتهم فكرة استكشاف التاريخ من وجهة نظر النفر لا من وجهة نظر القائد"[1]، حيث أدت رؤيتهم هذه إلى توسيع مفهوم وحقل التاريخ، بل سعو إلى توسيع نطاق هذا العلم الذي اقتصر من قبل على دراسة تاريخ العظماء.

وقد تعدد التسميات حول هذه الممارسات والمفاهيم الجديدة للتاريخ من خلال مجموعة من المسارات المختلفة الناشئة في بلدان متعددة بدأ بمدرسة "التاريخ من أسفل"، المتشكلة في بريطانيا، ثم تاريخ الهامشيين" بفرنسا، و"التاريخ المجهري"، بإيطاليا، و"تاريخ التابع بالهند[2]، بالإضافة إلى مدرسة "التاريخ اليومي" بألمانيا[3].

هذه المسارات المتقاربة التي تأخذ خصوصياتها من السياقات المكونة لها، حملت معها مفاهيم جديدة للتاريخ، هذه المفاهيم التي "تبتكر موضوعاتها من الهامش: القرى النائية وضواحي المدن، الكادحون والفلاحون، المجرمون والمشعوذون، المساكين والمجانين، العاهرات والأقليات، وكل المجالات والفئات التي كانت على هامش دوائر السلطة والقرار، على هامش الآداب والفنون"[4].

بالإضافة إلى ممارسات أخرى تتقاطع معها في موضوعاتها المبتكرة[5]، وربما في بعض الأحيان هي تفريخ للموضوعات السابقة، أو متشعبة عنها بمسميات أخرى[6]، وهي في الغالب تندرج في خانة الموضوعات الغريبة في المفهوم التقليدي للتاريخ.

الفرع الثاني: تحولات مهنة المؤرخ

إن التوسع على مستوى مفهوم التاريخ واحتكاك المؤرخين مع باقي العلوم الاجتماعية، بالاضافة لما قدمته هذه العلوم من انتقادات لعمل المؤرخ التقليدي[7]، والذي فرض عليهم الانتقال من تاريخ الحدث إلى تاريخ البنية[8]. فغدا المؤرخ ينظر إلى التاريخ نظرة مركبة، ويتوسل بمناهج العلوم

---

[1] ـ جيم شارب، التاريخ من أسفل، ص52.

[2] ـ محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص10.

[3] ـ يراجع: خالد اليعقوبي وخالد طحطح، التاريخ من أسفل، ص73-79.

[4] ـ محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص10-11.

[5] ـ جاء في الكتاب الجماعي الذي أشرف عليه بيتر بوركي العديد من الممارسات الجديدة المتعلقة بحقول مبتكرة في مجال التاريخ كالتاريخ الشفاهي، التاريخ المرئي، التاريخ البيئي... وغيرها. بيتر بوركي، نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، ص05.

[6] ـ إلى جانب الحقول السابقة التي تشكلت مع مدرسة الحوليات كالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والتاريخ الثقافي فإنه قد تشعبت عنها مجموعة من الحقول كالتاريخ الحضري والتاريخ الريفي وتاريخ السكان وتاريخ العمل. يراجع: بيتر بوركي، التاريج الجديد –ماضيه ومستقبله–، ضمن كتاب: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، ص21.

[7] ـ وجه علماء الاجتماع نقدا لاذعا للمؤرخين التقليديين، معتبرين أن التاريخ مجرد تقنية لتجميع المعلومات لصالح علم الاجتماع، وأن علم الاجتماع هو العلم الوحيد القادر على فهم منطق الأحداث. يراجع: الهادي التيمومي، المدارس التاريخية، ص85.

[8] ـ محمد المازوني، من قضايا البحث التاريخي، ص20.

الاجتماعية في مقاربة الموضوعات. منتقلا في تحليله للحدث من الدراسة البنيوية إلى الدراسة الظرفية، ثم ينتقل إلى دراسة الحدث، ولذلك فإن الاختلاف بين المؤرخ التقليدي والمؤرخ المعاصر هو اختلاف جذري يتعلق بطريقة فهمه للحدث وتأوليه[1].

فالحدث في التحليل السوسيولوجي، مرتبط بوحدة بنيوية متكاملة ومتصلة، وهو نتيجة لتطورات تحتية عامة[2]، ولهذا فإن دراسة الحدث في التحليل البروديلي المتأثر بمفاهيم البنية، يمر عبر ثلاث أزمنة[3]؛ زمن البنيات، ثم زمن الظرفيات، ويليه زمن الأحداث.

ويظهر أيضا تأثير علم الاجتماع على مفهوم التاريخ وطريقة ممارسته، من خلال تركيز مارك بلوخ في مقارباته للموضوعات التي درسها على ثلاث مستويات هي: السؤال والتركيب والمقارنة. "السؤال لاستنطاق الوثائق والتركيب لتجاوز التفاصيل وتوليد الأفكار، والمقارنة لتجاوز التوصيف وبلوغ درجة التفسير"[4].

وبذلك انتقلت نظرة المؤرخ "مما هو استثنائي إلى ما هو منتظم، ومما هو خارق للعادة إلى ما هو معتاد، من الأحداث المفردة إلى الأحداث التي تبرز بكثافة"[5].

وعليه فإن المؤرخ المعاصر أمام هذه التأثيرات التي مارستها العلوم الاجتماعية، والتي فرضت عليه إعادة النظر في طريقة تحليله للحدث ورؤيته للتاريخ عموما، تشكلت رؤية جديدة لمهنة المؤرخ ودوره، كان لها كبير "الأثر على صناعة التاريخ، فالتجديد لم يلحق موضوع ومنهج المؤرخ فحسب، بل أثر في عقلية المؤرخ ذاتها"[6] ومهنته.

اشرنا سابقاً إلى الخطوات التي فرضتها المدرسة الوثائقية على المؤرخ، في ظل ذلك الهوس الوثائقي الذي سيطر على النصف الأول من القرن التاسع عشر، غير أن هذه القيود التي وضعها رواد هذه المدرسة، باتت محل نظر في ظل مدرسة الحوليات الفرنسية، فقد أعيد النظر في دور المؤرخ ومهنته، وكذا أنجر عنه إعادة النظر في مفهوم الوثيقة.

---

[1] _ الحدث؛ في نظر المؤرخ التقليدي هو ذلك الخبر أو المعطى المتاح بحيث يكون خبرا حقيقيا، وغالبا ما تقتصر مهمة المؤرخ اتجاه هذا الخبر سرد هذا الخبر ثم التأكد من صحته، أما إذا انتقلنا إلى مستوى تحليل هذا الحدث فغالباً ما يقرنه بأسباب قريبة المدى. يراجع: مُحَمَّد المازوني، من قضايا البحث التاريخي، ص20.

[2] _ المرجع نفسه، ص18.

[3] _ رغم الاختلاف بين مفاهيم البنية بين كلود لفي شتراوس، وبين مفهوم البنية عند فرناند بروديل يراجع: مُحَمَّد حبيدة، مدرسة الحوليات.. مفاهيم التحليل البروديلي، ص81-89.

[4] _ مُحَمَّد حبيدة، المدارس التاريخية،ص81.

[5] _ كريزيستوف بوميان، تاريخ البنى، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، ص207.

[6] _ مُحَمَّد العيادي، المدارس التاريخية الحديثة، ص36.

فعمل المؤرخ في نظر المدرسة الوثائقية يقتصر على جمع المادة التاريخية وترتيبها، أي إعادة كتابة التاريخ كما حدث، بينما عمل المؤرخ في نظر مدرسة الحوليات يتجاوز ذلك إلى إعادة تشكيل الماضي من خلال "إعادة بناء الحدث"[1] وفق رؤية المؤرخ.

هذا ما عبر عنه فرناند بروديل بأنه قبل أن يصبح التاريخ عنده حصيلة كل التواريخ الممكنة"[2]،كان في بداياته "مؤرخا للحدث للسياسة للشخصيات الجسام"[3].

إن هذه التحولات فرضت على المؤرخ اليوم الانتقال من التاريخ بمفهومه الضيق إلى مفهوم أكثر اتساعا، ما حتم عليه الاستعانة بمناهج العلوم الاجتماعية والياتها في معالجة هذه المواضيع المبتكرة، كما هو بحاجة إلى مصادر متنوعة للوصول إلى نتائج أكثر دقة ومصداقية في بناء هذه الموضوعات الجديدة.

وهذا ما يلخصه الباحث مُحَّد الطوكي بقوله "أن اهتمام المؤرخين قد تحول اليوم من الاقتصار على التاريخ السياسي إلى التاريخ الاجتماعي، وانتقل مركز الاهتمام من السجلات التي كانت تعطى لها الأولوية -كتب التاريخ الحوليات، السجلات السياسية للدولة-، إلى الاهتمام بالوثائق المتنوعة التي لها صلة بالتاريخ الاجتماعي، القروض، الحسابات، الإيجارات، الجبايات، الضرائب.."[4].

كما أن هذا التحول في مهنة المؤرخ فرض عليه التوسيع في مفهوم الوثيقة، وطريقة النظر غلى المصادر،ومما هو متعارف عليه أن المدرسة المنهجية أسست "أحكامها على الوثائق الملموسة، فما هو مسجل في الوثيقة أساسي ومعتمد، لقد أصبح الزمان استنادا إلى هذا المعنى وكأنه تجميع كلي للأحداث"[5]. هذا ما عبر عنه بيير نورا بقوله: أرشفوا أرشفوا، سيبقي دوما شيء ما[6]، ويمكن أننعت تلك الفترة بعصر الوثيقة، نظرا لذلك الهوس الوثائقي الذي تملك المؤرخين خلال تلك المرحلة.

إن هذا الاعتماد الصارم على الوثائق من لدن أتباع المدرسة الوثائقية، ربما يعود بالدرجة الأولى إلى مفهومهم للتاريخ، إذ يعتبرونه مجرد استرجاع للأحداث الماضية كما وقعت بالفعل، غير انه عند رواد مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد ليس كذلك بل هو إعادة بناء لهذه الأحداث وفق

---

[1]_ مُحَّد المازوني، من قضايا البحث التاريخي، ص21.

[2]_ إسماعيل سامعي، علم التاريخ دراسة في المناهج والمصادر، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2016، ص123.

[3]_ فرناند بروديل، تكويني كمؤرخ، ترجمة: مُحَّد حبيدة، مجلة أمل، الدار البيضاء، عدد02، السنة1992، ص110.

[4]_ مُحَّد الطكي، الوجه التاريخي للوثيقة الفقهية، حوليات كلية اللغة العربية، المغرب، عدد04، السنة1994، ص178.

5_ خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ص79.

[6]_ المرجع نفسه، ص79.

رؤيةالمؤرخ في ذلك العصر،وهذا ما يؤكده المؤرخ جاك لوغوف بقوله "الفعل التاريخي لا ينقل أبدا كما هو، بل يبنى"[1].

إن انفتاح التاريخ على بقية العلوم غير نظرته لمفهوم التاريخ وإشكاليتها، وبالتالي تغيرت القضايا والموضوعات التي يعالجها ما جعله يبحث عن مناهج أخرى لمعالجة هذه الموضوعات المستحدثة، بالإضافةلحاجته إلى مادة مصدرية ما أضطرره إلى ارتياد مصادر لا إرادية بتعبير مارك بلوخ.

وعليه فإن المؤرخ المعاصر في ظل هذه التحولات انتقل من دراسة تاريخ العظماء إلى دراسة تاريخ الشعوب، ومن دراسة تاريخ السلطات الحاكمة إلى دراسة حركات المعارضة، من دراسة الأحداث السياسية إلى دراسة الحياة الاجتماعية.

إن إعادة النظر في مفاهيم التاريخ وتعدد موضوعاته بحيث أصبح التاريخ عند هؤلاء يعتني بكل "نشاط أو كل ظاهرة تصلح أن تكون موضوعا لبحثه أو داخلة ضمن نطاقه"[2]، وعليه انتقل المؤرخون من التاريخ الجزئي إلى التاريخ الكلي الشامل، ومن التاريخ السياسي إلى تاريخ الشعوب، ومن الاعتماد على الوثيقة بمفهومها الضيق إلى الوثيقة بمفهومها الواسع.

هذا التحول الجدري في موضوع التاريخ وطريقة ممارسته، أثرت على الإنتاج التاريخي في العالم العربي، وقد تبنى أصحاب مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي هذه الرؤية والتصور، مع اختلاف في التطبيقات والتقنيات، وعليه فقد أثرت في تعاطيهم مع الإنتاج المعرفي عموما والتاريخي على وجه الخصوص في الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني: نقض دعوى التغييب والتهميش

ينبه العديد من الباحثين إلى الإضافات المميزة التي اكتنفت أعمال ودراسات رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي[3] ، بما لا يدع مجالا للشّك أنّ لها قصب السبقِ في ارتياد مسارات جديدة في البحث التاريخي.

إن التغيرات الجذرية التي شهدتها الكتابة التاريخية الغربية المعاصرة في التعاطي مع التاريخ كما مر معنا سابقاً، كان لها بالغ الأثر في العالم العربي، ولم يكن رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي

[1] _ جاك لوغوف، التاريخ والذاكرة، ص278.

[2] _ محمّد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، ص06.

[3] _ لخضر بولطيف، من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية.. مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي –استيعاب وتجاوز وبشارة–، بحث مرقون. محمّد العيساوي، تاريخ المهمشين في الغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتابات الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش قضايا وإشكالات، مجلة كان التاريخية، العدد48، السنة2020، ص78-86.

والاجتماعي بمنأى عن هذا التأثير، إن على مستوى الرؤية والتصور، أو على مستوى الموضوعات والقضايا.

وسنركز في نقدنا لدعوى التغييب والتهميش على مستويين:

يتمثل المستوى الأول في الرؤية المتبناة والمناهج المستعارة من المعرفة الغربية التي أفضت إلى مسلمات طبعت أعمالهم.

المستوى الثاني في القضايا والموضوعات والتطبيقات التي اكتنفتدراساتأصحاب دعوى التغييب والتهميش.

الفرع الأول: على مستوى الرؤية والمناهج

من بين الأهداف التي يضعها رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي نصب أعينهم، هي إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتطهيره من الكتابات التقليدية والتخريجات الاستعمارية، لتحقيق كتابة علمية موضوعية، ولا يتسنى لهم ذلك على حدقولهم إلا "بالاهتمام بالتاريخ الاجتماعي"[1] و"الحركات المعارضة"[2] وكتابة "تاريخ العوام"[3].

إن هذه الرؤية التي قدموها وهي الانتصار لتاريخ المستضعفين رغم جديتها إلى أنها تبقي حبيسة ثنائية؛ الحاكم والمحكوم، النخبة والعامة، التاريخ من أعلى والتاريخ من أسفل... الخ،"بمعنى إننا ونحن ندعو إلى البحث في تاريخ المهمشين لا يلزم أن نعتبر تاريخ الأبطال هو الاتجاه المرجو هدمه، وان تاريخ المستضعفين هو الاتجاه الذي يراد تعميمه وتغليبه على الأول حتى يصير مكانه، وإلا صار البحث مرهونا بثنائية الأصل والفرع"[4].

ولهذا فإن الانتقال من التاريخ السلطاني إلى تاريخ الشعوب يبقينا حبيسي ثنائيات البحث، التي تعرقل الرؤية المتكاملة والمتوازنة للمواضيع المدروسة، "وهذا يعني أننا ونحن نبحث في التاريخ المهمش نظل موجهين من قبل المرغوب هدمه الذي هو تاريخ الأبطال مما يرفع عن البحث سمة الموضوعية، ويجعله راكنا إلى رد الفعل فقط"[5].

---

[1] _ أحد الطاهري، طبقة العامة في المجتمع الإسلامي الوسيط، ص61.

[2] _ محمود إسماعيل، المهمشون في التاريخ الإسلامي، ص07.

[3] _ إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ العوام في مغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانية التجاوز.. طرح ومناقشة من خلال كتب العقود والوثائق، ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي، ص27. أحمد المحمودي، عامة المغرب الأقصى، ص27.

[4] _ يذكر الباحث محمد البركة مجموعة من الضوابط التي يجب أن تتوفر في المعالجة التاريخية، حيث يحصرها في أربع ضوابط: أولا الضابط المعرفي، ثانيا: الضابط المفهومي، ثالثا: الضابط: المنهجي، رابعا: الضابط المصدري. يراجع: محمد البركة، المعالجة التاريخية، ج1، ص34-35.

[5] _ المرجع نفسه، ص34.

ومن بين المسلمات أيضا التي يستند إليها أصحاب دعوى التغييب والتهميش أن البحث في قضايا المغيبين والمهمشين أو بصفة أعم البحث في موضوعات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، لا يزال يكتنفه الغموض بسبب أمرين: أولا قلة المادة المصدرية ، والأمر الثاني: تحامل المؤرخ على هذه الفئات.

وقد تبين لنا في الفصل الثاني والثالث من الرسالة، ومن خلال مجموع الدراسات التي تناولت القضايا الاقتصادية والاجتماعية من خلال المدونة التراثية على اختلاف أشكالها، وتعدد مضامينها، أنها زاخرة بالفعاليات والمعطيات الحضارية ما يجعل من هذه النقطة التي استندت عليها المدرسة في بناء دعوتها تجانب الصواب.

إلى جانب رؤىمغايرة لباحثين أكفاء انتبهوا إلى أن أزمة الكتابة التاريخية في العالم الإسلامي،هي أزمة معرفية وليست أزمةمصدرية[1].

ومن بين المسلمات التي يستندون إليها، قولهم بوجود تحالف بين المؤرخ ورجل السلطة، حملهم علىتهميش وتغييب العوام والفئات المستضعفة وحركات المعارضة، أو بصفة أعم أقصوا الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية من العملية التاريخية، إرضاء لرغباتهم وتقربا من السلطة الحاكمة، فالتساؤل المشروع الذي ينبغي طرحه هو؛ لما لم ترد هذه المعطيات في ثنايا الكتابات التاريخية لمؤرخي المعارضة كمحاولة منهم لإخراج هده الفئات من طي النسيان والكتمان؟

وهذا الأمر مما يقر به القادري بوتشيش أحد أكثر المنافحين عن هذا الاتجاه وأكثرهم قناعةً وتمسكاً بهذه الرؤية. بقولهأنه من العبث البحث عن مؤرخ في تلك الفترة تعرض لهذه الفئات والشرائح.

والاستناد إلى الحالة الاقتصادية وحدها في تحديد الحالة الاجتماعية والتراتب الطبقي، قول لا يمكن الركون إليه نظرا لتعدد العوامل المتحكم في عملية تحديد المستوى الطبقي للمجتمعات فمنها "ما يتصل بالاقتصاد ومنها ما يتصل بالثقافة ومنها ما يتصل بالذهنيات"[2].

---

[1]_ سعيد بن حمادة، الوثيقة التعليمية بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط الإجازات أنموذجا، ضمن كتاب: سؤال الوثيقة في التراث الأندلسي والأرشيف الإسباني –أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمد تضغوت–، تنسيق: إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الواحد أكمير، منشورات مختبر الدراسات التاريخية والأدبية والترجمة وحوار الثقافات المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة، مكناس، المغرب، ط1، 1440هـ/ 2019م، ص153.

[2]_ يراجع مقدمة كتاب: النظام الغذائي، محمد البركة وآخران، ص06.

إن انطلاقهم من المفهوم القائل بأن المهمشين هم كل "المغضوب عليهم" من جانب السلطة، وبتعبير آخر "كل الفئات التي أقصيت من الكتابة التاريخية"[1]، هذا المفهوم المطلقغير المنضبط الذي يشمل كل ما لم يدونه المؤرخ، لا يراعي مفهوم التاريخ في تلك الفترة ولا موضوعه.

والاستناد إلى ابن خلدون،لدراسة تاريخ الشعوب باعتباره أول من نظر لتاريخ المهمشين[2]،هو دعوى خالية من الصحة، وتقزيم للرؤية الخلدونية التي دعا إليها، من خلال تأسيسه لعلم العمران البشري الذي يرتكز على دراسة ثلاث مستويات أساسية[3]:

- دراسة أحوال الملك والتغلّبات
- دراسة الصنائع والعلوم
- دراسة أحوال الكسب والمعاش

هذه الرؤية المتكاملة التي تجعل من الأحداث السياسية والعلمية، أحد محركات التاريخ مع مراعاة الفعاليات الأخرى، وعليه فالتاريخ عند ابن خلدون لا يقتصر على دراسةتاريخ العوام والمهمشين، بل هو ذلك الناتج المركب من تفاعل الإنسان مع محيطه في الزمان.

الفرع الثاني: على مستوى القضايا والمواضيع

إن البحث في مثل هذه المواضيع الاقتصادية والاجتماعية، يتطلب مجموعة من الخطوات التي تساعد في تحقيق تراكم معرفي يسمح برؤية شاملة للموضوع[4].

ومن الأسئلة التي ينبغي طرحها؛ هل يمكن القول أن كتابة التاريخ الاجتماعي وتاريخ العوام للمجتمعات الإسلامية، كفيل بإخراج الكتابة التاريخية العربية التقليدية والمعاصرة من مزالقها المنهجية والمعرفية؟ أم أنّه مجرد "حلقة من ضمن حلقات البحث [في تاريخ المسلمين]، ووسيلة للوصول إلى هدف أعلى، وليس غاية في حد ذاته"[5].

---

[1]_ إبراهيم القادري بوتشيش، الهامشي والمهمش في الكتابة التاريخية.. طرح وتفسير، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص20.

[2]_ إبراهيم القادري بوتشيش، لماذا غيبت الفئات الشعبية من تاريخ المغرب الشرقي الوسيط، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص258.

[3]_ وجيه كوثراني، بعض إشكاليات المنهج في الكتابة التاريخية، ص59.

[4]_ فإلى جانب الخطوات التي تسبق معالجة الموضوع كتحديد الرؤية والمنهج، بالإضافة إلى المعالجة المصدرية، وضبط الإشكالية، واختيار الأدوات المنهجية، فإن بعض المواضيع الاقتصادية والاجتماعية المراد دراستها بحاجة إلى دراسات فرعية وجزئية تسبق الدراسات ذات المواضيع الاجتماعية من أجل تحقيق رؤية تكاملية عن هذه القضايا.

[5]_ عبد الإله بنمليح، التاريخ الاجتماعي للمغرب الوسيط، ص87.

هذه المحطة من محطات البحث والتي أصبحت مع رواد دراسات التغييب والتهميش هدفا وغاية[1]، وهذا ما يستدعي الانتباه منأن جل دراساتهم لم تتجاوز الرؤية التي كرستها دراسات التأريخ للمهمشين، إلى رؤية تكاملية تستدعي مقاربات جديدة.

بالرغم من إشادة باحث متمرس في الإنتاج التاريخي والفكري لرواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي إلى خصوصية هذا الإنتاج و جديته[2]، وهذا ما نشاطره الرأي فيه بحكم أنها تجربة ذات خصوصيات خاصة، تتفرد في المعطيات والمخرجات، إلا أنه لا يمكننا التسليم بأن هذا المسار كفيل بإخراج بل يمكن اعتبارها؛ قراءة من مجموع قراءات عديدة لتاريخ المسلمين، لها مالها وعليها ما عليها.

بالرغم من إقرارنا بأهمية المنجز التاريخي في ظل مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتميزه، إلا أنه من الواجب الإشارة لذلك التأثر بممارسات التجربة التاريخية الغربية، باعتبار أن الانتماء إلى مدرسة لا تحدده العلاقات التي تنشأ بين الأساتذة والتلاميذ في إطار الإشراف والتلمذة وحدها[3]، كما هو بين شخص محمود إسماعيل وطلبته، بل تحدده أيضا الرؤى والتصورات المستعارة من غيرنا.

إن مفاهيم وموضوعات مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي تحيل على تأثر واضح بمفاهيم وتصورات التاريخ في التجربة التاريخية الغربية الحديثة، باعتبار "أن هناك علاقة واضحة بين شكل التاريخ المكتوب في كل مجتمع وبنية ذلك المجتمع"[4]، وهذا ما لم يحدث في الدول العربية فقد "اكتفى مؤرخي العالم الثالث باستعارة الأشكال والقوالب الغربية"[5].

ومما يحيل أيضا على تأثر رواد هذه المدرسة بأحكام جاهزة هو طريقة تعاطيهم مع المدونة التراثية الإسلامية بنفس الأعين التي نظر بها المؤرخ الحولياتي الى الكتابة التاريخية الأوروبية في عصرها الوسيط، تلك الكتابة ذات الخصوصيات الخاصة التي كانت تهتم بالشأن السياسي مع إهمال الجوانب الأخرى، على عكس المعرفة في التجربة الإسلامية، التي تميزت بخصوصيات مختلفة وسياق

---

[1] _ وهذا ما يقر به رواد هذه المدرسة من أن البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي كفيل بتطهير الكتابات التاريخية التقليدية والكتابات التاريخية الاستعمارية الحديثة من المغالطات المنهجيةوالمعرفية التي وقعت فيها، وذلك من أجل كتابة تاريخ المسلمين برؤية علمية.

[2] _ لخضر بولطيف، من المدرسة المادية إلى المدرسة القيمية، بحث مرقون.

[3] _ محمد حبيدة، المدارس التاريخية، ص14-15.

[4] _ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ج1، ص185.

[5] _ المرجع نفسه، ص185.

تاريخي مختلف،صحيح أنها لم تكن تجربة كاملة خالية من النقائص، إلا أنها بالنسبة للإطار الزمني والتاريخي لذلك العصر، ونسق المعرفة تعتبر تجربة ثرية وغنية كانت لها الريادة في مجالها.

بيد أن محاولة كتابة تاريخ من الأسفل بدل تاريخ القمة، يحيل على حجم التأثير الذي مارسته التجربة التاريخية الغربية على رواد دراسات التغييب والتهميش في العالم العربي،وبالتالي فنحن أمام نموذج عربي لدراسات المهمش، بتصورات ومناهج غربية، يتفقان معا في الغاية والهدف والمسار.

ومن المزالق المنهجية أيضا التي يقع فيه رواد دراسات التغييب والتهميش هو طريقة نظرهم إلى المدونة التراثية، فأغلبهم يرون أن الرجوع إلى مصادر المدونة التراثية مما "تفرضه ضرورة البحث عن مصادر جديدة لكتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"[1] ، بل تعتبر "معوضاً للمصدر الأساسي الذي يفترض أن يعتمد عليه المؤرخ دائما"[2]، وذلك لأنها "تسعف في سد الفراغ"، و"ترميم هذه الثغرة"[3]، التي تطرحها الكتابة التاريخية التقليدية.

ويشير أغلبهم[4]، أن العودة لمثل هذه المصادر هو وليد الحاجة والاضطرار، وذلك أن معالجة مثل هذه المواضيع الجديدة في التاريخ حتم عليهم التعامل مع أجناس مصدرية مختلفة، وذلك بسبب غياب وثائق بديلة.

غير أننا نرى أن الرجوع لمثل هذه المصادر هو من باب التكامل الذي لا يمكن معالجة هذه الموضوعات التاريخية دون الرجوع لمثل هذه المدونات[5]، وهذا لا يشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فقط بل حتى السياسية والعلمية، فالرؤية ومعالجة الموضوع لا تكتمل إلا بالرجوع لمثل هذه الأجناس، التي تتيح للباحث النظر لموضوعه من زوايا متعددة وتصورات مختلفة وهذا ما يؤكد عليه الباحث مُحَمَّد البركة بقوله "إن المعالجة التي لا تراعي حالة التمازج بين القراءة الأفقية والعمودية للمادة المصدرية، هي قراءة... تائهة عن الإيضاح المنهجي؛ إذ الاكتفاء بالقراءة الأفقية للمصادر

---

[1] _ عمر أفا، نوازل الكرسيفي مصدراً للكتابة التاريخية، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل، ص205.

[2] _ عمر بن حمادي، من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي، القسم الأول، ص67.

[3] _ إبراهيم القادري بوتشيش، مخطوط نوازل ابن الحاج، ص30.

[4] _ وهذا يشمل في الغالب جل الباحثين سواء من الذين يعلنون انتمائهم لهذه المدرسة أو الذين يكتبون في إطار أبحاث ومواضيع تتقاطع مع أصحاب دعوى التغييب والتهميش. يراجع: عبيد بوداود، كتب نوازل وفتاوي الغرب الإسلامي الوسيط مصدراً للدراسات التاريخية والتشريعية القانونية، ضمن أعمال ندوة: التاريخ والقانون، ج1، ص31. فاطمة بلهواري، النص النوازلي، ص83. حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، ص19.

[5] _ باعتبار أن هذه المدونات كمر مر معنا في الفصول السابقة هي سجل لجميع مناحي الحياة فهي لم تكتفي بذكر الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فقط بل شملت كل الجوانب الثقافية والحضارية والعلمية والعمرانية حتى أنها لم تغفل تدوين الأحداث العسكرية والسياسية التي اختصت بها كتب الحوليات التاريخية.

انطلاقا من تعدد أصنافها، وإعلانا لتبني المفهوم الشامل لها، مسار له أهميته عند لحظة تبنية عن وعي، كما أن الاكتفاء بالقراءة العمودية للمصادر ذات الصنف الواحد أو النموذج الواحد، لها أهميته عند الوعي بتبنيها، لكن الجمع بين القراءتين للمصادر يظل مسارا نموذجيا غايته الجمع بين الاتجاه الوضعي في استثمار الوثيقة والاتجاه المعرفي في استثمار المناهج الحديثة...، والاختلاف الحاصل بين المصادر على تعدد أجناسها في التعبير هو اختلاف يراعي تعدد مقاصد التأليف، ولغة الجنس المصدري، وثقافة المؤلف، وغير ذلك من العناصر"[1].

وهذا ما ينبه إليه في موضع آخر من أن الرجوع إلى المصادر الأخرى ليس من باب الاضطرار وإنما من بابا تكامل المصادر والتعرف على تعدد الرؤى في ذات الموضوع، "إن تعدد أنواع المصادر عند المؤرخ، لا يلزمه بتجاهل المدونات الإخبارية، وإلا أصبحت الكتابة التاريخية شاردة عن سياقها إن لم تبن على هيكل الأحداث المسطرة بها، أي إن انفتاح المؤرخ على مصادر متنوعة ومتعددة لا يسقط عنه ضرورة الرجوع إلى هذه المدونات، وإنما يلزمه بعدم الغفلة عنها، لبناء تاريخ قد تختلف ألوانه وقضاياه، من أسفل أو من فوق، من المدينة أو من البادية، من الجبل أو من الواحة...، لكن هيكله العام يظل حاضرا بصورته، سواء بداعي تيسير التواصل والفهم، أو بداعي عدم الإرباك في البناء، وتشريد الذاكرة عن معالمها الرئيسية"[2].

وقد أدرك أحمد الطاهري؛ هذه الرؤية بعد تجربة ثرية وجادة في البحث التاريخي؛ وذلك في تقديمه للطبعة الثانية من كتابه عامة قرطبة إذ يقول "لا يمكن فهم تاريخ الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً دون الرجوع إلى الأصول، واستقصاء المادة العلمية المتناثرة في مئات المتون الموضوعة من طرف قدامى أهل القلم في مختلف أصناف التأليف واستنطاق مضامينها وإخضاع فصولها لمحك النقد والتحليل وإعادة تركيب مكوناتها التي فككتها الأقلام على مدار العصور والأزمان"[3].

والنظر إلى المصادر لا تراعى فيه جنس الوثيقة بقدر ما يراعا الموضوع المراد دراسته ومعالجته، فمن خلال الموضوع يمكننا تحديد المصادر المراد الاستناد إليها، كما وتبقى الحاجة ماسة لمطلق المصادر الأخرى،فإن اختلاف زوايا النظر وطريقة تدوين المعارف مدعاة للتكامل، وهذا ما ينطبق على أغلب المدونات التراثية، وعلى سبيل المثال فكتب النوازل على الرغم من كونها تعرضت "لبعض القضايا والتفاصيل والمعطيات التي لم تذكرها المدونات الإخبارية لطبيعتها، إلا أن هذا ليس مبررا لتجاوز هذه المدونات، لأن القضايا والتفاصيل المستخلصة من كتب النوازل لا تتحدد قيمتها

[1] _ محمد البركة، المعالجة التاريخية، ص37.

[2] _ محمد البركة، النوازل بين الفقه والتاريخ، ص49.

[3] _ أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة، ط2، ص7.

ولا يفهم سياقها ولا يعلم عمقها إلا باستحضار المصادر الإخبارية. فإذا كانت المصادر الفقهية عالجت وبسطت قضايا زمانها، مراعية لأعراف الناس وما يحقق المصلحة الشرعية لهم، فإن المصادر الإخبارية بدورها عالجت وبسطت قضايا زمانها، مراعية لأعراف الدولة وعوائد الحكم، مما يعني أن الزمن قد يتطابق، لكن زاوية النظر والتدوين قد تختلف، اختلاف تكامل بين زاويتين اثنتين؛ الأولى قصدها التأريخ والتخليد فهي إخبارية، والثانية قصدها التدوين والتعليم فهي فقهية"[1].

يذكر الباحث مُحَمَّد البركة كلاما غاية في الأهمية نستشهد به على طوله "إن التراث النوازلي من وجهة نظر المؤرخ أو الباحث في الدراسات التاريخية كان وسيظل مرتبطا بالسياق العام الذي أسهم في ظهوره، غير منفصل أو مفصول عن المصادر الأخرى التي يعتمدها المؤرخ، فاعلا متفاعلا معها، لأن المؤرخ يؤمن أن الحصيلة المجدية لا يمكن أن تتحقق إلا بالتكامل بين كل الوثائق والمصادر على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها وتفاوت أهميتها، لأن غرضه هو الوصول إلى المعلومة دون تعسف أو تبخيس في غير تهويل ولا تهوين، وهذا لا يتم إلا بمد جسور التكامل والتنسيق بين المعلومات والنصوص التي توفرها هذه المصادر أو تلك، إذ الاستغلال الكثيف والمتنوع للمصادر المتوفرة هو السبيل إلى إتمام وتعزيز وتصويب ما جاء في بعضها، إذا التزمت الضوابط المنهجية البين إدراكها في تضافر عملي بين الباحثين والمهتمين بالعلوم الشرعية والدراسات التاريخية"[2].

وهذا ما ندعو إليه، إذ على الباحث في حقل التاريخ أن يكون على تمام الوعي بالاختيارات المصدرية التي يعالج من خلالها بحثه وموضوعه، بالإضافة إلى الإدراك التام بالقيمة النوعية التي تقدمها هذا المصدر للكتابة التاريخية[3]، في إطار تعدد وتكامل هذه المدونات المصدرية التراثية.

اختلاف الغاية والقصد من التدوين في التراث المعرفي الإسلامي، فإذ يميل المؤرخ إلى تخليد الأخبارمن أجل الاعتبار، فإن غيره ينزع إلى نقل المعرفة وتعليمها.

وحتى المقاربة الماكروتاريخية التي يستند إليها أصحاب دراسات التغييب والتهميش في معالجة مواضيعهم تعرضت للنقد من طرف المقاربة الميكورتاريخية حيث "دعت المدرسة الإيطالية إلى تغيير مقياس التحليل ذلك أنه إذا نظرنا إلى صورة جماعية تغيب ملامح الأفراد. لكن إذا اقتربنا من كل شخص بدا جليا أن ثمة فروقا بين الأفراد المكونين للجماعة الواحدة فلكل عقلانيته ولكل أهدافه وغاياته. ومعرفة هذه القضايا والأهداف تقتضي الاعتماد على مقاربة ميكروتاريخية وعلى

[1] _ مُحَمَّد البركة، النوزال بين الفقه والتاريخ، ص49-50.
[2] _ المرجع السابق، ص56-57.
[3] _ المرجع نفسه، ص23.

هـذا الأسـاس يعتـبر تغيـير موقـع الملاحظـة وزاويـة النظـر والمقيـاس مـن الأهميـة بمكـان، لـذلك قـد يحتـاج تاريـخ المهمشـين إلى ضـرورة إعـادة النظـر في أدواتـه المنهجيـة الـتي أخـدها عـن المقاربـة المـاكر وتاريخيـة حتى يتمكن من معرفة عقلنه واستراتيجيات الفئات العريضة والمجهولة"[1].

وبالتـالي نحـن أمـام مقـاربات وقـراءات عديـدة للتـاريخ تحتـاج إلى النقـد والمراجعـة، مـن أجـل الوصول إلى رؤية متماسكة لبناء أحداث الماضي ووقائعه.

1_ خليل السعداني، الهنود في اسطوغرافيا الولايات المتحدة الأمريكية، ص94-95.

نتائج الفصل:

رغم أهمية الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية، وضرورة الاهتمام بها، إلا أن توجيه الاهتمام وتحميل المدونة الإخبارية مسؤولية تهميش هذه المعطيات يظل غير موضوعي، إذا ما راعينا طبيعة ووظيفة هذه المدونة، التي لم تكن تلك المعطيات من صميم اهتماماتها، ولا من صميم اشتغال المؤرخ في تلك الفترة، غير أن النظرة المتكاملة للمدونات التراثية كفيل بإدراك ذلك التكامل في المعرفة الإسلامية وشموليتها.

بيد أننا لا ننكر أن المدونات الإخبارية لم تتعرض لهذا النوع من المعطيات، غير أننا نختلف في أسباب عدم تعرضها لهذه المعطيات، وهو فيما نرى يرجع إلى اختلاف موضوع التاريخ ومنهجه، عما هو عليه في العصر الحاضر.

وهذا ما يوضحه الباحث مُحَمَّد مزين بخصوص البحث عند القدامى والمعاصرين "وهكذا فبينما كانت طموحات المؤرخين القدامى لا تتعدى محاولة تحديد تسلسل منطقي للأحداث في فترة معينة ومكان محدد، أصبح على المؤرخ اليوم إذا أراد تلبية حاجيات البحث العلمي للتاريخ والمشاركة في معالجة الإشكاليات الجديدة أن يبحث ويتطلع إلى اكتشاف مصادر ووثائق جديدة ويستوعب المناهج الحديثة"[1].

لاشك أن دراسة التاريخ الاجتماعي وتاريخ الشرائح الاجتماعية وحركات المعارضة مهم جدا من أجل تأسيس تاريخ متكامل، غير أنه يجب النظر إلى هذه المواضيع في إطار من التكامل مع غيرها من الموضوعات السياسية والثقافية والعمرانية...الخ، فبدل أن تصبح قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي هي الهدف تصبح وسيلة للوصول إلى تاريخ شامل يراعي قيمة الإنسان ومحورية القيم في المجتمع، تبشيرا بميلاد المدرسة القيمية في كتابة التاريخ.

[1] ـ مُحَمَّد مزين، التاريخ المغربي ومشكلة المصادر، ص97.

خاتمة

من خلال ما سبق نخلص إلى النتائج الآتية:

يبدو أن مسار الكتابة التاريخية العربية المعاصرة هو مسار تأثير وتأثر، مسار استعارة وإبداع، فبالر غم من أهمية الدراسات التي قدّمها رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وقدرتها على نقل الكتابة التاريخية العربية من طابعها الرسمي الأكاديمي إلى بعدها الاجتماعي والحضاري، وسعيهم لكتابة "**تاريخ يمشي على قدميه بدل أن يمشي على رأسه**"، هذه التجربة الرائدة تعدّ بمثابة أمارة فارقة في مسار الكتابة التاريخية العربية المعاصرة، إلا أنها تبقى تجربة لها مالها وعليها ما عليها.

وعلى العموم فإن رواد هذه المدرسة التاريخية قد ساهموا في إثراء الكتابة التاريخية العربية، من خلال ثلاث جوانب أساسية:

1- نقد الكتابات التاريخية الوسيطة، وتبيين المفارقات، والمعضلات الموجودة داخل هذا النسق من الكتابة، وكيف أثّرت ثقافة المؤرخ وبيئته في رؤيته للتاريخ، وتدوينه للأحداث التاريخية.

2- مناقشة الأسس، والبدائل النظرية، والمنهجية التي تخول للبحث التاريخي أن يكون موضوعيا وعلميا.

3- اقتراح ومعالجة مواضيع وقضايا جديدة تتميز بالجدّة والدّقة والعمق من حيث البعد النظري والتطبيقي.

وعلى الرغم من هذه الانجازات والإسهامات المهمة التي قدمتها هذه المدرسة التاريخية، إلاّ أنّها تحتاج من المؤرخين والباحثين إلى مزيد من النقد والتصويب والتثمين أيضا، فمن وجهة نظرنا هي تفتقر إلى تلك الدراسات المنهجية التي تعنى بالمصادر والمدونات التراثية، على اختلاف مضامينها ومقاصد تأليفها، كالمدونة الفقيهة، والصوفية، والمدونة الجغرافية بأقسامها، وكذا مدونات الأدب، وذلك من خلال معالجة هذه المدونات المصدرية كوحدة واحدة لا تتجزأ في إطار تكامل المعرفة والثقافة الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى غياب الدراسات النقدية التي تحاول مساءلة إنجازات المدرسة من الداخل بغية تصويب أخطائها ومنزلقاتها وتثمين الجيد منها، وهذا ما نسعى إليه من خلال؛ مساءلة مدى علمية الدعوى، التي رافعت لها المدرسة إزاء المدونة التراثية، وتحميل المؤرخين مسؤولية تهميش الفئات الشعبية وطمس حقيقتها وتاريخها.

إذ ينطلق رواد دراسات التّغييب والتّهميش في العالم العربي من رؤية عريضة، مفادها أنّ المؤرخ كان العامل الأساسي في تغييب وتهميش الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية، من خلال مجموعة من الممارسات والاستراتيجيات والدسائس التي تفصح عن نية مبيتة لإقصاء هذه المعطيات –المتمثلة في العوام والشرائح الاجتماعية وحركات المعارضة– من مجموع الأخبار والمعطيات الحضارية

الأخرى التي وصلتنا، بالإضافة إلى ركون المؤرخ إلى السلطة واختياره لمصلحته الدّنيوية على مهنته العلمية، من خلال التحالف معها وتهميشه وطمسه وتعتيمه لأخبار الشرائح الدّنيا من المجتمع.

وإذ كان اعتراضنا على هذه الدعوى -المتناسية لخصوصيات التجربة المعرفية الإسلامية- من باب كونها تجن على فئة عريضة من المؤرخين وكتاباتهم، وهذا لا يتنافى مع كوننا نتفق معهم في كون المؤرخ قد اهتم بالفعاليات السياسية والعلمية دون غيرها، من خلال كتب الحوليات والتراجم، إلا أننا لا نوافق على كون المشكلة مصدرية بالأساس، بل هي معرفية بالدرجة الأولى[1]، أي أن المشكلة هي في طريقة النظر إلى المعرفة الإسلامية.

ومن النتائج المهمة التي ينبغي الإشارة إليها هي حجم المعلومات الاقتصادية والاجتماعية التي تزودنا بها المدونات التراثية المختلفة، ودورها في دراسة مثل هذه المواضيع، على الرغم من كونها تحمل خصوصيات خاصة، إلا أنها كفيلة بتزويد الباحثين بمعلومات قيمة تسهم في بناء الجوانب الحضارية للمجتمعات الإسلامية.

وقد ظهر لنا من خلال تتبعنا للدراسات التي جعلت من المدونة البلدانية والأدبية -ركيزة أساسية لتتبع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية- أنّها تلعب دوراً مهما في الكتابة التاريخية، لما توفره من معلومات دقيقة عن حياة الناس العاديين، وقدرتها على تصوير الواقع المعيش، بكل تشكلاتها وتفصيلاتها.

الأمر نفسه بالنسبة لمدونة الفقه والتصوف، إذ وقفنا على معطيات اقتصادية واجتماعية؛ بما لا يدع مجالا للشك عنحجم وغزارة المعطيات التي تزود بها الباحثين في حقل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، حتى غدت هاتين المدونتين من المصادر الأساسية لكل باحث يتوخى العلمية والموضوعية.

كما وننوه إلى ضرورة الاستعانة بالمدونات الإخبارية إلى جانب المدونات السابقة الذكر، في إطار رؤية تكاملية تساعد على فهم أدق لزوايا النظر والكتابة، كما تساعد على معرفة سياقات ا لكتابة والتدوين، ما يجعل من عمل المؤرخ عملاً متكاملا.

على أننا نقر أن فكرة التهميش عموماً واردة ومستساغة من المؤرخ ومن غيره، فلا يمكن إبطالها أو تزييفها، فالتهميش متجذر في الطبيعة البشرية للإنسان.

لكننا نسعى لتبرئة ذمة المؤرخين مما ألصق بهم، من دعوى تهميشهم للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية، وذلك للأسباب التالية:

[1]_ وقد أشار الباحث سعيد بنحمادة إلى هذا الأمر في مقدمة مقاله القيم عن دور الوثيقة التعليمية بالأندلس والمغرب. يراجع: سعيد بنحمادة، الوثيقة التعليمية بالأندلس والمغرب، ص153.

- لـو تم الاكتفـاء بتـدوين جانـب مـن المعطيـات الاقتصـادية والاجتماعيـة دون غيرهـا، لحـق لنـا القــول أنّــه تم تهميشــهم واســتبعادهم وتغييبهم.وتجــدر الإشــارة أن عــدم حضــور المعطيــات الاقتصــادية والاجتماعيــة في المــدونات الإخباريــة، يتعلــق برؤيــة المــؤرخ للتــاريخ، ولــيس بموقــف مسبق للمؤرخ من هذه المعطيات.
- مــن خــلال الاطــلاع علــى مختلــف الكتــابات التاريخيــة في الــتراث الإســلامي، لا نكــاد نعثــر علــى مــؤرخ أتــى علــى ذكــر المعطيــات الاقتصــادية والاجتماعيــة، إلا مــا ورد في المــدونات الجامعــة الــتي يصــعب تصــنيفها ضــمن علــم مــن العلــوم، ولكــن مــا وجــدناه أن هــذه المعطيــات ذكــرت في مــدونات أخــرى كمدونــة البلــدان والرحلــة والأدب والأمثــال والفقــه والنــوازل والمناقــب والتصــوف، وغيرها من المدونات التراثية المتعددة.
- يمكننــا القــول أن هــذه الــدعوى تكونــت بســبب تبــني المقــولات والمفــاهيم الغربيــة، وإســقاطها علــى تراثنــا المعــرفي ومــدوناتنا التراثيــة الــتي لهــا ســياقاتها التاريخيــة وخصوصــياتها المعرفيــة الــتي تشــكلت داخلها.

لعــل مــا يزيــد مــن صــحة هــذا الــرأي هــو كــون هــذه المعطيــات لم تــدرج ضــمن الكتــب التاريخيــة إلا مــع التطــورات الحديثــة للمعرفــة التاريخيــة، عنــدما تنبــه المؤرخــون لأهميــة هــذه المعطيــات –الاقتصــادية والاجتماعيــة– نتيجــة توســع المعرفــة التاريخيــة، الــتي تبلــورت مــع المــدارس التاريخيــة الغربيــة الحديثــة. الــتي أنتجــت مفــاهيم جديــدة للتــاريخ أحــدثت انقــلاب في دور الفاعــل في العمليــة التاريخيــة، مــا جعــل المجتمــع يدخل كفاعل في حركة التاريخ.

فــالمتتبع لهــم يجــدهم ينظــرون إلى المصــادر نظــرة قاصــرة، فبــدل النظــر لهــا، علــى أنهــا مصــادر مكملــة يــذهب إليهــا المــؤرخ حــال الاضــطرار، وجــب النظــر إليهــا بعــين التكامــل، فتعــدد الــرؤى وزوايا النظر من الجوانب الايجابية في معالجة القضايا والمواضيع.

لهــذا يجــب أن نفــك الارتبــاط بــين التــاريخ والوثيقــة المكتوبــة، أو التــاريخ والتــدوين، فارتبــاط التــاريخ بالكتابــة يجعــل العديــد مــن الشــعوب بــلا تاريــخ، وعلــى هــذا لا يجــب أن نــربط التــاريخ بشــكله المدون فقط، فالتاريخ تصنعه " الأحلام والمعتقدات والأوهام والرموز والتمثلات".

ضــمن هــذا الســياق ورغــم أهميــة الفعاليــات الاقتصــادية والاجتماعيــة، وضــرورة الاهتمــام بهــا، إلا أن توجيــه الاتهــام وتحميــل المــؤرخين مســؤولية تهمــيش هــذه المعطيــات يظــل غــير موضــوعي، إذا مــا راعينــا طبيعــة ووظيفــة المــؤرخ في ذلــك العصــر، الــتي لم تكــن تلــك المعطيــات مــن صــميم اهتماماتــه، ولا مــن صــميم اشــتغاله، غــير أن النظــرة المتكاملــة للمــدونات التراثيــة كفيــل بإدراك ذلــك التكامــل في المعرفــة الإسلامية وشموليتها.

بيد أننا لا ننكر أن المدونات الإخبارية لم تتعرض لهذا النوع من المعطيات، غير أننا نختلف في أسباب عدم تعرضها لهذه المعطيات، وهو فيما نرى يرجع إلى اختلاف موضوع التاريخ ومنهجه، عما هو عليه في العصر الحاضر.

وهذا ما يوضحه الباحث مُحَمَّد مزين بخصوص البحث عند القدامى والمعاصرين "وهكذا فبينما كانت طموحات المؤرخين القدامى لا تتعدى محاولة تحديد تسلسل منطقي للأحداث في فترة معينة ومكان محدد، أصبح على المؤرخ اليوم إذا أراد تلبية حاجيات البحث العلمي للتاريخ والمشاركة في معالجة الإشكاليات الجديدة أن يبحث ويتطلع إلى اكتشاف مصادر ووثائق جديدة ويستوعب المناهج الحديثة"[1].

لاشك أن دراسة التاريخ الاجتماعي وتاريخ الشرائح الاجتماعية وحركات المعارضة مهم جدا من أجل تأسيس تاريخ متكامل، غير أنه يجب النظر إلى هذه المواضيع في إطار من التكامل مع غيرها من الموضوعات السياسية والثقافية والعمرانية...الخ، فبدل أن تصبح قضايا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي هي الهدف تصبح وسيلة للوصول إلى تاريخ شامل؛ يراعي قيمة الإنسان ومحورية القيم في المجتمع، قد يكون مؤذنا بميلاد المدرسة التاريخية القيمية.

وفي الأخير يمكننا القول بنوع من الارتياح أن مرد هذه الدعوى لا يعدو أن يكون سوى إسقاط لمفاهيم معاصرة، وقوالب جاهزة، على إنتاج معرفي في حقبة زمنية معينة، يرتبط بشرطية تاريخية، ونسق معرفي محدد.

التوصيات:

- تتبع بقية روافد دعاوى التغييب والتهميش بدءا بجذورها الغربية، اضافة إلى تجلياتها في الكتابة العربية المعاصرة.
- توجيه البحث العلمي نحو بقية الدعاوى المتعلقة بالمدونة التراثية الإسلامية عرضاً ونقداً.
- الاعتناء بباقيتفريعات المدونة التراثية في الغرب الإسلامي تحقيقاً ودراسةً وتقويماً.
- تكثيف النظر في باقي المدونات الرتاثية من خلال الاعتناء ببعدها المنهجي والمعرفي وتطوير آليات ومناهج لاستغلال هذه المدونات في الكتابة التاريخية.
- الاهتمام بتفريعات المدونة الفقهية لا تقل أهمية عن النوازل، ككتب الحسبة والوثائق والعقود...وغيرها.
- تتبع باقي المدونات الأدبية، على غرار؛ طبقات الأدباء والشعراء، كتب النوادر، فن المقامات، أدب الرسائل، الشعر الشعبي، الموشحات.. الخ.

[1] ـ مُحَمَّد مزين، التاريخ المغربي ومشكلة المصادر، ص97.

- توسيع البحث في الموضوع بتتبع بقية المعطيات الحضارية التي لم تغطها هذه الدراسة، نظرا لأنشغالها بالمعطيات الاقتصادية والاجتماعية محل الدعوى المثارة، ونقصد بهذه المعطيات السياسية والثقافية والعمراني... الخ.

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصطلحات

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾	100	22
سورة آل عمران		
﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾	187	22
سورة النساء		
﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾	47	23
سورة يونس		
﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾	88	23
سورة مريم		
﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾	16	22
سورة مريم		
﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾	22	22
سورة القصص		
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾	40	22
سورة يس		
﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾	66	23
سورة الصافات		
﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾	145	22
سورة المرسلات		
﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾	8	22

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث النبوي	رقم الصفحة
1	«أن النبي ﷺ مر على قبر منبوذ فأمهم وصلوا خلفه»	23

فهرس المصطلحات

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
الاثنوغرافيا	104، 195
الاثنولوجيا	100، 104
الارستقراطية الاقطاعية	51
الاقطاعية المرتجعة	50
البنية الفوقية	35
البنية التحتية	35
التاريخ المجهري	45، 196
التراتبية الاجتماعية	57
الصراع الطبقي	50
الجدلية التاريخية	34، 35، 57
الجغرافية البشرية	87
الجغرافية الوصفية	79
الحتمية الجغرافية	42
الطبقة البرجوازية	51
الطبقة الكادحة	51 ،53
علاقات الانتاج	35
الكولونيالية	40، 41
المدرسة الإيطالية	206
المدرسة المنهجية	31، 37، 133، 193، 198
المنهج البنيوي	66
المنهج السيميائي	66
المناهج الوضعية	31
نمط الانتاج الاقطاعي	49
الوثائق الرسمية	32
نمط الإنتاج	34
الطبقات	29

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
إبـــراهيم بـــن القاســـم،أبو إســـحاق المعـــروف بالرقيـــق القيرواني(ت420هـ/ 1029م)	180
إبـــراهيم بـــن ســـهل،أبو إســـحاق الإشـــبيلي(ت649هـ/ 1251م)	111
إبراهيم القادري بوتشيش	54، 55، 56، 58، 60، 72، 132، 139، 165، 167
إبـــراهيم بـــن مُحَمَّد، أبـــو إســـحاق الاصـــطخري (ت340هـ/ 951م)	78
إبراهيم حركات	131
أحمد بن مُحَمَّد بن عذاري،أبو العباس المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1312م)	180، 181
أحمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن دراج،أبو عمر القسطلي(ت421هـ/ 1030م)	111
أحمد بن مُحَمَّد بن عبد ربه،أبو عمر (ت328هـ/ 940م)	108، 110، 115
أحمد الطاهري	54، 55، 56، 60، 64، 204
أحمد المحمودي	54، 55، 57
أحمد أمين	108
أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، أبو العباس اليعقوبي(ت292هـ/ 905م)	177
أحمد بن حسن بن علي، أبو العباس المعروف بابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/ 1407م)	183
أحمد بن علي المقريزي، أبو العباس ،المعروف بتقي الدين المقريزي (ت845هـ/ 1442م)	47
أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين القزويني(ت395هـ/ 1004م)	90
أحمد بن مُحَمَّد بن موسى الرازي (ت344هـ/ 945م)	78

أحمد بن مُحَمَّد بن نصر، أبو عبد الله الجيهاني (ت375هـ/ 985م)	78
أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب، أبو علي مسكويه (ت421هـ/ 1030م)	47
أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، أبو الحسن البلاذُري (ت279هـ/ 892م)	177
أحمد بن يحيى، أبو العباس الونشريسي(ت914هـ/ 1509م)	130، 131، 139، 140
ادغار موران	26
إدوارد ثومبسون	41
إدوارد سعيد	40
إسماعيل فرج بن إسماعيل،أبو الوليد المعروف بابن الأحمر الغرناطي(ت807هـ/ 1406م)	182
اغناطيوس كراتشكوفسكي	91
إميل دوركايم	35، 36، 37
إميل عمار	129
أندريه ميكيل	91، 96، 97
أنطونيو جرامشي	26
ايمن فؤاد سيد	176
البرزلي بن أحمد بن مُحَمَّد، أبو القاسم البلوي القيرواني (ت841هـ/ 1440م)	130، 139
بكربن حماد بن سهل، أبو عبد الرحمنالتيهرتي (ت296هـ/ 909م)	111
بوبة مجاني	55، 105
بول فين	39
جاك بيرك	130
جاك لوغوف	29، 193، 197
جان كلود شميث	27، 28، 29، 38

جميل بن عبد الله بن معمر العذْري(ت478هـ/ 1085م)	84
جياتاريسبيفاك	40
حامد التريكي	156
الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان، أبو مُحَمَّد الهمداني (ت334هـ/ 945م)	78
حسين خالد	55
حسين مروة	47
حليمةفرحات	156
دييبششاكرابارتي	43
روبير برينشفيك	130
رونيه ميكيل	86
الزبير بن بكر بن بكار،أبو عبد الله (ت256هـ/ 869م)	204
سلفادور فيلا	129
سليمان بن موسى بن سالم، أبو الربيع الكلاعي (ت634هـ/ 1237م)	112
شارل سينوبوس	31
شارل لانغلوا	31
شمس الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن،أبو الخير السخاوي(ت902هـ/ 1497م)،	185، 186
شمس الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد،أبو عبد الله المعروف بابن الأكفاني(ت749هـ/ 1348م)	185
شمس الذين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، أبو عبد الله الذهبي (ت748هـ/ 1347م)	178
شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني (ت1041هـ/ 1632م)	110
شهيد أمين	43
صالح المغيربي	91
ابن الصغير(ت. بعد 294هـ/ 906م)	179

طيب تيزيني	47
عبد الأحد السبتي	132، 159
عبد الإله بنمليح	54، 55، 64
عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن مُحَمَّد، أبو الفرج بن الجوزي (ت597هـ/ 1201م)	178
عبد الرحمن بن مُحَمَّد ابن خلدون(ت808هـ/ 1406م)	58، 63، 96، 113، 183، 186، 201
عبد السلام المنصوري	158، 159، 166
عبد العزيزأبو فراس المتوكل(ت837هـ/ 1434م)	183
عبد اللطيف الشاذلي	131
عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد،أبو مُحَمَّد القيرواني(ت 386هـ/ 996م)	131
عبد الله العروي	33
عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد بن أيوب بن عمرو، أبو عبيد البكري(ت487هـ/ 1094م)	84
عبد المالكبن حبيب، أبو مروانالمرداسي (ت 238هـ/ 853م)	178، 179
عبد الملك بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم، أبو مُحَمَّد المعروف بابن صاحب الصلاة (ت بعد 594هـ/ 1197م)	180، 181
عبيد الله بن أحمد بن مُحَمَّد، أبو يحيى الزجالي (ت694هـ/ 1295م)	112
عبيد الله بن عبد الله، أبو القاسم ابن خرداذبة (ت نحو 280هـ/ 893م)	78
عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله الأسدي (ت94هـ/ 712م)	177
علاوة عمارة	176
علي ابن القطان،أبو الحسن المراكشي(ت بعد 628هـ/ 1230م)،	180، 181

علي بن بسام،أبو الحسن الشنتريني (ت542هـ/ 1147م)	110، 116
علـي بـن مُحَمَّد بـن أحمـد بـن حريق،أبـو الحسـن البلنسـي (622هـ/ 1225م)	111
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو مُحَمَّد الأندلسي (ت456هـ/ 1064م)،	110
علي بن الحسين بن مُحَمَّد بن أحمد بن الهيثم، أبو الفرج الأصفباني (ت356هـ/ 967م)	109
علي بن الحسين، أبو الحسن المسعودي(ت355هـ/ 956م)	81، 84
علي بن عبد الله ابن أبي زرع(ت بعد 726هـ/ 1326م)	182
علـي بـن مُحَمَّد الربعـي، أبـو الحسـن المعـروف باللخمـي (ت 478هـ/ 1085م)	130
عليّ بن مُحَمَّد بن العباس التوحيديُّ، المكنى بأبي حيان التوحيدي (ت414هـ/ 1023م)	110
عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة، أبو عثمان المعروفبالجاحظ(ت255هـ/ 868م)	109، 113
عيسى بن سهل، أبو الأصبغ الجياني (ت486هـ/1093م)	131، 134
فاطمة بلهواري	55
فرناند بروديل	33، 42، 193، 196
فؤاد قنديل	91
فولتير	37، 189، 190
قدامـة بـن جعفـر بـن قدامـة بـن زياد، أبـو الفـرج البغـدادي (ت337هـ/ 948م)	78
كارل ماركس	33، 34
لوسيان فيفر	36، 190، 193
لويس ألتوسار	34
ليفي بروفنصال	129
ليولود فان رنكه	31
مارك بلوخ	36، 37، 192، 194، 196

ماكس فيير	35، 36
مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب بن مُحَمَّد بن إبراهيم، أبو طاهر الفيروزآبادي (ت817هـ/ 1414م)	21
مُحَمَّد ابن إسحاق بن يسار بن خيار (ت150هـ/ 767م)	177
مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن إبراهيم، أبو البركات المعروف بابن الحاج البلّفيقي (ت771هـ/ 1370م)	111
مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد ابن النديم، أبو الفرج (ت 380هـ/ 990م)	185
مُحَمَّد بن علي بن حوقل،أبو القاسم البغدادي (ت367هـ/ 977م)	80، 82، 86، 93
مُحَمَّد بن أحمد بن رشد،أبو الوليد المشهور بابن رشد الجّد (ت520هـ/ 1126م)	134، 138
مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي بكر، أبو عبد الله المعروف بابن الأبار (ت658هـ/ 1260م)	117
مُحَمَّد بن مُحَمَّد، أبو عبد الله الإدريسي(ت560هـ/ 1166م)	84، 85، 87
مُحَمَّد بن موسى، أبو عبد الله الخوارزمي(ت387هـ/ 997م)	185
مُحَمَّد أبو نصر الفارابي(ت339هـ/ 950م)	184
مُحَمَّد العمراني	158، 167
مُحَمَّد القبلي	132
مُحَمَّد المغراوي	138
مُحَمَّد بن إبراهيم بن لؤلؤ، المعروف بالزركشي (ت بعد894هـ/ 1485م)	183
مُحَمَّد بن أحمد بن الحاج، أبو عبد الله التجيبي (ت529هـ/ 1135م)	134
مُحَمَّد بن أحمد شمس الدين، أبو عبد الله المقدسي (ت380هـ/ 991م)	79، 80، 8&، 82، 83، 84، 88
مُحَمَّد بن الحسن بن عبد الله، أبو بكر الزبيدي (ت379هـ/ 989/989م)	112

مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (ت310هـ/ 922م)	177
مُحَمَّد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيجي(ت879هـ/ 1474م)	185
مُحَمَّد بن عبد الله بن سعيد، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/ 1374م)	182
مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الجليل بن عبد الله، أبو عبد الله التنسي (ت899هـ/ 1494م)	183
مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد اللّواتي المعروف بابن بطُّوطة (779هـ/ 1378م)	96
مُحَمَّد بن علي بن عمر بن مُحَمَّد، أبو عبد الله المازري (ت 536هـ/ 1141م)	130
مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن علي بن أحمد، أبو عبد الله العبدري(ت نحو 700هـ/ 1300م)،	93
مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن عاصم،أبو بكر الغرناطي (ت829هـ/ 1426م)	112
مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرزاق، المشهور بالزبيدي (1205هـ/ 1790م)	32 ،21
مُحَمَّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري(ت124هـ/ 742م)	177
مُحَمَّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت711هـ/ 1311م)	90 ،23 ،21
مُحَمَّد بن يوسف، أبو عبد الله الوراق (ت364هـ/ 975م)	78
مُحَمَّد حجي	131
مُحَمَّد مزين	207 ،132 ،129
محمود إسماعيل	53، 52، 51، 49، 48، 47، 29، 202 ،175 ،72 ،57 ،55

محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي(ت بعد 621هـ/ 1224م)	180، 181
مهدي عامل	47
موسى بن أبي عنان فارس بن علي، المكنى بأبي فارس (ت759هـ/ 1358م)	96
ميشيل دو سارتو	29
ميشيل فوكو	25، 26، 28، 38
النعمان بن مُحَمَّد بن منصور بن أحمد بن حيون، المعروف بالقاضي النعمان (ت 363هـ/ 974م)	179
الهادي روجيه إدريس	130
هومي بابا	40
الواقدي (ت207هـ/ 823م)	177
يحي بن موسى، أبو زكرياء المازوني التلمساني(ت883هـ/ 1478م)	139
يحي بن مُحَمَّد ابن الجزار،أبو بكر السرقسطي (480هـ/ 1087م)	111
يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف الكندي(ت حوالي 252هـ/ 866م)	184

فهرس المراجع

فهرس المراجع

أولا– الكتب:

1. ابتسام الزاهر:**الإماء في الغرب الإسلامي**، مقاربات للنشر، فاس، المملكة المغربية، [2019].

2. إبراهيم القادري بوتشيش:

- **أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250هـ–316م)**، منشورات عكاظ، الرباط، 1992.
- **إسهامات في التاريخ الإقتصادي– الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط**، منشورات عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مطبعة فضالة، المغرب، 1998.
- **الإسلام السري في المغرب العربي**، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1995.
- **الأقلية الإسلامية في صقلية بين الاندماج والصدام وصراع الهوية (484 – 591هـ / 1091 – 1194م)–مساهمة في دراسة تاريخ الأقليات–**، سلسلة دراسات وأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، ط1، 2016.
- **المهمشون في التاريخ الإسلامي.. إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل، دار رؤية**، القاهرة، ط1، 2014.
- **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة، بيروت، 1997.

3. أحمد أبو العباس الولالي،**مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999.

4. أحمد أبو العباس بن حسين بن علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق: مُحَمَّد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

5. أحمد أبو العباس بن مُحَمَّد بن عذاري، **البيان المُغرِب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/ 2013م.

6. أحمد أبي زكريا بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، 1979.

7. أحمد الطاهري:

- **عامة قرطبة في عصر الخلافة.. دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي**، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989.
- **عامة قرطبة في عصر الخلافة.. دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي**، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط2، 2018.

8. أحمد المحمودي، **عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي**، سلسلة دراسات وأبحاث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 2001.

9. أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.

10. أحمد بن مُحَمَّد المقّري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1988م.

11. أحمد بن مُحَمَّد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق: مفيد مُحَمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1983م.

12. أحمد بن يحيى أبو العباس الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إشراف، مُحَمَّد حجي، وزارة الأوقاف المغربية ودار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981.

13. أحمد شوقي، **من المصادر الأدبية واللغوية**، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1410هـ/ 1990م.

14. إدغار موران، تربية المستقبل المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

15. إدوارد سعيد:

- **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة: مُحَمَّد عناني، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2006.
- **الثقافة والإمبريالية**، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 2014.

16. إريك وولف، **أوروبا ومن لا تاريخ لهم**، ترجمة: فاضل جتكر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط01، 2004.

17. إسماعيل أبو الوليد ابن الأحمر الغرناطي:

- **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تحقيق: هاني سلامية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1421هـ/ 2001م.
- **روضة النّسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، مطبوعات القصر الملكي، الرباط، 1382هـ/ 1962م.

18. إسماعيل سامعي، **علم التاريخ دراسة في المناهج والمصادر**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2016.

19. اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات الإدارة الثقافة بجامعة الدول العربية، القاهرة، 1963.

20. آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، [1955].

21. إيمانويل فالرشتاين، نهاية العالم كما نعرفه اليوم نحو علم اجتماعي للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: فايز الصياغ، هيئة البحرين للثقافة والآثار، مملكة البحرين، ط1، 2017م.

22. أيمن فؤاد سيد، **الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2017.

23. البرزلي بن أحمد أبو القاسم البلوي، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل بالقضايا من المفتين والحكام**، تحقيق، مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2002.

24. بول ريكور، **الذاكرة.. التاريخ.. النسيان**، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2009.

25. بيتر بوركي، **نظرات جديدة على الكتابة التاريخية**، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

26. بيل اشكروفت وآخران، **دراسات ما بعد الكولونيالية: المفاهيم الأساسية**، ترجمة: أحمد الروبي وآخران، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

27. تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي،أبو نصر السُّبكي، **طبقات الشَّافعية الكبرى**، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

28. توفيق بن عامر، **التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع**، المركز الثقافي العربي ومؤمنون بلا حدود، المغرب، ط1، 2013.

29. جاسم حيدر عبد السادة الدبيسي، **التجديد في المنهج والتأريخ الجديد لدى ميشيل فوكو**، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط1، 2016.

30. جاك لوغوف، **التاريخ والذاكرة** ، ترجمة: جمال شحيد، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2017.

31. الحسن أبو جميل العلمي، **إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في ضوء منهج الجرح والتعديل**، معهد الغرب الإسلامي للتكوين والبحث العلمي، القنيطرة، المغرب، 2006م.

32. حسن بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الملك بن القطان أبو مُحَمَّد المراكشي، **نُظُم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزَّمان**، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

33. الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

34. حسن بن يحي الشوكاني، **التجارة ونظم التسويق دراسة حضارية في التاريخ الأندلسي (138–422هـ/ 755–1030م)**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2019.

35. حسن حنفي، **من الفناء إلى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

36. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ، دار المعارف، القاهرة، ط8، 2000.

37. الحسين لغوالي، الشعر والتاريخ.. مقاربة منهجية، مؤسسة آفاق، مراكش، المغرب، ط1، 2020.

38. حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ط02، 1986.

39. حميد الفاتحي، **الفقهاء في المغرب المريني.. محاولة في إعادة تركيب مضامين التراجم**، منشورات الزمن، المغرب، 2018.

40. حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني (609–869هـ/ 1212–1465م).. إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية**، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2010.

41. خالد بلعربي، **دراسات في تاريخ المغرب الأوسط**، دار الريان للطباعة والنشر، تلمسان، 2007.

42. خالد طحطح وخالد اليعقوبي، **التاريخ من أسفل.. في تاريخ الهامش والمهمش**، منشورات الزمن، المملكة المغربية، ط1، 2016.

43. خالد طحطح:

- **البيوغرافيا والتاريخ**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.
- **الكتابة التاريخية**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012.

44. خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج7.

45. دوس فرونسوا، **التاريخ المفتت.. من تاريخ الحوليات إلى التاريخ الجديد**، ترجمة: مُحَمَّد الطاهر المنصوري، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.

46. ديبيش شاكرابرتي، **مواطن الحداثة.. مقالات في صحوة دراسات التابع**، ترجمة: مجيب الرحمان، منشورات هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011.

47. ديوان ابن دراج القسطلي، تحقيق: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1381هـ/ 1961م.

48. ديوان إبن سهل الأندلسي، دراسة وتحقيق: يسرى عبد الغني عبد الله، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/ 2003م.

49. رسائل ابن حزم الأندلسي (384–456)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

50. رضوان السيد وآخرون، **الماركسية والتراث العربي الإسلامي: مناقشة لاعمال حسين مروة والطيب تيزيني**، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1980.

51. زهور أربوح، **أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي –دراسة فقهية اجتماعية–**، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013.

52. الزواوي بغورة،**ما بعد الحداثة والتنوير موقف الأنطولوجيا التاريخية –دراسة نقدية–**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

53. زينب الكتامي، **نوازل الطفل بالغرب الإسلامي من خلال المعيار للونشريسي (ت914هـ): جمع وترتيب ودراسة نماذج مختارة**، منشورات مؤسسة مقاربات، فاس، المغرب، 2019.

54. سامية مصطفى مسعد، **صور من المجتمع الأندلسي.. رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية**، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 1998.

55. سعيد جبار، **خطاب الرحلة –الذاكرة وآليات إنتاج الدلالة–**، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2017.

56. سليمان القرشي، **صورة المرأة في الشعر الأندلسي**، منشورات التوحيدي، الرباط، المغرب، ط1، 2015.

57. سليمان بن موسى أبو الربيع الكلاعي، **نكتة الأمثال ونفثة السحر الحلال**، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1416هـ/1995م.

58. شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي: –التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل–**، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2002.

59. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأَرَب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قميحة، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بَيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2004.

60. شوقي ضيف:

- **البحث الأدبي –طبيعته مناهجه أصوله مصادره–**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، [1992].
- **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، [1987].
- **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، [1989].

61. صالح المغيربي، **أدب الرحلة في الغرب الإسلامي من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر**، ترجمة: مُحَمَّد طرشونة، منشورات المركز الوطني للترجمة ودار سيناترا، تونس، 2013.

62. ابن الصغير، **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، [1985].

63. صفوان بن إدريس أبو بحر التجيبي المرسي، **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر**، نشر وتعليق: عبد القادر محداد، بيروت، 1939.

64. الطاهر أحمد مكي، **دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة**، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1397هـ/ 1977م.

65. الطاهر بونابي، **مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط – مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط–**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

66. عادل النفاتي، **المجتمع و الجغرافية الثقافية لبلاد المغارب.. حفريات في أدب الرحلة القرن 16 –في الهوية والتدين والثقافة–**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015.

67. عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي**، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

68. عبد الحميد عبد الله الهرامة ، **شعر أبي البركات ابن الحاجِ البلّفيقي (نحو 680هـ/ 771هـ)**، منشورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط1، 1416هـ/ 1996م.

69. عبد الرحيم الحسناوي، **النص التاريخي –مقاربة إبستيمولوجية وديداكتيكية–**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2011.

70. عبد الرزاق ناصر الموافي، **الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1995.

71. عبد السلام المنصوري، **بنية الخطاب المنقبي طلاق العقل وأوهام التاريخ**، المركز الثقافي العربي ومؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ط1، 2017.

72. عبد العزيز الدوري، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، منشورات مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/ 2000م.

73. عبد الله العروي، **مفهوم التاريخ –الألفاظ والمذاهب المفاهيم والأصول–**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 4، 2005.

74. عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد ، أبو عبيد البكري:

- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، تحقيق: أحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1391هـ/ 1981م.
- **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

75. عبد الملك بن حبيب السَّلمي الأندلسي، **كتاب التاريخ**، نشره: عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/ 2008م.

76. عبد الملك بن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة –تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين–**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987.

77. عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: مُحَمَّد سعيد العريان، منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، د.ت.

78. عبد الواحد دنون طه، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1988.

79. عبيد الله بن أحمد أبو يحيى الزجالي القرطبي، **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق: مُحَمَّد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، فاس، المغرب، 1975.

80. عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسه الهجريين (ق13–15م) –دراسة في التاريخ السوسيوثقافي–**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003.

81. علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م.

82. علي بن بسام أبو الحسن الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

83. علي بن الحسين بن مُحَمَّد بن أحمد بن الهيثم أبو الفرج الأصبهاني، **الأغاني**، مطبعة التقدم، مصر.

84. علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

85. عليّ بن مُحَمَّد بن العباس التوحيديُّ، **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

86. عمر بلبشير:

- **النوازل الفقهية وإمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل الجزائريين**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، ط1، 2017.
- **حجة المغاربة أبو العباس الونشريسي ومعلمته النوازلية المعيار –دراسة في منهجه وموارده وأهميته–**، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، الجزائر، ط1، 2017.

87. عمر بنميرة، **النوازل والمجتمع مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس، المغرب، ط1، 2012.

88. عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم من مطلع الجاهليَّة إلى سقوط الدّولة الأموية–**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981.

89. عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ:

- **البخلاء**، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، ط7، 1971.
- **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1418هـ/ 1998م.

90. عواطف بنت مُحَمَّد يوسف نواب:

- **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين –دراسة تحليلية نقدية مقارنة–**، منشورات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1429هـ/ 2008.
- **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين –دراسة تحليلية نقدية مقارنة–**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ- 1996م.

91. عيسى ابن سهل بن عبد الله أبو الأصبغ الأسدي الجياني، **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطرٍ من سير الحكام**، تحقيق: يحيى مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007.

92. فرانز روزنثال، **علم التأريخ عند المسلمين**، ترجمة: صالح أحمد العلى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ/ 1983م.

93. فريد بن سليمان، **مدخل إلى دراسة التاريخ**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000.

94. فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2002.

95. فوكو ميشيل، **تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي** ، ترجمة: سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.

96. فين بول، أزمة المعرفة التاريخية فوكو وثورة في المنهج، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار االفكر للدراسات، القاهرة، ط1، 1993.

97. قيس ماضي فرو، **المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2013.

98. كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5.

99. لطفي ديبش:

- **الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية.. قراءة في نصوص الجغرافيين والرحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، السلسلة 8، الجمهورية التونسية، 2011.
- **التواصل الحضاري في الثقافة الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين المسالكيين والرحالين العرب والمسلمين**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010.

100. لطفي عيسى:

- **أخبار المناقب في المعجزة والكرامة والتاريخ**، دار سيراس للنشر، تونس، [1993].
- **بين الذاكرة والتاريخ.. في التأصيل وتحولات الهوية**، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015.

101. مارك بلوخ، **دفاعا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ**، ترجمة: أحمد الشيخ، منشورات المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية، القاهرة، ط2، 2013.

102. مجموعة مؤلفين ، **المغيَّبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، تنسيق: الهادي التيمومي، منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999م.

103. مُحَمَّد أبو عبد الله لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق: مُحَمَّد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009.

104. مُحَمَّد أبو نصر الفارابي، **إحصاء العلوم**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

105. مُحَمَّد أحمد ترحيني، **المؤرخون و التأريخ عند العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

106. مُحَمَّد البركة وآخران، **النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد**، منشورات الزمن، المغرب، 2016.

107. مُحَمَّد البركة وسعيد بنحمادة، **مصادر تاريخ الغرب الإسلامي محاولة في التركيب والرصد**، منشورات آنفو برانت، فاس، المغرب، ط1، 2016.

108. مُحَمَّد العربي الصديقي، التعريف التاريخي في منهج المؤرخ: إضاءة إبستيمولوجية ومساهمة في ديداكتيكية التاريخ، مطبة الرباط نت، الرباط، [2013].

109. مُحَمَّد الله بن إبراهيم أبو عبد المعروف بالزركشي، **تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق: مُحَمَّد ماضوى، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

110. مُحَمَّد المازوني، **من قضايا البحث التاريخ –مقدمات أولية–**، منشورات جامعة ابن زهر، أكادير، [2012].

111. مُحَمَّد المختار ولد السعد، **الفتاوى والتاريخ.. دراسة لمظاهر الحياة الإقتصادية والاجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

112. مُحَمَّد المغيربي، **رحالة الغرب الإسلامي**، ترجمة: عبد النبي ذاكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2013.

113. مُحَمَّد المنوني، **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، ط2، 2014.

114. مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الشهير بابن الأكفاني، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق: عبد المنعم مُحَمَّد عمر وأحمد حلمي عبد الرحمن، دار الفكر العربي، القاهرة، [1990].

115. مُحَمَّد بن أبي بكر المرعشي الشهير بساجقلي زاده، **ترتيب العلوم**، تحقيق: مُحَمَّد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ/ 1988م.

116. مُحَمَّد بن أحمد ابن الحاج أبو عبد الله التجيبي القرطبي، **نوازل ابن الحاج التجيبي**، دراسة وتحقيق: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، المغرب، ط1، 1439هـ/ 2018م.

117. مُحَمَّد بن أحمد المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، منشورات دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ط1، 2003.

118. مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد أبو الوليد بن رشد الجدّ:

- **فتاوى ابن رشد**، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1407هـ-1987م.
- **مسائل أبي الوليد ابن رشد** ، تحقيق: مُحَمَّد الحبيب التجكاني، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1993.

119. مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي، **مفاتيح العلوم**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1409هـ/ 1989م.

120. مُحَمَّد بن إسحاق أبو الفرج النّديم، **كتاب الفهرست**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1430هـ/ 2009م.

121. مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، **صحيح البخاري**، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، 1419هـ/ 1998م.

122. مُحَمَّد بن الطيب، **إسلام المتصوفة**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

123. مُحَمَّد بن حسن بن مذحج أبو بكر الزبيدي، **لحن العوام**، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1420هـ/ 2000م.

124. مُحَمَّد بن رمضان شاوش، **الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي**، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط1، 1385هـ/ 1966.

125. مُحَمَّد بن شريفة، **ابن حريق البلنسي حياته وآثاره**، د.د، ط1، 1417هـ/ 1996م.

126. مُحَمَّد بن صالح السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلام –مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري–**، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1429هـ.

127. مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد شمس الدّين السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1986م.

128. مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985.

129. مُحَمَّد بن عبد الله بن مطروح أبو عبد الله السرقسطي ، **روضة المَحاسن وعمدة المُحاسن**، دراسة وتحقيق: منجد مصطفى بهجت، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م.

130. مُحَمَّد بن علي بن حوقلأبو القاسم البغدادي، **صور الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1996.

131. مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عاصم أبو بكر الغرناطي، **حدائق الأَزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر**، تقديم وتعليق: أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014.

132. مُحَمَّد جبنوبي، **الأولياء في المغرب الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيثقافية –حياة وسير بعض مشاهير أولياء المغرب–**، مطبعة دار القرويين، المغرب، 2004.

133. مُحَمَّد حبيدة:

- **الكتابة التاريخية –التاريخ والعلوم الاجتماعية التاريخ والذاكرة تاريخ العقليات–**، ترجمة: مُحَمَّد حبيدة، أفريقيا الشرق، ط2، 2015.
- **المدارس التاريخية –برلين، السوربون، استراسبورغ–: من المنهج إلى التناهج**، دار الأمان، الرباط، ط1، 2018.

134. مُحَمَّد حجي، **نظرات في النوازل الفقهية**، منشورات الجمعية المغربية، المغرب، ط1، 1999.

135. مُحَمَّد حلمي عبد الوهاب، **ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

136. مُحَمَّد زنيبر، **الأدب الشعبي المغربي شعر الملحون كظاهرة أساسية في التاريخ والثقافة المغربية**، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1989.

137. مُحَمَّد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع.. أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/ 12–15م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

138. محمود إسماعيل :
- **الأدارسة (176–375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991م.
- **إسهامات شيعية في الحضارة الإسلامية**، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2017.
- **الحركات السرية في الإسلام**، دار سينا، القاهرة، ط1، 1973.
- **الحركات السرية في الإسلام**، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، القاهرة، بيروت، ط5، 1997.
- **الفكر التاريخي بالغرب الإسلامي**، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، 2001.
- **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور الازدهار الخلفية السوسيو–تاريخية–**، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، ط3، 2000.
- **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي –طور الانهيار الخلفية السوسيو–تاريخية–**، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، القاهرة، بيروت، ط1، 2000.
- **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور التكوين**، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، ط4، 2000.
- **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي محاولة للتنظير**، دار مصر المحروسة، القاهرة، ط1، 2005.

- **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي.. محاولة تنظير**، دار مصر المحروسة، القاهرة، ط1، 2005، مجلد10.
- **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، –طور الازدهار– الفكر التاريخي**، سينا للنشر ومؤسسة الأنتشار العربي، ط1، 2000.
- **فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988.

139. محيي الدين الكافيجي، **المختصر في علم التاريخ**، تحقيق: مُحَمَّد كمال الدين عز الدين، عالك الكتب، بيروت، ط1، 1410هـ/ 1990م.

140. موسى برهومة، **التراث العربي والعقل المادي: قراءة في فكر حسين مروة**، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

141. مؤلف مجهول، **كتاب نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب**، نشره: الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1323هـ/ 2002م.

142. مولود عشاق، **تاريخ المغرب وإشكالية المصادر**، مطابع الرباط نت، المغرب، [2016].

143. الميلود كعواس، **نوازل الأسرة بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة**، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، ط1، 2017.

144. نبيل سليمان، **الماركسية والتراث العربي الإسلامي –دراسة للنزعات المادية–**، دار الحوار، اللاذقية، سورية، ط1، 1988.

145. الهادي التيمومي، **المدارس التاريخية الحديثة**، دار التنوير، لبنان، بيروت، ط1، 2013.

146. هاري إلمربارنز، **تاريخ الكتابة التاريخية**، ترجمة: مُحَمَّد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

147. هاملتون جب، **علم التاريخ**، ترجمة: عبد الحميد يونس وآخران، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981.

148. هشام عبيد، **تونس وأولياؤها الصالحون في مدونة المناقب الصوفية**، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006.

149. هومي بابا، **موقع الثقافة**، ترجمة: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004.

150. هويدا صالح، **الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية**، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2015.

151. وجيه كوثراني، **تاريخ التأريخ –اتجاهات مدارس ومناهج–**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط2، 2013.

152. يحيى بن موسى أبو زكريا المازوني المغيلي، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: حساني مختار، جامعة الجزائر، 2004.

ثانيا– المقالات والدراسات:

1. ابتسام الزاهر، **الأدب النوازلي مصدراً لتاريخ الإماء.. نماذج من المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد13، السنة2013-2014.

2. إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الهادي البياض، **ثقافة الطعام وتنوع خطاباتها في زمن المجاعات.. المغرب والأندلس من القرن 6 حتى القرن 8هـ/ 12–13م نموذجا**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد7-8، السنة2012-2013.

3. إبراهيم القادري بوتشيش:

- **"مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية"**، مجلة دار النيابة، العدد 21، السنة1989.
- **أثر الحروب في المجال الضرئبي، مجلة الاجتهاد**، بيروت، عدد 34-35، السنة1997.
- **أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية**، الرباط، عدد32، السنة 1985.
- **الأزمة الأخلاقية وأثرها في سقوط الأندلس، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.
- **الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.. تنظيماتها ومعطياتها الإحصائية**، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.
- **الإنتاج الصناعي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**،ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.

- **الأيتام في الأندلس من وثيقة تعود للعصر المرابطي**، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي-إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل-، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014.
- **البحث التاريخي والأنترنات**، مجلة أمل، مجلة أمل، عدد21، السنة 2000.
- **البنية القبلية بالمغرب ومسألة المساواة والتراتب الاجتماعي**، مجلة دراسات عربية، بيروت، عدد 5-6، السنة 1993.
- **التاريخ المبتور والمصادر الدفينة من تاريخ السلطة إلى تاريخ المهمشين**، مجلة المنطلق، عدد120، السنة1998.
- **التعايش الإسلامي المسيحي في قرطبة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، دورية كان التاريخية، عدد32، السنة2016.
- **الجاليات المسيحية بالمغرب الإسلامي خلال عصر الموحدين.. صفحة مبكرة من صفحات التعايش والتسامح بين الإسلام والمسيحية**،ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي -قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة-، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 199.
- **الحاجة إلى معجم لمصطلحات التاريخ الاقتصادي للغرب الإسلامي**، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.
- **الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط.. مساهمة في دراسة تاريخ المشاعر الإنسانية (ق5-6هـ / 11-12م)**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد5، السنة2012.
- **الحركة الحفصونية.. مقاربة على ضوء النمط الإقطاعي، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي-إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل-**، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014.
- **الطبقة في الغرب الإسلامي بين المفهوم العام وخصوصية الواقع التاريخي**، ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي.. قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994.
- **العادات والتقاليد العمانية- المغربية.. المرجعية التاريخية والإطار المشترك**، مجلة نزوى، مسقط، عدد12، السنة1997.

- **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي بالمغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجري (ق12م)**، ضمن كتاب: إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.
- **المجال الحرفي بالمغرب خلال العصر المرابطي**، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، عدد3، السنة 2014.
- **المجتمع العماني.. عاداته وتقاليده من خلال رحلة ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري 14م) –عرض ومناقشة–**، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 28، عدد01، السنة1999.
- **المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس.. نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد11، السنة1994.
- **المشكل القانوني للملكية العقارية في الأندلس.. من الفتح الإسلامي حتى مطلع القرن الرابع الهجري**، دورية كان التاريخية، عدد25، السنة2014.
- **النص التاريخي بين القراءة التأويلية والهرمنيطيقا**، دورية كان التاريخية، العدد36، سنة2017.
- **النوازل الفقهية في الأطروحات الجامعية.. التوجهات، الإضافات المعرفية والإشكالات المنهجية**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد16-17، السنة2014-2015.
- **النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق5-6هـ/ 12-13م)**، مجلة التاريخ العربي، الرباط، المغرب، عدد22، السنة 2002.
- **الهامشي والمهمش في الكتابة التاريخية.. طرح وتفسير**، ضمن كتاب: المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي -إشكاليات نظرية وتطبيقية في التاريخ المنظور إليه من أسفل-، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014.
- **أوضاع الفئات المستضعفة في العصر الإسلامي الوسيط.. نموذج من الأندلس**، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، العدد01، السنة1986.
- **تاريخ العوام في مغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانية التجاوز.. طرح ومناقشة من خلال كتب العقود والوثائق**، ضمن كتاب: تاريخ الغرب الإسلامي –

قـراءة جديـدة في بعـض قضـايا المجتمـع والحضـارة-، دار الطليعـة، بـيروت، لبنـان، ط1، 199.

- **تجديـد التـاريخ الإسـلامي.. كيـف ومـن أيـن نبـدأ**، مجلـة الاجتهـاد، بـيروت، عـدد 22، السنة 1999.
- **تجديـد التـاريخ الإسـلامي.. كيـف ومـن أيـن يبـدأ**، مجلـة الاجتهـاد، بـيروت، ع22، سنة1994.
- **تطـور الفلاحـة في مكنـاس مـن عصـر المـرابطين إلى أواخـر العصـر المـريني**، مجلـة المناهـل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، عدد38، السنة1989.
- **حركـة المتنبئـين والسـحرة في الغـرب الإسـلامي.. إعـادة تقـويم لحركـة حـاميم خـلال القرن (4هـ)**، مجلة الحداثة، بيروت، عدد21-22، السنة1994.
- **حـول مخطـوط نـوازل ابـن الحـاج وأهميـة مادتـه التاريخيـة**، مجلـة المناهـل، المغـرب، عـدد39، السنة1990.
- **دور العامـة في التـاريخ الاجتمـاعي للأنـدلس خـلال عصـر الخلافـة**، مجلـة دراسـات مغاربية، الدار البيضاء، عدد1-2، السنة 1996.
- **رؤيـة مسـتقبلية لكتابـة التـاريخ الإسـلامي في ضـوء العولمـة**، مجلـة عصـور، الجزائـر، عـدد 22-23، السنة 2014.
- **ظـاهرة اسـتبداد الدولـة في العصـر المرابطـي.. مسـاهمة في استحضـار أسـباب تراجـع الغرب الإسلامي**، مجلة أمل، عدد21، السنة2000.
- **ظـاهرة التسـول في الغـرب الإسـلامي خـلال عصـر المـرابطين والموحـدين**، مجلـة مكناسـة، المغرب، عدد6، السنة 1992.
- **ظـاهرة الـدَّين والسـلَف في المجتمـع المغـربي خـلال العصـر الوسـيط.. أسـاليب التعامـل والإشـكاليات المطروحـة**، ضـمن كتـاب: حلقـات مفقـودة مـن تاريـخ الحضـارة في الغـرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- **علـم النجـوم والفلـك وتوقعـات المسـتقبل بـبلاد المغـرب خـلال عصـري المـرابطين والموحـدين (القـرن 6-7هـ/ 12-13م)**، ضـمن الكتـاب التكريمـي: متنوعـات حليمـة فرحـات، منشـورات الجمعيـة المغربيـة والبحـث التـاريخي ومعهـد الدراسـات الإفريقيـة، الرباط، 2005.

- **عـوام مكناسـة في العصـر الوسـيط.. قـراءة تحليليـة في أوضـاعهم ومحـنهم**، ضـمن كتـاب: إسـهامات في التـاريخ الاقتصـادي- الاجتمـاعي لمدينـة مكنـاس خـلال العصـر الوسـيط، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، 1997.
- **لمـاذا غيبـت الفئـات الشـعبية مـن تاريـخ المغـرب الشـرقي الوسـيط**، ضـمن كتـاب: المهمشـون في تاريـخ الغـرب الإسـلامي -إشـكاليات نظريـة وتطبيقيـة في التـاريخ المنظـور إليـه من أسفل-، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2014.
- **مخطـوط نـوازل ابـن الحـاج مصـدر جديـد في تاريـخ المجـال القـروي بالمغـرب والأنـدلس خـلال عصـر المـرابطين**، ضـمن كتـاب: البادية المغربيـة عـبر التـاريخ، تنسـيق: إبـراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1999.
- **مسـألة العبيـد بالمغـرب والأنـدلس خـلال عصـر المـرابطين**، مجلـة دراسـات، أكـادير، عدد07، السنة1995.
- **مسـاهمة في دراسـة تطـور تجـارة مكناسـة في العصـر الوسـيط**، مجلـة مكناسـة، المغـرب، عدد3، السنة 1989.
- **ملامـح مـن المجتمـع المكناسـي في العصـر الموحـدي مـن خـلال تـراجم أعـلام مدينـة مكنـاس**، ضـمن كتـاب: إسـهامات في التـاريخ الاقتصـادي- الاجتمـاعي لمدينـة مكنـاس خلال العصر الوسيط، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، 1997.
- **ملكيـة الأرض في الأنـدلس خـلال عصـر الإمـارة**،مجلـة المناهـل، المغـرب، عـدد37، السنة1989.
- **مـن التـاريخ السـلطاني إلى تاريـخ المهمشـين.. نظـرات في تجديـد الأدوات المنهجيـة للمـؤرخ**، ضـمن كتـاب: دراسـة المجـالات الاجتماعيـة المهمشـة وتاريـخ المغـرب، تنسـيق: عبـد الـرحمن المـدون وآخـرون، مختـبر المغـرب والعـوالم الغربيـة والجمعيـة المغربيـة للبحـث التاريخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، 2011.
- **مـواطن القـوة والضـعف في الشـهادات الشـفوية.. دراسـة تطبيقيـة في تاريـخ المغـرب الـراهن (1973-2005)**، ضـمن كتـاب: التـاريخ الشـفوي.. مقـاربات في المفـاهيم والمـنهج والخـبرات، إعـداد وتنسـيق: وجيـه كـوثراني ومـارلين نصـر، منشـورات المركـز العـربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، بيروت، ط1، 2015.
- **موقـع التـاريخ الاقتصـادي والاجتمـاعي لمدينـة مكناسـة في المصـادر الوسـيطة -رؤيـة نقديـة-، ضـمن كتـاب: إسـهامات في التـاريخ الاقتصـادي- الاجتمـاعي لمدينـة**

مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، 1997.

- **والمجال الصناعي بمكناسة.. محاولة رسم الخطوط العريضة من عصر المرابطين إلى أواخر عصر المرينيين**، ضمن كتاب: إسهامات في التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي لمدينة مكناس خلال العصر الوسيط، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، 1997.

4. أحمد السعدي، **تداخل التاريخ بالفقه نموذج النوازل الفقهية**، مجلة التسامح، مسقط، العدد28، السنة2009.

5. أحمد الطاهري:

- **الأسعار والموازين واللأكيال**،ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس.. ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، Graficas Moreno, S.L. Bormujos (sevilla)، 2015.
- **التجار والباعة ونظم التسفير والتبضيع**، ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس.. ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، Graficas Moreno, S.L. Bormujos (sevilla)، 2015.
- **السكة والنظام النقدي**،ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس.. ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، (sevilla) Graficas Moreno, S.L. Bormujos، 2015.
- **المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة.. انحلال الروابط القبلية والطائفية**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، عدد01، السنة1988.
- **انقطاع الطرق وانعزال الأندلس**،ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس.. ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، Graficas Moreno, S.L. Bormujos (sevilla)، 2015.
- **تقنيات الفلاحة الأندلسية بين التراث العلمي المحفوظ والدراسات التاريخية**، ضمن كتاب: الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: حسن حافظي علوي، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 2011.

- **شبكة المواصلات الأندلسية**،ضمن كتاب: التجارة والمبادلات بالأندلس.. ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، Graficas Moreno, S.L. Bormujos (sevilla)، 2015.

6. أحمد بوحسن، **تاريخ الأدب**،ضمن كتاب: كتابة التواريخ، تنسيق: مُحَّد مفتاح وأحمد بوحسن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَّد الخامس، المملكة المغربية، ط01، 1999.

7. أسامة الطيب جعيل ونبيلة عبد الشكور، **الزراعة في إقليم الزاب في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا**، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد11، عدد2، سبتمبر2020.

8. آمال لدرع، **الخطاب المنقبي وصياغة الحدث التاريخي..غياب الأمن –غزو تلمسان وحصاراتها خلال العصر الزياني أنموذجا–**، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، عدد18، جوان2016.

9. امتنان عثمان الصمادي وآمنة سليمان البدوي، **صورة يوسف بن تاشفين (ت500هـ/ 1106م) في ضوء الروايات التاريخية والأدبية**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مجلد06، عدد02، السنة2012.

10. أمين كرطالي، **حالات فرار المرأة من أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، مجلد10، عدد01، مارس2020.

11. أنور محمود زناتي، **أمثال العوام مصدراً للنشاط الزراعي في الأندلس –الزجالي وابن عاصم نموذجا–**، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، عدد22، السنة2017.

12. اهلال بوشعيب، **المرأة من خلال كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان**، مجلة أمل، المغرب، عدد 13-14، السنة 1998.

13. أيوب بن جود وبلقاسم مالكية، **أدب المناقب المفهوم والجذور**، مجلة مقاليد، الجزائر، عدد10، السنة2016.

14. بسمة جديلي، **دراسات ما بعد الكولونيالية من منظور أبرز أقطابها**، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، عدد09، السنة2016.

15. بلحاج طرشاوي:

- **أحكام البنيان في المغرب الإسلامي من خلال المعيار للونشريسي**، مجلة القرطاس، الجزائر، عدد02، جانفي2015.
- **الحرف والمهن في المغرب الأوسط من خلال كتب الحسبة.. دراسة في تحفة الناظر للإمام العقباني**، مجلة مخبر الحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد 04، جوان 2013.

16. بوبة مجاني، **التقسيم الإداري لبلاد المغرب في عصر الفاطميين من خلال رحلة ابن حوقل**، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1993.

17. بوكثير مسطاري، **المنشآت المائية بإفريقية خلال العصر الوسيط دراسة حول استعمالات المفاهيم ودلالتها من خلال كتب النوازل الفقهية**، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، عدد15-16، السنة2012-2013.

18. بيتر بوركي، **التاريخ الجديد –ماضيه ومستقبله–**، ضمن كتاب: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، تحرير: بيتر بروكي، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

19. التالية سعدو، **مدينة وهران من خلال المصادر الجغرافية**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد5، ربيع2012.

20. تواتية بودالية، **قضايا أضرار الجوار بالأندلس من خلال كتب الفقه والنوازل**، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، عدد28، السنة2016.

21. تواتية بودالية، **هواية صيد الحيوانات البرية في الأندلس**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد19-20، صيف-خريف2015.

22. جاك لوغوف، **التاريخ الجديد على درب التقدم وهو علم في سن الطفولة**، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، جاك لوغوف، ترجمة: مُحَمَّد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

23. جان كلود شميث، **تاريخ الهامشيين**، ضمن كتاب: التاريخ الجديد، جاك لوغوف، ترجمة: مُحَمَّد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.

24. جعفر ابن الحاج السلمي، **التخييل الأدبي في الكتابة التاريخية المغربية.. من المبالغة إلى خرق العادة**، ضمن كتاب: بلاغة الخطاب التاريخي.. أعمال مهداة للدكتور حميد لحميداني، إعداد وتنسيق: مُحَمَّد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2018.

25. جمعة شيخة:

- **القيمة الوثائقية لديوان ابن الأبار**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد2، جوان1989.
- **صدى سقوط غرناطة في الشّعر الأندلسي**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 07، السنة 1992.

- **في التسامح بين المسلمين والنصارى من خلال الشعر الأندلسي**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد14، السنة1995.
- **كتب النوازل بالمغرب العربي في العصر الوسيط.. حدودها وأبعادها –النشاط التجاري بين دار الحرب ودار الإسلام أنموذجا–**،مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، عدد01، أفريل 2016.

26. جيم شارب، **التاريخ من أسفل**، ضمن كتاب: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، تحرير: بيتر بوركي، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

27. جيهان الكبسي، **في الشبه بين الهامشي والمبدع والمنحرف**، مجلة مدارات، مجمع الأطرش، تونس، عدد 27-28، السنة 2016-2017.

28. حسام الدين السيد، **التحيز للتفسيرات المادية بحث مستخلص من كتابات الدكتور عبد الوهاب المسيري**، ضمن كتاب: إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، تحرير: عبد الوهاب المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1418هـ-1997م.

29. حسن البحراوي، **أدب مُحَمَّد شكري من الهامشية إلى المركزية**، مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد 18، 2002.

30. الحسين بولقطيب، **الكرامة والرمز: كرامات أولياء دكالة خلال عصري المرابطين والموحدين نموذجا**، مجلة دراسات عربية، بيروت، عدد 3-4، سنة 1996.

31. حميد الحداد، **مظاهر التسامح الديني بين المسلمين وأهل الذمة بالغرب الإسلامي من خلال بعض كتب النوازل**، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ومباحث في التراث الإسلامي، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، تنسيق: مُحَمَّد بن عبود وآخران، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية، تطوان، 2018.

32. حنان بن قيراط، **المركز والهامش في الأدب**، مجلة الحوار الثقافي، مستغانم، الجزائر، العدد10، السنة2010م.

33. حياة قارة، **مجتمع النساء في فضاء البحر الأبيض المتوسط من خلال مدونات النوازل الفقهية**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد13، السنة2014.

34. خالد بلعربي، **أهمية كتب النوازل في ترميم جوانب هامة من النشاط الفلاحي بالمغرب الأوسط (ق7-9هـ/ 13-15م)**، مجلة أفاق فكرية، الجزائر، العدد02، مارس2015.

35. خديجة بورملة، **مدينة مليانة خلال العصر الوسيط.. دراسة تاريخية من خلال كتب الجغرافيا والرحلة**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد8، عدد1، جوان2017.

36. خليل السعداني، **الهنود في اسطوغرافيا الولايات المتحدة الأمريكية، ضمن كتاب: دراسات المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب**، تنسيق: عبد الرحمن المودن وآخرون، منشورات المختبرات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنيمسيك، الدار البيضاء، ط1، 2011.

37. خيرة سرير حاج، **قاعدة العادة محكمة وأثرها في نوازل الأسرة من خلال نوازل المازوني**، المجلة الجزائرية للمخطوطات، الجزائر، عدد14، جانفي2016.

38. خيرة سياب:

- **الصحراء في رحلة ابن بطوطة اللواتي الطنجي (753هـ/ 755هـ) (1352م/ 1354م)**، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، عدد19، أكتوبر2013.
- **مظاهر بعض معاملات أوقاف المياه ببلاد المغرب الإسلامي من خلال النوازل الفقهية**، مجلة مدارات تاريخية، الجزائر، مجلد01، عدد01، مارس2019.

39. دلال لواتي، **القيروان والعامة في الخطاب المنقبي الكرامي.. من كرامات الصحابة والتابعين إلى كرامات الزهاد والعابدين**، مجلة دراسات تاريخية، الجزائر، عدد04، السنة 2016

40. دليلة الباح، **المركز والهامش مفهومه وأنواعه وجذوره**، مجلة قراءات، الجزائر، العدد4، السنة2012م.

41. دولورس برامون، **المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمد الزهري**، تعريب: فرحات الدشراوي، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد3، السنة1989.

42. ديبيش شاكرابارتي، **دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي**، ترجمة: ثائر ديب، مجلة أُسطُور، قطر، العدد3، 2016.

43. رانيا أحمد مُحَمَّد إسماعيل، **صورة المرأة في المجتمع الأندلسي من خلال الإعلام بنوازل الأحكام لأبي الأصبغ الأسدي (ت486هـ/1093م)**، مجلة وقائع تاريخية، القاهرة، عدد 27، السنة 2017.

44. ربيعة قاسيمي، **عادات المرأة المغربية المنهي عنها من خلال المعيار للونشريسي**، مجلة عصور، الجزائر، عدد26-27، جويلية- ديسمبر2015.

45. رحمى عمران ومُحَمَّد أبو ذر خليل، **صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد18، السنة2011.

46. رشيد قطان، **المرأة المغربية في أدب المناقب التشوف إلى رجال التصوف نموذجا**، مجلة أمل، المغرب، عدد 13-14، السنة 1998.

47. رضوان باتو، **سيرة صوفي أمي (أبي يعزى الهسكوري) وردود أفعال المجتمع تجاه طقوس الاحتفال بموسمه الديني**، مجلة أنثروبولوجيا، الجزائر، مجلد06، عدد01، السنة2020.

48. روبين ميري، **ما التاريخ الثقافي الآن؟**، ضمن كتاب: ما التاريخ الآن، ديفيد كانادين، ترجمة: قاسم عبدو قاسم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

49. زكرياء الشعرة، **عمارة المسجد الحرام من خلال رحلة ابن جبير**، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، ط1، 2020.

50. زهوة أعزيبي والطاهر بونابي، **القيم الجمالية والروحية في لباس صوفية المغرب الأوسط الزياني من خلال نصوص المناقب**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، عدد12، جوان2017.

51. زوبير بعلي، **الأسرة المسلمة في مملكة غرناطة بين التمسك بالهوية الإسلامية وتأثير المجتمعات المسيحية من خلال كتب الفتاوى والنوازل الفقهية الغرناطية**، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 04، عدد01، جوان2020.

52. زيان مكي ومبخوت بودواوية، **الإقطاع الزراعي في بلاد المغرب الإسلامي في فترة ما بعد الموحدين ما بين القرن (7و9هـ/ 13و15م) من خلال كتب النوازل الفقهية كمادة مصدرية**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، الجزائر، مجلد 2، عدد01، جانفي2019.

53. زينب بوصبيعة، **صور من المجتمع الأندلسي رصدتها عيون الشعراء**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، المجلد27، العدد03، السنة2013.

54. سامية بوصيقع، **أهمية الرحلات في الكتابة التاريخية**، مجلة تاريخ العلوم، الجزائر، مجلد05، عدد13، جوان2020.

55. سعد غراب، **كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية مثال نوازل البرزلي**، مجلة حوليات الجامعة التونسية، تونس، العدد16، السنة1978.

56. سعيد بنحمادة:

- **الوثيقة التعليمية بالأندلس والمغرب خلال العصر الوسيط الإجازات أنموذجا**، ضمن كتاب: سؤال الوثيقة في التراث الأندلسي والأرشيف الإسباني -أعمال مهداة للأستاذ الدكتور مُحَمَّد تضغوت-، تنسيق: إبراهيم القادري بوتشيش وعبد الواحد أكمير، منشورات مختبر الدراسات التاريخية والأدبية والترجمة وحوار الثقافات المجموعة المغاربية

للدراسات التاريخية والحضارات المقارنة، مكناس، المغرب، ط1، 1440هـ/ 2019م، ص153.

- **الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية**، مجلة كان التاريخية، العدد22، ديسمبر2013.

57. سعيدة الأشهب، **المرأة في سيرة المُحَمَّد بن سليمان الجزولي من خلال كتاب الطريقة الجزولية لأحمد الوارث**، مجلة ليكسوس الالكترونية، عدد01، السنة2016.

58. سكينة عميور ويوسف العابد، **مجتمع الجبال الريفية بالمغرب الأوسط من خلال رحلة الحسن الوزان**، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد34، عدد02، السنة2020.

59. سمية المحمدي، **أوقاف المرأة بالغرب الإسلامي وإسهاماتها في التنمية الاجتماعية: قراءة في بعض النوازل الفقهية**، مجلة المذهب المالكي، المغرب، عدد27، السنة2019.

60. سمية مزدور، **التراث المخطوط وأهميته في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في نهاية العصر الوسيط: مخطوط بستان الأزهار لابن الصباغ القلعي أنموذجا**، مجلة البحوث والدراسات، الجزائر، مجلد15، عدد01، شتاء2018.

61. سناء عطابي:

- **دور النصوص الفقهية في دراسة القضايا التاريخية بالمغرب الأوسط.. المعاملات المالية والنقدية خلال القرنين (7-9هـ/ 13-15م) نموذجا**، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، مجلد12، عدد1، جانفي2020.
- **صورة الأزقة والأحياء السكنية في مدينة المغرب الأوسط من خلال النصوص الفقهية**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد16-17، السنة2015.

62. صالح المغيربي، **الجغرافيا البشرية اتجاهاتها وأعلامها**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد34، السنة1993.

63. صالح بعزيق، **مراكش أغمات والتجارة الصحراوية في العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات، ضمن** كتاب: المغرب في محيطه الإفريقي.. المجالات والرهانات الاستراتيجية الجديدة، تنسيق: مورد زناسني، منشورات جامعة مُحَمَّد الخامس ومركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، المغرب، ط01، 2017.

64. صورية علي زازو، **الرعي وتربية الحيوانات بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، مجلد02، عدد04، ديسمبر2016.

65. طاهر بن علي، **المكون السوسيو ثقافي لإنسان الصحراء مقاربة مؤرخ في نصوص الرحلة**، الجزائر، مجلة دراسات تاريخية، العدد1.

66. الطاهر بونابي:

- **الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب**، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، الجزائر، عدد 04، جوان 2013.
- **أهمية الكتابة المناقبية المخطوطات في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، ضمن كتاب: مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط -مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط-، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

67. الطاهر قدوري، **النوازل الفقهية وتنظيم التجارة البحرية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد 13، السنة 2014.

68. الطيب بوسعد، **المدرسة التاريخية في المغرب الإسلامي ومنهجها في البحث التاريخي خلال القرون الهجرية الأولى (2و 3 و4هـ/ 8 و9 و10م)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، عدد06، سنة2009.

69. عبد الأحد السبتي، **مفاتيح النص المنقبي**، ضمن كتاب: التاريخ والذاكرة.. أوراش في تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012.

70. عبد الإله بنمليح:

- **الانتحار في تاريخ المغرب الوسيط**، ضمن كتاب: الوفيات والموت مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية، تنسيق مُحَمَّد استيتو وآخران، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، 2017.
- **التاريخ الاجتماعي للمغرب الوسيط أنموذج المهمشين ملاحظات وتساؤلات**، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط ،عدد7-8، السنة2009-2010.
- **تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط .. الفعل ورد الفعل**، ضمن كتاب: دراسة المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، تنسيق: عبد الرحمن المدون وآخرون، مختبر المغرب والعوالم الغربية والجمعية المغربية للبحث التاريخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، 2011.

- **حضور الموالي في المشهد الثقافي الأندلسي.. نماذج من القرنين 5-6هـ/ 11-12م**، مجلة كراسات أندلسية، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، الرباط، عدد3، السنة 2008.
- **لماذا لم يعرف الغرب الإسلامي الوسيط ثورة للعبيد؟**، ضمن الكتاب التكريمي: متنوعات حليمة فرحات، منشورات الجمعية المغربية والبحث التاريخي ومعهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2005.
- **هل تعتبر الكتابة في الرق في العالم الإسلامي طابوها؟**، ضمن كتاب: ممارسة العلوم الاجتماعية في البلدان المغاربية: نصوص مهداة إلى إدريس المنصوري، إشراف: مُحَمَّد المبكر وفرانسوا بويون، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، 2014.

71. عبد الحق بالنور، **نظم الأسواق من خلال الرحالة والجغرافيين قصري ورجلان وتقرت نموذجا**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، عدد17، السنة2018.

72. عبد الرحمن بشير، **المرأة المغربية في نوازل أبي القاسم البرزلي**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد11-12، السنة 2013-2014.

73. عبد الرحمن بلاغ، **المرأة ومسائل الأسرة من خلال نوازل الونشريسي –مقاربة تاريخية اجتماعية–**، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، عدد04، مارس2017.

74. عبد الرحمن هزرشي، **التنازع في إصلاح المنشآت المائية في الفقه الإسلامي من خلال المعرب للونشريسي: –نازلة تنازع الفاسيين والمصموديين في كنس وادي مصمودة أنموذجا–**، مجلة التراث، الجزائر، عدد04، السنة2017.

75. عبد العزيز حاج كولة، **الإنتاج الزراعي في بلاد الأندلس من خلال النوازل الفقهية –عصر الطوائف والمرابطين (422_539هـ/ 1031-1144م) أنموذجين–**، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، الجزائر، عدد12، ديسمبر2017.

76. عبد العزيز خلوف، **قيمة فقه النوازل التاريخية**، مجلة البحث التاريخي، العدد29-30، السنة1979.

77. عبد العزيز شهير، **التعايش بين الأديان في الأندلس من خلال نصوص شعرية أندلسية**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 14، السنة 1995.

78. عبد القادر بوباية، **مدينة قسنطينة من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة العرب (ق5-10هـ)**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد5، ربيع2012.

79. عبد القادر ربوح، **نظام الأرض في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ/ 711-1031م) دراسة من خلال المدونة النوازلية**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد06، عدد16، ديسمبر 2018.

80. عبد القادر نواري، **مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين الحادي والثاني عشر الهجريين**، مجلة الباحث، الجزائر، العدد02، السنة2019.

81. عبد الكريم بصديق، **أهمية النصوص المنقبية الوسيطية في دراسة النشاط الإقتصادي في المغرب الأوسط كتاب المناقب المرزوقية أنموذجا**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد 02، عدد 01، جانفي 2019.

82. عبد الله أحمد بن عتو، **مشكل المنهج في قراءة بعض الكتابات المنقبية بالمغرب**، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد25، عدد02، أكتوبر-ديسمبر1996.

83. عبد النبي ذاكر، **أرخنة الرحلة ورحلنة التاريخ**، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، تنسيق: البشير أبرزاق وآخران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020، ج01.

84. عصمت دندش بنشريفة، **من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس.. طقوس الجنائز**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 13، السنة 1995.

85. عفاف غرزول، **الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (06-07هـ/ 12-16م)**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد02، عدد01، جانفي2019.

86. علاوة عمارة، **الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط**، مجلة التاريخ العربي، عدد23، خريف2004.

87. علوي مصطفى، **الأحوال الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال كتابات الرحالة والجغرافيين المغاربة ما بين 7 و 9 الهجريين/ 13 و 15 الميلاديين**، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، عدد2، مارس2016.

88. علي بن عبد الله، **الرحلة ذريعة للتاريخ.. رحلة التجاني نموذجا**، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، تنسيق: البشير أبرزاق وآخران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020.

89. علي علام، **إسهام كتب التراجم والمناقب في التأريخ لمدينة فاس**، مجلة المصباحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، العدد9، السنة2012.

90. عمر بلبشير:

- **بعض المعطيات عن المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية في بلاد المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، الجزائر، عدد9، ديسمبر2014.
- **حضور المرأة في النص النوازلي: نوازل المعيار نموذجا إشكالات ومعطيات في الدراسات التاريخية**،ضمن كتاب: النوازل الفقهية والتاريخ –إمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل الجزائريين–، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017.
- **قضايا من الحياة الأسرية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني من خلال الدرر المكنونة**، ضمن كتاب: النوازل الفقهية والتاريخ –إمكانيات الاستغلال وصعوبة التوظيف من خلال نوازل الجزائريين–، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2017.

91. عمر بن حمادي، **من مشاكل كتاب المعيار للونشريسي نسبة الفتاوي إلى أصحابها والظروف التي حفت بإنجازه وظهوره**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد25، السنة2001.

92. عمر بنميرة، **قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل**، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل: دراسات تاريخية مهداة للفقيد مُحَّد زنيبر، تنسيق، مُحَّد المنصور ومُحَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995.

93. عمر بوخاري، **القيمة الوثائقية للنص الرحلي من خلال كتاب رحلة العبدري**، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، تنسيق: البشير أبرزاق وآخران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020.

94. عمر علوي عمراني، **الرحلة كوثيقة من بين أقدم الوثائق المكتوبة في تاريخ المغرب القديم**، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1993.

95. عودة حسان عواد أبو شيخة، **قضايا النساء في المغرب من خلال نوازل البرزلي**، مجلة بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، عدد34، السنة2014.

96. عيسى بخيتي، **جدل الأدب والتاريخ في محكيات الرحلة**، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، تنسيق: البشير أبرزاق وآخران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020.

97. عيسى كروم، **استئجار الراعي في أرياف المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل**، مجلة روافد، الجزائر، مجلد 03، عدد 02، ديسمبر 2019.

98. غالية نويصر، **المهمشون في المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، ضمن كتاب: طبقات مجتمع المغرب الأوسط –قراءة في الموروث والذهنيات–، تنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2018.

99. فارس بكيس وعمر حيدوسي، **البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الجامعة الجزائرية –القضايا والمناهج–**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مجلد33، العدد03، السنة2019.

100. فاطمة الزهراء مالكي، **الحرف والصناعات من خلال النوازل الفقهية في المغرب الإسلامي.. مشاكلها وعلاقتها بالجانب الزراعي والتجاري**، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، الجزائر، عدد 08، السنة 2017.

101. فاطمة بلهواري:

- **الجناية في مجتمع الغرب الإسلامي من خلال كتب النوازل الفقهية**، مجلة الحضارة الإسلامية، الجزائر، عدد15، شعبان1423هـ-2011م.
- **النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مجلة عصور، الجزائر، العدد17، السنة2017.

102. فاطمة بوزاد، **الأرحية المائية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والنوازل**، مجلة مدارات تاريخية، الجزائر، مجلد01، عدد02، جوان2019.

103. فتيحة حاج بن فطيمة، **القيمة التاريخية لكتب الرحلات.. رحلة ابن جبير والطهطاوي أنموذجا**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد02، عدد01، يناير2019.

104. فرناند بروديل، **تكويني كمؤرخ**، ترجمة: مُحَمَّد حبيدة، مجلة أمل، الدار البيضاء، عدد02، السنة1992.

105. كمال بركات وعبد القادر بوعقادة، **جرائم الانحراف الجنسي في مجتمع المغرب الإسلامي من خلال وصف إفريقيا للوزان (10هـ/ 16م).. قراءة في البواعث والإجراءات**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، مجلد10، عدد2، جوان2020.

106. كوثر بن قري وإبراهيم بن مهية، **متصوفة تلمسان وممارسة المهن والحرف من خلال كتاب المناقب المرزوقية**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد34، عدد01، السنة2020.

107. لانجلو اوسينوبوس، **المدخل إلى الدراسات التاريخية**، ضمن كتاب: النقد التاريخي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط4، 1981.

108. لخضر بولطيف:

- **جدل الفقه والتاريخ في تراث عبد الملك بن حبيب الأندلسي –الفقيه المؤرخ أو المؤرخ الفقيه–**، ضمن كتاب: الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي.. مقاربات منهجية، لخضر بولطيف، منشورات مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، وهران، 2014.
- **من المدرسة االمادية إلى المدرسة القيمية.. مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي –استيعاب وتجاوز وبشارة–**، بحث مرقون.

109. لطفي عيسى، **مدونة المناقب بلاد المغرب من القرن 10م إلى القرن 17م عرض منهجي نقدي**، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، تونس، العدد130، السنة2005.

110. لمياء لغزاوي، **وقفات تاريخية في كتب المناقب أنموذج المستفاد للتميمي**، ضمن كتاب: إدراك المراد من تحقيق المستفاد، تنسيق: جمال بوطيب، منشورات مقاربات، فاس، المملكة المغربية، [2018].

111. مبارك رضوان، **حول بعض القضايا المذهبية والعقدية في العصر المرابطي من خلال فتاوي ابن رشد**، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل: دراسات تاريخية مهداة للفقيد مُحَّد زنيبر، تنسيق، مُحَّد المنصور ومُحَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995.

112. متعب بن حسين القثامي، **أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتهما في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي**، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، الجزائر، عدد03، جانفي2017.

113. محفوظ الغديقي، **التجارة البحرية بين المغرب العربي المتوسطي من خلال كتب النوازل**، مجلة قضايا تاريخية، الجزائر، عدد 01، أفريل 2016.

114. محماد لطيف، **صورة المرأة في مرآة الرحالة المغاربة خلال العصر الوسيط**، ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020، ج02.

115. مُحَمَّد استيتو، **النوازل الفقهية وطبيعة مصادرها وحدود توظيفها في الكتابة التاريخية**، مجلة كلية الآداب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الأول، وجدة، العدد5، السنة1995.

116. مُحَمَّد اسموني، **العنف الصوفي المقدس نماذج من المدونات المناقبية المغربية (6-13هـ/ 12-19م)**، منشورات مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2018.

117. مُحَمَّد البركة:

- **الكتابة التاريخية وكتب التراجم والأعلام.. دواعي النظر ومبررات الفكر**، ضمن كتاب: التاريخ وأدب التراجم.. مباحث في المفهوم والمنهج والقضايا، تنسيق مُحَمَّد البركة وأحمد إيشرخان، منشورات مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية المتوسطية فريق البحث في مجتمع الغرب الإسلامي، كلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله، فاس، ط1، 2016.
- **المعالجة التاريخية للحرف والصنائع بالغرب الإسلامي.. مقاربات منهجية ومعالم تجديدية**، ضمن كتاب: الحرف والصنائع بالغرب الإسلامي.. مقاربات لأثر المجال والذهنيات على الإنتاج، تنسيق: سعيد بنحمادة ومُحَمَّد البركة، منشورات الزمن، المغرب، 2016.
- **النظام الغذائي من خلال التراث النوازلي مقاربة عمرانية لفتاوى أبي عمران الفاسي**، ضمن كتاب: النظام الغذائي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.. دراسات في سوسيولوجيا الأحكام والقيم والعوائد، مُحَمَّد البركة وآخران، سلسلة شرفات، منشورات الزمن، 2016.
- **النوازل بين الفقه والتاريخ محددات منهجية ومعالم معرفية**، ضمن كتاب: الفقه والتاريخ بسجلماسة مباحث في تفاعلات المعاش والاقتصاد والثقافة من خلال فتاوى ابن هلال السجلماسي، تنسيق: مُحَمَّد البركة وسعيد بنحمادة، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، ط1، 2015.
- **تنظيم المجال عند أبي عمران الفاسي من خلال بعض فتواه**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد11-12، السنة2013- 2014.

118. مُحَمَّد البقالي، **البلاغة والتاريخ في الخطاب المنقبي كتاب المرقي في بعض مناقب القطب سيدي مُحَمَّد الشرقي لعبد الخالق العروسي أنموذجا**، ضمن كتاب: بلاغة الخطاب التاريخي..

أعمال مهداة للدكتور حميد لحميداني، إعداد وتنسيق: مُحَمَّد مشبال، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2018.

119. مُحَمَّد الحبيب التجكاني، **تحليل مسائل إبن رشد**، مجلة دار الحديث الحسنية، الرباط، العدد6، السنة1988.

120. مُحَمَّد الحبيب الهيلة، **مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن 11/5 إلى نهاية القرن 15/9**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد9، السنة 1993.

121. مُحَمَّد الصافي، **أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ.. رحلة ابن بطوطة نموذجا**، مجلة أفاق للعلوم، الجزائر، مجلد05، عدد04، السنة2020.

122. مُحَمَّد الصمدي، **كتب التصوف والمناقب مصدرا لتاريخ عامة الأندلس خلاص العصر المرابطي**، ضمن كتاب: ربيع المخطوط الأندلسي، تنسيق: مصطفى أمادي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، ط1، 2010.

123. مُحَمَّد الطالبي، **الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي من سقوط الخلافة (ق11/5) إلى سقوط غرناطة (ق15/9)**، مجلة دراسات أندلسية، عدد 12، السنة 1994.

124. مُحَمَّد الطاهر المنصوري، **المجالات المهملة في الكتابة التاريخية العربية**، مجلة أسطور، قطر، عدد04، السنة2016.

125. مُحَمَّد الطوكي، **الوجه التاريخي للوثيقة الفقهية**، حوليات كلية اللغة العربية، المغرب، عدد04، السنة1994.

126. مُحَمَّد العمراني، **كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية**، مجلة المصباحية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، المغرب، العدد9، السنة2012.

127. مُحَمَّد العيادي، **المدارس التاريخية الحديثة ومسألة الحدود بين العلوم الاجتماعية**، مجلة أمل، العدد15، 1998.

128. مُحَمَّد العيساوي، **تاريخ المهمشين في الغرب الإسلامي الوسيط من خلال كتابات الأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش قضايا وإشكالات**، مجلة كان التاريخية، العدد48، السنة2020.

129. مُحَمَّد العيناوي، المرأة المغربية من خلال كتب الرحلات في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة أمل، المغرب، عدد13-14، السنة1998.

130. مُحَمَّد الماكري، **ملامح من التاريخ الثقافي لدرعة من خلال كتب المناقب**، ضمن كتاب: مقالات في الأدب واللسانيات، أعمال مهداة إلى روح الفقيد مُحَمَّد الماكري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، 2007.

131. مُحَمَّد المغراوي، **مسائل العملة والصرف والأسعار في العصر المرابطي من خلال فتاوي ابن رشد**، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل: دراسات تاريخية مهداة للفقيد مُحَمَّد زنيبر، تنسيق، مُحَمَّد المنصور ومُحَمَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995.

132. مُحَمَّد بلحسان، **ملكية الأراضي الزراعية وطرق استثمارها في المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل**، دورية كان التاريخية، عدد 35، السنة 2017.

133. مُحَمَّد بن عربة وأحلام بوسالم، **ثروات المغرب الأوسط النباتية والحيوانية خلال العصر الوسيط من خلال مصنفات الرحلة والجغرافيا**، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، عدد22، السنة2019.

134. مُحَمَّد بن عميرة، **التجارة المائية في كتب الفقه والنوازل ببلاد المغرب، ضمن كتاب: المغرب الأوسط في العصر الوسيط من خلال كتب النوازل**، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011.

135. مُحَمَّد بنحمادة، **صورة المرأة في أمثال العوام بالأندلس، ضمن كتاب: سؤال المعنى في الخطاب التاريخي –مقاربة لقضايا من المغرب والأندلس–**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2019.

136. مُحَمَّد تضغوت:

- **النصوص والتأويل التاريخي**، ضمن كتاب: نحو تحديث التاريخ الإسلامي.. مقاربات منهجية، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004.
- **صورة المغرب من خلال ابن حوقل**، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 1993.

137. مُحَمَّد حبيدة، **مدرسة الحوليات.. مفاهيم التحليل البروديلي**، مجلة أمل، المغرب، عدد3، السنة1993.

138. مُحَمَّد حناوي، **كتاب نزهة المشتاق مصدر أساسي لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي**، ضمن كتاب: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، 1997.

139. مُحَمَّد درابسة، **ثنائية الحياة والموت في قصيدة وصف الجبل لابن خفاجة**، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 26، جويلية 2001.

140. مُحَمَّد سرير، **الشخصية الأندلسية بين الماضي والحاضر في عيون الرحالة رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني نموذجا**، مجلة اللغة العربية وآدابها، الجزائر، مجلد5، عدد01، أكتوبر2017.

141. مُحَمَّد سعيد، **الإمكانيات ومحدودية النص المنقبي في الكتابة التاريخية.. مناقب أبي إسحاق الجبنياني نموذجا**، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، الجزائر، عدد5-6، جوان2014-2015.

142. مُحَمَّد عبد الوهاب خلاف، **وثيقة في أحكام مسؤولية مالك الحيوان أو المكلف بحراسته في الأندلس.. مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي**، مجلة المناهل، الرباط، عدد25، ديسمبر1982.

143. مُحَمَّد غزالي، **الأثر الاجتماعي لقضايا الخلع والطلاق في بلاد المغرب الإسلامي من خلال كتاب المعيار للونشريسي**،مجلة عصور الجديدة، الجزائر، عدد11-12، السنة2013-2014.

144. مُحَمَّد فتحة:

- **أدب النوازل ومسائل الأطعمة بالغرب الإسلامي**، مجلة أمل، المغرب، عدد16، السنة1999.
- **قراءة في كتاب د. إبراهيم القادري بوتشيش تاريخ المستضعفين: نماذج من الغرب الإسلامي أو الإسلام السري بالمغرب العربي**، مجلة أمل، المغرب، عدد21، السنة2000.

145. مُحَمَّد مرزوق، **المرأة من خلال كتاب المدخل لابن الحاج.. مقاربة أولية**، مجلة المناهل، المغرب، عدد 43، السنة1994.

146. مُحَمَّد مزين:

- **التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج النوازل الفقهية**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي مُحَمَّد بن عبد الله فاس، عدد خاص، سنة1406هـ/1985م.
- **الموت في مغرب القرن العاشر من خلال كتاب الجواهر للزياتي**، ضمن كتاب: التاريخ وأدب النوازل: دراسات تاريخية مهداة للفقيد مُحَمَّد زنيبر، تنسيق، مُحَمَّد المنصور ومُحَمَّد المغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995

147. مُحَمَّد منفعة، **ساكنة بعض مدن المشرق العربي من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة**، مجلة كنانيش، المغرب، عدد3، السنة2001.

148. مُحَمَّد نصير، المراسيم الجنائزية في الغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي.. بين المبتدع والمباح، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، عدد02، شتاء2015.

149. مُحَمَّد ياسر الهلالي:

- **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الكريم التميمي الفاسي دراسة وتحقيق مُحَمَّد الشريف –المضمون والمنهج–**، ضمن كتاب: إدراك المراد من تحقيق المستفاد، تنسيق: جمال بوطيب، منشورات مقاربات، فاس، المملكة المغربية، [2018].
- **الموت في كتب المناقب بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط (من القرن السادس هـ/ 12م إلى القرن التاسع هـ/ 14م)**، ضمن كتاب: الوفيات والموت مقاربات تاريخية وانتروبولوجية، تنسيق: مُحَمَّد استيتو وآخران، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة مُحَمَّد الخامس الرباط، 2017.

150. محمود إسماعيل:

- **ثورة الحدادين بالأندلس**، ضمن كتاب: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2004.
- **حركة الصقورة في المغرب**، ضمن كتاب: المهمشون في التاريخ الإسلامي، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2004.
- **دور الطبقة الوسطى في التاريخ الإسلامي**، ضمن كتاب: دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1994.
- **ذهنيات العوام بين المسكوت عنه واللامفكر فيه**، ضمن كتاب: في تأويل التاريخ والتراث دراسات نظرية وتطبيقية، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2007.
- **من سمات الخطاب السلطوي إزاء قوى المعارضة في الإسلام**، ضمن كتاب: مسالك الثقافة والمثقافة في تاريخ المغرب، أعمال تكريمية مهداة للأستاذ السعيد لمليح، تنسيق: أحمد الصديق وآخرون، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ط1، 2016.

151. مسعود كربوع، **كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، الجزائر، العدد9، مارس2014.

152. مصطفى الشكعة، **أبو مروان ابن حيان.. بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ**، مجلة المناهل، المغرب، عدد29، مارس1984.

153. مصطفى نشاط، **الديمغرافية التاريخية في الرحلة الزيارية بالمغرب الوسيط**، مجلة كنانيش، المغرب، عدد3، السنة2001.

154. موسى هواري، **نماذج من الرفق بالحيوان في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط**، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد12، عدد01، جانفي2020.

155. نسيم حسبلاوي، **التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي من البداية إلى عصر الونشريسي (914هـ)**، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد12، السنة2012.

156. نصيرة عزرودي، **الغش في العملة في بلاد المغرب الأوسط من خلال كتب النوازل المتأخرة**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، الجزائر، عدد09، ديسمبر2014.

157. نهلة أنيس مُحَمَّد مصطفى، **جوانب من حياة المرأة الفقهية والحضارية بالغرب الإسلامي من خلال فتاوى ابن رشد الجد**، ضمن كتاب: المرأة في الغرب الإسلامي.. الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة، تنسيق: عبد الباسط المستعين، إصدارات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات مفاد وأفريقيا الشرق، المغرب، 2016.

158. نواف عبد العزيز الجحمة، **كتب الجغرافيا والرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر التأريخ للأماكن المقدسة بمدينتي القدس والخليل من (ق5 إلى 8هـ/ 11-14م)**،ضمن كتاب: الرحلة والتاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، اكادير، المغرب، ط1، 2020.

159. نور الدين غرداوي، **النظم الزراعية بالمغرب الأوسط في العصر الزياني من خلال نوازل المازوني**، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، العدد17، السنة 2014.

160. هشام البقالي:

- **الحياة اليومية لمتصوفة العصر المرابطي من خلال كتب المناقب والتراجم**، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، مجلد04، عدد03، سبتمبر2019.
- **دور المتصوفة في معالجة قضايا الظلم خلال العصر المرابطي بالمغرب والأندلس من خلال كتب المناقب**، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، الجزائر، مجلد02، عدد02، أكتوبر2019.

- **وضعية المرأة الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال أدب النوازل: نوازل ابن الحاج التجيبي (ت529هـ) أنموذجا**، المجلة الجزائرية للمخطوطات ، الجزائر، مجلد 14، عدد 02، ديسمبر 2019.

161. وجيه كوثراني، **بعض إشكاليات المنهج في الكتابة التاريخية العربية القديمة والمعاصرة**، ضمن كتاب: الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل.. دراسات في البحث والبحث التاريخي، تأليف: وجيه كوثراني، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2000.

162. ياسر بنهيمة، **لباس المتصوفة في المغرب الوسيط من خلال المصادر المناقبية**، ترجمة: رابحي رضوان، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، 2018.

163. ياسين بوغديري، **في تعريف الهامشي والهامشيين تاريج الجنون نموذجا**، مجلة مدارات، تونس، عدد 27-28، السنة 2016-2017.

164. ياسين كريم، **دراسات ما بعد الكولونيالية عند جماعة التابع الهندية**، مجلة المدونة، الجزائر، المجلد06، العدد03، السنة2019.

165. يامنة جبور وابن عزة عبد القادر، **صورة تلمسان في رحلة ابن بطوطة**، مجلة الآداب اللغات، الجزائر، عدد24، السنة2017.

ثالثاً- الندوات والملتقيات والمؤتمرات:

1. إبراهيم القادري بوتشيش:

- **أثر قيام الدول وسقوطها في التطور الديمغرافي بالمغرب في العصر الوسيط (دراسة حالة)**، ضمن أعمال ندوة: الديموغرافيا في تاريخ المغرب، المنعقد بوجدة، بتاريخ: 23-1999/10/25، مجلة كنانيش، منشورات كلية الآداب، وجدة، عدد1، السنة1999.
- **الجرائم وعقوباتها في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط (القرن 4-8هـ/ 1014م)**، ضمن أعمال ندوة: التاريخ والقانون.. التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل أيام 3-2009/11/5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2009.
- **الربيع العربي حلقة جديدة في التحقيب التاريخي.. الإرهاصات التأسيسية لكتابة تاريخ غير مدون**، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي الثالث: التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كتب وكيف يكتب؟الإجابات الممكنة، المنعقد ببيروت، بتاريخ: 24/22-

2016-04، تنسيق: وجيه كوثراني، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط01، 2017م.

- **العوام في مراكش خلال عصري المرابطين والموحدين**، ضمن أعمال ندوة: مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، التي انعقدت في مراكش، جامعة القاضي عياض، سنة: 1988، مطبعة فضالة، الدار البيضاء، ط1، 1989.
- **الفكر السحري والعرافة بالمغرب والأندلس خلال العصر المرابطي**، ضمن أعمال ملتقى: الدراسات المغربية والأندلسية..الروافد والمعطيات، المنعقد بتاريخ: 26-1993/04/28، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1995.
- **دور المصادر الدفينة في كشف الجوانب الحضارية المنسية للمدينة المغربية.. دراسة تطبيقية حول مدينة مراكش من التأسيس إلى أواخر عصر الموحدين**، ضمن أعمال ندوة: المدينة في تاريخ المغرب العربي، بتاريخ: 24-1988/11/26، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، إبن مسيك، الدار البيضاء، 1990.
- **ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة**، ضمن أعمال ندوة: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 16-1992/04/18، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، [1993].
- **مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين.. من منتصف القرن 11 إلى القرن 12م**، ضمن أعمال ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، المنعقدة بالرباط، بتاريخ: 2-1994/11/4، تنسيق: مُحَمَّد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995.
- **واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات -أواخر ق6 وبداية ق7 هـ/ 12-13م-**، ضمن أعمال اليوم الدراسي: الإسطوغرافيا والأزمة دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة، المنعقد بتاريخ: 25 فبراير 1989، تنسيق: عبد الأحد السبتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، 1994.

2. أحمد الطاهري:

- **الطب بالأندلس بين الحكمة والتجريب**، ضمن أعمال ملتقى: الدراسات المغربية الأندلسية.. تيارات الفكر في المغرب والأندلس -الروافد والمعطيات-، المنعقدة بتاريخ:

26-28 أبريل 1993، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب، [1995].

- **طبقة العامة في المجتمع الإسلامي.. إمكانية البحث من خلال النموذج الأندلسي،** ضمن أعمال ندوة: جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب، مكناس، 1991.
- **الرحلة التجارية الأندلسية من خلال كتب التراجم والطبقات،** ضمن أعمال ندوة: أدب الرحلة والتواصل الحضاري، المنعقدة بمكناس، بتاريخ: 21-1991/04/23، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، 1993.

3. أحمد المحمودي، **المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي،** ضمن أعمال ملتقى: التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبد العصور، المنعقد بتاريخ: 23-2001/04/24، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، [2002].

4. أحمد توفيق، **التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى،** ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، المنعقد بتاريخ: 8-9 أفريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، المغرب، 1989.

5. أحمد شعيب اليوسفي، **أهمية الفتاوي الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجا،**ضمن ندوة: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، ط1، 1996م.

6. أيوب معزوز، **الأمثال الشعبية ودورها في تدوين التاريخ –كتاب أمثال العوام في الأندلس لأبي يحي الزجالي (ت695هـ/ 1296م) أنموذجا–،** ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

7. بلال عمرون، **صورة المرأة الأندلسية بين المصادر الأدبية والروايات التاريخية –ولادة بنت المستكفي أنموذجا–،** ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ،المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

8. تواتية بودالية، **قضايا الحمل في نوازل الغرب الإسلامي**، ضمن أعمال الندوة الدولية: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس: قضايا وإشكاليات، أعمال مهداة: للأستاذ إبراهيم القادري بوتشيش، المنعقدة بتطوان: بتاريخ: 18-20/ 2018/04، تنسيق: مُحَمَّد الشريف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، المغرب، ط01، 2020، ج2.

9. جمعة شيخة، **إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الشعر الأندلسي مصدراً للتاريخ؟**،ضمن أعمال ندوة: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 16-1992/04/18، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، [1993].

10. حبيب وداعة الحسناوي، **كتب الرحلات المغربية كمصدر لدراسة المجتمع الليبي ملاحظات أولية حول بعض إشكالات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي (1500-1911)**، ضمن أعمال الندوة العلمية الثامنة: المجتمع الليبي (1835-1950)، المنعقدة بتاريخ: 26-2000/09/27، تحرير: مُحَمَّد الطاهر الجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، 2005.

11. حليمة فرحات وحامد التريكي، **كتب المناقب كمادة تاريخية**، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، المنعقد بتاريخ: 8-9 أفريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، المغرب، 1989.

12. طه عبد الواحد دنون، **أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس**، ضمن أعمال الندوة الدولية: حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 16/18-04-1992، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، [1993].

13. عبد الأحد السبتي، **أخبار المناقب ومناقب الأخبار**،ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، المنعقد بتاريخ: 8-9 أفريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، المغرب، 1989.

14. عبد الإله بنمليح:

- **أسماء الإماء في الغرب الإسلامي الوسيط.. محاولة أنثروبونيمية**، ضمن أعمال ندوة: الرق في تاريخ المغرب، المنعقدة بالمغرب، بتاريخ: 15-12-2009، تنسيق: عبد العزيز عينوز وآخران، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2010.
- **الرقيق في الغرب الإسلامي بين ثنائية الخطاب الشرعي والواقع التاريخي**، ضمن أعمال ندوة: التاريخ والقانون.. التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، أعمال

مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل أيام 3-2009/11/5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2009.

15. عبد الرحمن المودن، **الأزمات السلطانية (1727- 1757) مصطلح الفترة**، ضمن أعمال اليوم الدراسي: الإسطوغرافيا والأزمة.. دراسة في الكتابة التاريخية والثقافة، المنعقد بتاريخ : 25 فبراير 1989، تنسيق: عبد الأحد السبتي، منشورات كلية الآداب جامعة مُحَمَّد الخامس والجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ط1، 1994.

16. عبد العزيز خلوق التمسماني، **التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي**، ضمن أعمال ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، المنعقدة بالرباط، بتاريخ: 2-1994/11/4، تنسيق: مُحَمَّد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، ط1، 1995.

17. عبد الفتاح كيليطو، **الولي والجمل**، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، المنعقد بتاريخ: 8-9 أفريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، المغرب، 1989.

18. عبد الهادي التازي، **المرأة عند ابن بطوطة**، ضمن أعمال ندوة: الرحالة العرب والمسلمون.. اكتشاف الآخر - المغرب منطلقاً وموئلاً-، المنعقدة بالرباط، بتاريخ: 14-2003/12/17، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، ط1، 2003.

19. عبيد بوداود، **كتب نوازل وفتاوي الغرب الإسلامي الوسيط مصدراً للدراسات التاريخية والتشريعية القانونية**، ضمن أعمال ندوة: التاريخ والقانون.. التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل أيام 3-2009/11/5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2009.

20. عمر أفا، **نوازل الكرسيفي مصدراً للكتابة التاريخية**، ضمن اللقاء العلمي: التاريخ وأدب النوازل، دراست تاريخية مهداة للفقيد مُحَمَّد زنيبر، بالرباط: 1989، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب.

21. فؤاد عزوز، **دور أدب الرحلات في الكتابة التاريخية**، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

22. لخضر زينب، **دور الشعر في محاكاة أحداث التاريخ من خلال الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد (ت296هـ/ 909م)**، ضمن الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

23. محاسن عبد الجليل، **نحو مداخل منهجية وأدوات جديدة لكتابة تاريخ المطموس.. تأريخ النبذ والإقصاء أنموذجا**، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي الثالث: التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كتب وكيف يكتب؟ الإجابات الممكنة، المنعقد ببيروت، بتاريخ: 22/24-04-2016، تنسيق: وجيه كوثراني، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط01، 2017م.

24. مُحَمَّد العيادي، **التاريخ الاقتصادي مدارسه ومناهجه**، ضمن أعمال ندوة: التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، المنعقدة بتاريخ: 23/21 فبراير 1989، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق الدار البيضاء، المغرب.

25. مُحَمَّد حمزة، **تاريخ المهمشين في الإسلام المبكّر.. قراءة نقدية جديدة لسير بعض الصحابة**، ضمن أعمال المؤتمر التاريخي الثالث: التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كتب وكيف يكتب؟الإجابات الممكنة، المنعقد ببيروت، بتاريخ: 22/24-04-2016، تنسيق: وجيه كوثراني، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط01، 2017م.

26. مُحَمَّد رضى بودشار، **التصوف والتهميش بالمغرب الوسيط**، ضمن أوراق الندوة الدولية: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس: قضايا وإشكالات، الجزء الثاني: قضايا في التاريخ الاجتماعي، الأعمال التكريمية المهداة للأستاذ المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش، المنعقدة بتطوان: بتاريخ: 18-20/ 2018/04، تنسيق: مُحَمَّد الشريف، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، المغرب، ط1، 2020.

27. مُحَمَّد فتحة، **نازلة وادي مصمودة بفاس مثالا عن النزاعات حول الماء**، ضمن أعمال ندوة: الماء في تاريخ المغرب، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 10-1996/12/12، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

28. مُحَمَّد لمراني علوي، **قضايا الماء في بلاد المغرب الأقصى من خلال كتب النوازل الفقهية – المعيار للونشريسي نموذجا–**، ضمن أعمال ندوة: الماء في تاريخ المغرب، المنعقدة بالمحمدية، بتاريخ: 10-1996/12/12، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، الدار البيضاء، المغرب، 1999.

29. مُحَمَّد مفتاح، **الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية**، ضمن أعمال الملتقى الدراسي: التاريخ وأدب المناقب، التاريخ وأدب المناقب، المنعقد بتاريخ: 8-9 أفريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، المغرب، 1989.

30. مراد تجنانت، **البحث في الأزمات الاجتماعية من خلال الموروث الأدبي.. الشعر الكلاسيكي والزجل أنموذجا**، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

31. مليكة حميدي، **مقاربة الشعر النسوي الأندلسي والنص التاريخي**، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

32. نسيم حسبلاوي، **نظرات اجتماعية ولغوية في الأندلس من خلال لحن العوام للزبيدي**، ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول: التاريخ والأدب والفن.. رؤية منهجية لخدمة التاريخ، المنعقد بجامعة البليدة، الجزائر، بتاريخ: 30-04-2018، تقديم وتنسيق: عبد القادر بوعقادة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2020.

33. يوسف الإدريسي، **كرامات سيدي رحال في المتخيل الشعبي**، ضمن أشغال الندوة الجهوية: مناقب الزاوية الرحالية التباعية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2006.

رابعا- الرسائل والأطاريح الجامعية:

1. أيوب بن جود، **أدب المناقب في كتاب سكردان السلطان لإبن أبي حجلة التلمساني**، مذكرة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009-2010.

2. جميلة روباش، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، أطروحة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة مُحَمَّد خيضر بسكرة، الجزائر، 2014-2015.

3. حميد الجميلي، **المسألة الديموغرافية بالمغرب الأقصى (من ق 6هـ إلى نهاية ق 8هـ).. مساهمة في دراسة التاريخ الديموغرافي والكمي للغرب الإسلامي**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، سنة2011.

4. حميد تيتاو، **الحرب والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر المريني (609-869هـ/ 1212-1465م).. إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية**

والاجتماعية والذهنية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، سنة2008.

5. دليلة الباح، **المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح**، رسالة دكتوراه، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة مُحَمَّد خيضر بسكرة، الجزائر، 2015-2016.

6. سعيد بنحمادة، **الماء والإنسان بالأندلس خلال القرنين (7و8هـ/ 13و14م) .. مساهمة في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، سنة2006.

7. عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في أنماط سلوك الإنسان بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط (القرن: 6-8هـ/ 12-14م).. مساهمة في دراسة أثر التغيرات المناخية على الذهنيات**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب، سنة2007.

8. فوزية عبد الله مُحَمَّد العقيلي، **الاتجاه البدوي في الشعر الأندلسي**، أطروحة دكتوراه، فرع الآداب، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1431هـ/ 2010م.

9. مُحَمَّد ياسر الهلالي، **مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين الثامن والتاسع هـ/XIV-XVم، مساهمة في دراسة بعض مصطلحات التراتب الاجتماعي: (العامة، الخاصة، الطبقة، المرتبة)**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، وحدة التكوين والبحث: العالم المتوسطي في العصر الوسيط، قضايا ومناهج، تخصص: التاريخ الوسيط، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، السنة 1999-2000م.

خامساً- الموسوعات والمعاجم:

1. جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة.

2. روزنتال وآخرون، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د.ت.

3. مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفَيروزآبادي، **القاموس المحيط**، إشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ/2005م.

4. مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: مُحَمَّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

5. مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994م.

6. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، إشراف شوقي ضيق، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط4، 1425هـ/ 2004.

7. مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، منشورات التراث العربي والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1971.

8. مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، منشورات التراث العربي والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1987م.

9. مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي، التراث العربي والمجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، 2004.

10. المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون الطابع الآميرية، القاهرة، مصر، 1403هـ/ 1983م.

سادسا– المواقع الالكترونية:

1. إسماعيل الربيعي، **التاريخ من أسفل.. قراءة في القاع الاجتماعي العراقي**، لقاء مع مؤسسة الحوار الإنساني بلندن، موقع: مؤسسة الحوار الإنساني، يوم: 30-12-2018، الساعة 14:16 مساء، الرابط: http://www.hdf-iq.org/ar/2010-12-01-13-54-53/news/827.

2. لخضر بولطيف، **التاريخ في نطاق المدرسة القيمية.. ملاذا للتواصل بين علوم الحكمة وعلوم الشريعة**، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني: التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية والإنسانية والكونية، المنعقد بتاريخ: 17-18 أفريل 2017م، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة 1، الجزائر، محاضرة على اليوتيوب، قناة المؤرخ الجزائري.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: عرض دعوى التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة

المبحث الأول: مفهوم ومنطلقات التغييب والتهميش..... 3

المطلب الأول: دلالة ومصطلح التغييب والتهميش..... 3

الفرع الأول: الدلالة اللغوية للتغييب والتهميش..... 3

الفرع الثاني: المفهوم الاصطلاحي للتغييب والتهميش..... 6

المطلب الثاني: منطلقات وامتدادات دراسات التغييب والتهميش في الكتابات التاريخية الغربية..... 13

الفرع الأول: منطلقات دراسات المهمشين في الكتابة التاريخية الغربية 13

الفرع الثاني: امتدادات دراسات المهمشين في الكتابات التاريخية الغربية 24

المبحث الثاني: التغييب والتهميش في الكتابة التاريخية العربية المعاصرة 30

المطلب الأول: التغييب والتهميش على مستوى المدرسة المحمودية..... 30

الفرع الثاني: التجديد على مستوى مفهوم التاريخ ووظيفة المؤرخ 33

الفرع الثالث: التجديد في طريقة التعاطي مع المصادر التاريخية 36

المطلب الثاني: التغييب والتهميش على مستوى مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي 38

الفرع الأول: التاريخ الإسلامي في ظل رؤية رواد مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي 39

الفرع الثاني: الكتابات التاريخية الإسلامية في نظر رواد دراسات التغييب والتهميش..... 42

الفرع الثالث: كتابة تاريخ المهمشين على مستوى مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي..... 47

الفصل الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة الجغرافية والأدبية

المبحث الأول: المعطيات الحضارية في المدونة الجغرافية 60

المطلب الأول: المعطيات الحضارية في مدونة البلدان..... 61

الفرع الأول: دلالات كتب البلدان وأصنافها. 61

الفرع الثاني: أهمية كتب البلدان في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي..... 63

الفرع الثالث: الدراسات التاريخية المعاصرة والمعطيات الاقتصادية والاجتماعية في مدونة البلدان..... 70

المطلب الثاني: المعطيات الحضارية في مدونة الرحلة..... 74

الفرع الأول: مدونة الرحلة بين التاريخ والأدب 74

الفرع الثاني: الرحلة أغراضها ودوافعها 79

الفرع الثالث: مدونة الرحلة وكتابة التاريخ 80
الفرع الرابع: المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في مدونة الرحلة 87
المبحث الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة الأدبية..... 91
المطلب الأول: علاقة الأدب بالتاريخ 91
الفرع الأول: في ماهية الأدب..... 91
الفرع الثاني: علاقة المؤرخ بالمدونة الأدبية..... 93
المطلب الثاني: المدونة الأدبية مصدراً من مصادر الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية..... 98
الفرع الأول: التكامل بين الأدب والتاريخ 98
الفرع الثاني: حضور المدونة الأدبية في دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المعاصرة 105
الفصل الثالث: المعطيات الحضارية في المدونة النوازلية والمناقبية
المبحث الأول: المعطيات الحضارية في المدونة النوازلية 111
المطلب الأول: كتب النوازل بين الفقه والتاريخ 111
الفرع الأول: تطور علم النوازل بالغرب الإسلامي..... 112
الفرع الثاني: الصعوبات المنهجية والمعرفية التي تطرحها كتب النوازل..... 117
الفرع الثالث: الخطوات المنهجية والمحددات المعرفية في التعامل مع مدونة النوازل..... 119
المطلب الثاني: إسهام كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي 120
الفرع الأول: أهمية كتب النوازل في دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي 120
الفرع الثاني: نماذج من المعطيات الاقتصادية والاجتماعية في المدونة النوازلية 124
المبحث الثاني: المعطيات الحضارية في المدونة المناقبية..... 135
المطلب الأول: كتب المناقب بين الأدب والتاريخ والأجناس الأخرى 135
الفرع الأول: المناقب وتطور الدلالة..... 135
الفرع الثاني: علاقة كتب المناقب بالتاريخ..... 137
الفرع الثالث: كتب المناقب بين الأهمية والعوائق 140
المطلب الثاني: كتب المناقب مصدرا من مصادر المعطيات الاقتصادية والاجتماعية..... 145
الفرع الأول: سيرة الولي والمعطى الاجتماعي..... 146
الفرع الثاني: الأزمة والمعطى الاقتصادي 149
الفرع الثالث: الكرامة والمعطى الذهني..... 150

الفرع الرابع: إسهام كتب المناقب في دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي 152
الفصل الرابع:مفاهيم التاريخ.. بين دعوى التغييب والتهميش والرد عليها.
المبحث الأول: مفهوم التاريخ في الكتابة التاريخيةالتقليدية عند المسلمين 158
المطلب الأول: نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين 158
الفرع الأول: ظروف نشأة الكتابة التاريخية الإسلامية 158
الفرع الثاني: أشكال وأصناف الكتابة التاريخية الإسلامية..... 160
المطلب الثاني: مفهوم التاريخ عند المؤرخين المسلمين 161
الفرع الأول: مفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية المشرقية 161
الفرع الثاني: مفهوم التاريخ في الكتابات التاريخية المغربية: 163
الفرع الثالث: مفهوم التاريخ وموضوعه عند مصنفي العلوم في الحضارة الإسلامية 169
المبحث الثاني: تأثيرات مفاهيم التاريخ المعاصر على رواد دراسات التغييب والتهميش 173
المطلب الأول: مفهوم التاريخ.. من تاريخ الأحداث إلى تاريخ البنيات..... 173
الفرع الأول: التحول على مستوى مفهوم التاريخ 173
الفرع الثاني: تحولات مهنة المؤرخ..... 179
المطلب الثاني: نقض دعوى التغييب والتهميش 182
الفرع الأول: على مستوى الرؤية والمناهج 183
الفرع الثاني: على مستوى القضايا والمواضيع..... 185
خاتمة..... 192
فهرس الأيات القرآنية..... 200
فهرس الأحاديث النبوية..... 202
فهرس المصطلحات 204
فهرس الأعلام..... 206
فهرس المحتويات..... 263
ملخص الرسالة

ملخص الرسالة

ملخص الرسالة:

تأخذ الكتابة التاريخية العربية المعاصرة أشكالا عديدة ومتباينة بينالتأثير والتأثر، وبين الاستعارة والإبداع، إذ نقف على دراسات رواد التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، هذه المدرسة التي ساهمت في إثراء الكتابة التاريخية الإسلامية ونقدها وتقديم حلول لمنزلقاتها، من خلال مناقشة أسسها واقتراح بدائل لها.

وبالرغم مما حققته مدرسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من انجازات تبقى بحاجة إلى النقد والتصويب، ومن ثم إعادة البناء والتركيب، لتكتمل الرؤية ويكتمل البناء.

إن ما نسعى إليه من خلال هذه الدراسة هو مساءلة إحدى الدعاوى الأساسيةلرواد دراسات "تاريخ المهمشين" في العالم العربي؛ التي تُحمل المؤرخ مسؤولية "تغييب وتهميش الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية "، ضمن معطيات المدونة التراثية للغرب الإسلامي، ومدى انعكاس ذلك على التصورات القائمة للكتابة التاريخية.

هذه الدعوى التي ما لبثت أن أصبحت مسلمة ترد في دراسات الباحثين، ورغم ما تقدمه المدونات التراثية الإسلامية بمختلف أصنافها من فعاليات اقتصادية واجتماعية، كفيلة ببناء تاريخ المجتمعات الإسلامية في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية، إلا أن رواد دراسات التغييب والتهميش ينطلقون من جهاز مفاهيمي معاصر لمحاكمة مدونة معرفية -إخبارية وتراجمية- لها سياقاتها التاريخية وخصوصياتها المعرفية.

هذه "المفارقة التاريخية"؛ في الاحتكام إلى مفاهيم معاصرة، فوَّتت عليهم فرصة النظر إلى التاريخ الإسلامي من زوايا مختلفة، بغية بناء تاريخ شامل يراعي مختلف الفعاليات، والعوامل المؤثرة في الفعل التاريخي وحركته.

Abstract

Contemporary Arab historical writing takes many different forms between influence and influence, metaphor and creativity, as we stand on the studies of the pioneers of economic and social history.Despite the achievements of the school of economic and social history, it remains in need of criticism and correction, and then reconstruction and installation, in order to complete the vision and complete the construction.

This is what we seek by questioning one of the main claims of the pioneers of "history of the marginalized" studies in the Arab world. Which holds the historian responsible for "the absence and marginalization of economic and social activities", within the data of the heritage code of the Islamic West, and the extent to which this reflects on the existing perceptions of historical writing.

This claim soon became a Muslim mentioned in the studies of researchers, and despite the various kinds of economic and social activities that Islamic heritage blogs present, capable of building the history of Islamic societies in their economic and social aspects, but the pioneers of studies of absenteeism and marginalization proceed from a contemporary conceptual device to try a knowledge code - Informative and translational - has its historical contexts and cognitive peculiarities.

This "anachronism"; In invoking contemporary concepts, they missed the opportunity to look at Islamic history from different angles, in order to build a comprehensive history that takes into account the various activities and factors affecting the historical act and its movement.